

بول مارتي

دراسات حول الإسلام في موريتانيا

الشيخ سيديا - الفاضلية - إداو علي

ترجمه وقدم له
د. البكاي ولد عبد المالك

إلى أبي
أبي الذي كان سببا في وجودي و الذي لولاه ما كنت
لاخطر خطواتي الصغيرة الأولى في هذه الحياة، والذي
تعهدني ولا يزال بالعطف والحنان ،
وإلى الأبوّة الفكريّة الذي تخلي برعايته وشجعي على
التفرغ للبحث العلمي الأستاذ الدكتور محمد أحمد
الشريف أطال الله في عمرهما وأيدهما بنصرته
أرفع هذا العمل مع بوندي - أبو عطاء

دراسات حول الإسلام في موريتانيا

بول هارتسي

دراسات حول الإسلام في موريتانيا

الشيخ سيديا - الفاضلية - إداو علي

ترجمه و قدم له

د. البكاي ولد عبد المالك

مقدمة الترجمة العربية:

أولاً- كتاب "دراسات حول الإسلام" : السياق المعرفي:

نقدم للقارئ العربي الترجمة العربية الأولى لكتاب المستشرق الفرنسي بول مارتى "دراسات حول الإسلام في موريتانيا".

والكتاب الذي بين أيدينا هو عبارة عن جزء من موسوعة شاملة أعدها المؤلف عن الإسلام في غرب إفريقيا وشمالها بعنوان "دراسات حول الإسلام" (Etudes sur l'Islam) وهي في الأصل عبارة عن مقالات نشرت ضمن سلسلة "مجلة العالم الإسلامي" (Revue du Monde Musulman) منذ نهاية القرن التاسع عشر. ويتضمن هذا المؤلف الضخم جزأين أساسيين الأول بعنوان : "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان" والثاني بعنوان "دراسات حول الإسلام وقبائل البيضان".

يحتوي الجزء الأول وهو "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان" على ستة مجلدات تناولت واقع الإسلام في غرب إفريقيا وبخاصة الحياة الروحية والاجتماعية للمجتمعات الإفريقية في السنغال ومالي وبركنا فاسو وساحل العاج وبعض الأجزاء من موريتانيا الحالية. ويتضمن هذا الجزء الأول المجلدات التالية :

المجلد الأول : بعنوان "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان : كنتة الشرقيون- البرابيش - إكگلاد"، وهو الجزء الذي ترجمه الأستاذ محمد محمود ولد ودادي ونشر في دمشق سنة (1985)، ويقع هذا المجلد (النسخة

الأصلية) في 252 صفحة مقسمة إلى ثلاثة أقسام وعدد من الملاحق على النحو التالي :

القسم الأول : كتنة الشرقيون : وهو أكبر الأجزاء من حيث الحجم ويصل إلى (171 صفحة) موزعة على سبعة فصول هي :

الفصل الأول : أصول كتنة

الفصل الثاني : الشيخ سيدي المختار الكبير

الفصل الثالث : الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار وإخوته

الفصل الرابع : أبناء الشيخ سيدي محمد (الشخصيات الحالية)

الفصل الخامس : طريقة كتنة البكائية

الفصل السادس : كتنة تحت الاحتلال الفرنسي

الفصل السابع : عشائر قبيلة كتنة

أما القسم الثاني من هذا الكتاب ويقع في (68 صفحة) فقد فقد خصصه المؤلف لقبيلة البرايش، وينقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تاريخهم

الفصل الثاني : الشخصيات الحالية

الفصل الثالث : عشائر قبيلة البرايش

أما القسم الثالث والأخير وهو أصغر أجزاء الكتاب من حيث الحجم ويقع في (64 صفحة) فقد خصصه المؤلف لقبيلة إكلاد، وقسمه إلى أربعة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : كلنتصر

الفصل الثاني : كلهوسا

الفصل الثالث : شرفيگ

الفصل الرابع : الإسلام في حياة إكلاد

ويتضمن هذا الكتاب أربعة ملاحق هي :

الملحق [1]: منطقة تمبكتو، أراض يرتادها البدو

الملحق [2]: مقتطفات من كتاب لعروة زعيم أروان

الملحق [3]: الميثاق السياسي والديني لقبيلة كتنة

الملحق [4]: علامات الإبل لدى كتنة الشرقيين

أما المجلد الثاني من الجزء الأول ("دراسات حول الإسلام وقبائل السودان") فهو بعنوان "منطقة تمبكتو- إسلام السونغاوي : جنى- ماسنة وأتباعها (الإسلام الفلاني) " ويقع هذا المجلد في (335 صفحة) وهو رابع المجلدات في هذا الجزء من حيث الحجم يأتي بعد الثالث وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : منطقة تمبكتو: إسلام السونغاوي وهو القسم الأصغر من حيث الحجم ويبلغ عدد صفحاته (113 صفحة) ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تمبكتو والمناطق المجاورة

الفصل الثاني : منطقة ضفاف النهر (النيجر الأوسط) (دائرة غوندام)

الفصل الثالث : الإسلام في التقاليد والمؤسسات

القسم الثاني : و هو الأكبر من حيث الحجم ويبلغ عدد صفحاته (200 صفحة) ويقع في خمسة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : جنى

الفصل الثاني : چا

الفصل الثالث : ماسنة وأتباعها

الفصل الرابع : الإسلام في جنّى - العقائد الوثوقية - الواجبات الشرعية - المساجد ودور العبادة - الأعياد الإسلامية - التعليم الإسلامي - مدرسة جنّى

الفصل الخامس : الإسلام في المؤسسات القضائية والاجتماعية

الملاحق وعددها اثنا عشر (12)، وتقع في سبع عشرة (17) صفحة، بالإضافة إلى ملحق للصور الفوتوغرافية.

أما المجلد الثالث من "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان" وهو بعنوان "القبائل البيطانية في الساحل والحوّض" فقد ترجمه منذ سنوات قليلة الأستاذ محمد محمود ولد ودادي ونشرته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في إطار مجهودها الدعوي في كامل المعمورة، كما صدرت له طبعة أخرى في بيروت سنة 2005. ويقع هذا المجلد في (475 صفحة) وهو أضخم المجلدات على الإطلاق وينقسم إلى سبعة عشر فصلاً على النحو الآتي:

الفصل الأول : قبائل أصلها من أولاد داود ويقع في (80 صفحة) مقسم إلى المباحث التالية :

- أولاد علوش

- أهل بوردة

- ترمز

- أولاد زيد

- الجعافرة

ويتضمن هذا الفصل الملاحق التالية :

الملحق [1] : شجرة نسب شيوخ أولاد علوش

الملحق [2] : شجرة نسب شيوخ أهل بوردة

الملحق [3] : شجرة نسب شيوخ ترمز

الملحق [4] : شجرة نسب شيوخ أولاد زيد

الفصل الثاني: قبائل أصلها من تحكّات ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

- إيديله

- الوسرة

- تحكّات

- تفلّات

الفصل الثالث : أولاد مُحْمَد

الفصل الرابع : مشظوف . ويتضمن هذا الفصل بعض الملاحق

الفصل الخامس : لحمّات

الفصل السادس : كنتة الحوض

الفصل السابع : القلاقمة

الفصل الثامن : أهل الطالب مختار

الفصل التاسع : إجمّان

الفصل العاشر : بعض العشائر الزاوية

الفصل الحادي عشر : مدينة ولّاتة

الفصل الثاني عشر : مدينة النعمة

الفصل الثالث عشر : الأقلال

الفصل الرابع عشر : أولاد امبارك

الفصل الخامس عشر : تنواجيو

الفصل السادس عشر : أولاد الناصر

الفصل السابع عشر : لادم

أما رابع مجلدات "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان" فهو بعنوان "منطقة خاي- بلاد البامبارا- ساحل نيورو" فهو قريب من المجلد الأول من حيث الحجم ويبلغ عدد صفحاته (296 صفحة) ويتكون من ثلاثة أقسام وسبعة ملاحق على النحو الآتي:

القسم الأول : بعنوان "منطقة خاي" وهو أصغر الأقسام الثلاثة ويبلغ عدد صفحاته إحدى وأربعين (41) مقسمة على تسعة فصول صغيرة على النحو الآتي:

الفصل الأول : خاي

الثاني : مدينة

الثالث : كاميرا

الرابع : سيرو

الخامس : چومبونجو

السادس : لوگو

السابع : كيدي ماغا

الثامن : المساجد والمدارس القرآنية

التاسع : التشريعات الإسلامية

القسم الثاني : الإسلام في بلاد البامبارا وهو الأكبر من حيث الحجم ويبلغ عدد صفحاته (148 صفحة) موزعة على أربعة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول : الإسلام عند السمونو

الثاني : الإسلام عند الماركا

الثالث : الإسلام عند الفلان

الرابع : البمبارة المأسلمون ، والأجانب المتحمسون للدين الإسلامي
القسم الثالث : ساحل نيورو، وهو ثاني أجزاء الكتاب من حيث الحجم إذ يبلغ عدد صفحاته (73 صفحة) مقسمة إلى أحد عشر فصلا على النحو الآتي:

الفصل الأول : عموميات

الثاني : نيورو

الثالث : التكرور

الرابع : الفلان

الخامس : السنكي

السادس : الخاسونكي

السابع : چاوارا

الثامن : البامبارا

التاسع : المساجد، ودور العبادة والصلاة

الحادي عشر : بقايا الماضي

ويتضمن هذا القسم سبعة ملاحق وفهرس للصور.

أما الجزء الثاني من المؤلف الضخم لبول مارتي "دراسات حول الإسلام" فيتضمن كتابين الأول هو الكتاب الذي بين أيدينا ("دراسات

حول الإسلام في موريتانيا- الشيخ سيديا-الفاضلية-إيدو علي" وستعرض له في حينه.

وكتاب آخر بعنوان "دراسات حول الإسلام وقبائل البيضان- البراكنة" يقع في (300 صفحة) موزعة بين أربعة أقسام على النحو التالي:

القسم الأول : بعنوان "تاريخ عام" وهو عبارة عن بحث في أصول القبائل الموريتانية من خلال القسمة الثنائية المشهورة : قبائل عربية الأصل هم بنو حسان وقبائل زاوية صنهاجية هم السكان الأصليون للبلد . ويقع هذا القسم في (93 صفحة) ويتضمن ثمانية فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : الأصول : فتوحات البربر الصنهاجيين والعرب الحسانيين

الثاني : سيطرة بني حسان أولاد رزق في القرن الخامس عشر الميلادي

الثالث : سيطرة أولاد أمبارك في القرن السادس عشر

الرابع : أصول البراكنة

الخامس : حرب شريته وزعماء الزوايا

السادس : الفرع الأكبر من أمراء البراكنة : أولاد نغماش

السابع : الفرع الأصغر من أمراء البراكنة : أولاد السيد

الثامن : الاحتلال الفرنسي

القسم الثاني : بعنوان "تاريخ القبائل" البيظانية فهو أكبر أجزاء الكتاب ويقع في (178 صفحة) مقسمة إلى 21 فصلا على النحو التالي:

الفصل الأول : أولاد نغماش

الثاني : أولاد السيد

الثالث : أولاد أحمد

الرابع : إجيجه

الخامس : الزماريق

السادس : كنتة

السابع : تركز

الثامن : الحجاج

التاسع : إيديلك

العاشر : إيدكشمّة

الحادي عشر : تاكاظ

الثاني عشر : طلبه تناك

الثالث عشر : أهل القصري

الرابع عشر : الدراوات

الخامس عشر : تشمشة

السادس عشر : إهيها

السابع عشر : سوباك

الثامن عشر : اتمدك

التاسع عشر : تبيت

العشرون : التوابير

الواحد والعشرون : دباي ألاگ

القسم الثالث : بعنوان "شمامة" وهو أقل الأقسام حجما ويصل عدد صفحاته إلى (17 صفحة) ويقع في ثلاثة فصول صغيرة على النحو التالي:

الفصل الأول : معلومات جغرافية

الثاني : الإسلام لدى الزنوج

الثالث : عشائر البيضان في منطقة شمامة

القسم الرابع : بعنوان "العادات الاجتماعية والسياسية" وهو قسم صغير الحجم لا يتعدى عدد صفحاته (72 صفحة) مقسمة إلى خمسة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول : العادات

الثاني : الجبايات

الثالث : الأتاوات

الرابع : الحراطين

الخامس : الصمغ العربي

وعدد من الملاحق يصل عددها إلى 21 ملحقا بالإضافة إلى فهرس للصور.

ثانيا - هذا الكتاب :

1- بعض عوائق الكتابة التاريخية في موريتانيا:

يمكن اعتبار الكتابة التاريخية في هذا البلد، بصفة عامة، ضحية لصنفين من الذاتية : الذاتية المتعالية (Subjectivisme transcendantale) فوق التاريخية ؛ والذاتية الضيقة (الخصوصانية والقبلية - المناطقية).

يقود الشكل الأول من الذاتية والذي يأخذ شكل دراسات إسلامية ذات طابع استشراقي في كثير من الأحيان إلى نوع من المركزية الإثنية (Ethnocentrisme) تجعل من تاريخ "الآخر" وثقافته مرحلة موعلة في القدم من حضارة واحدة بعينها وفقا للتصور الخطي لمسار الحضارة الإنسانية وبالتالي كان الهاجس الأول لدى معظم أصحاب هذا الصنف من الكتابة هو نقل ما يسمى بـ "المجتمعات البدائية" من الطبيعة إلى الثقافة، ومن المجتمع إلى التاريخ. وهذا هو ما يطلق عليه في بعض الأدبيات "المشروع

الثقافي الاستعماري" الذي اصطدم في موريتانيا بحدار من الرفض لم يختلف كثيرا عن مصيره في مجتمعات المغرب العربي الأخرى وإن اختلفت أساليب الرفض ومبرراته. في حين يقود الشكل الثاني من الذاتية وهو الذاتية الضيقة إلى نوع من الخصوصية المشحونة بهاجس الغيرية الثقافية الجذرية والتوجس من الأصل على الرغم مما ينطوي عليه من تنوع وثراء في بنيته.

بيد أن الناظر في أي موضوع مهما كان وبخاصة في مجال العلوم الإنسانية لا بد أن يكون على مسافة معينة من الشيء المرئي: لا شديدة القرب ولا شديدة البعد حتى يكون قادرا على تبيينه بوضوح وتجرد. ويعد هذا الانزياح الضروري بين الذات وموضوعها شرطا أساسيا من شروط إمكان الكتابة التاريخية الموضوعية.

ذلك هو العوائق الإستمولوجي الأهم الذي منع وبمنع الذاتية الضيقة الخصوصية من تبيين موضوعها لشدة التداخل بينها وبينه وصعوبة تحقيق الانزياح الضروري، ومنع الذاتية المتعالية من سبر أغواره بما فيه الكفاية.

2- أهمية الكتاب:

وتنبع أهمية هذا المصدر الأساسي من مصادر التاريخ الثقافي والاجتماعي لموريتانيا من أنه يمثل رواية معاصرة للأحداث أعدت لحظة تشكيلها ونجحت عن معاناة صاحبها للظاهرة الاجتماعية لحظة ولادتها فهو ملاحظ من الداخل عرف لغة مجتمع الدراسة وعاداته وتقاليده معرفة تامة، فتجاوز بذلك عائق الذاتية المتعالية وكسر حاجز المغايرة، وهو ما يشهد عليه ثراء المصطلح الحساني وتنوعه في هذا الكتاب.

كما تعود أهميته أيضا إلى طبيعة المادة العلمية التي استطاع مؤلفه الحصول عليها مباشرة من أفواه الأمراء والشيوخ الزميين والروحانيين والإداريين الفرنسيين فقد وضع المؤلف يده على الوثائق الإدارية الفرنسية

ومكتسبات التسبوح ومراسلاتهم ومعاهدات الأمراء وعلاقاتهم الفوقية مع القسائل الغارمة..

هكذا وطف ذلك المحزون الهائل من المعلومات المتنوعة التي كانت في حوزة الإدارة الاستعمارية عن البلد والجماعات المحلية، والمقابلات الحميمة التي أجراها مع أعلام البلد وزعاماته الزمنية والروحية - والتي لم يكن في الإمكان لأي من أبناء جلدتهم الحصول عليها لاعتبارات تتعلق بالقدر والمكانة - لتكوين رؤية شاملة للتاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للدولة الناشئة.

وتعود أهمية هذا الكتاب كذلك إلى أنه قدم رؤية كلية للأحداث لا يعين المؤرخ الذي يكتفي بسرد الأحداث بل يعين فيلسوف التاريخ الذي يسعى إلى اكتشاف القوانين العامة التي تحكم سيرها. فلم يكن الواقع الثقافي والسياسي الموريتاني معزولا عن السياق العربي والإفريقي في شمال إفريقيا وغربها. فهو عندما يحلل حدثا معينا من الأحداث فإنه لا يكتفي بسرد الوقائع الجزئية وإنما يربطها بسياقها العام الذي يتجاوز منطقة الدراسة، وهو هنا يستجيب لمقولة أساسية من مقولات فلسفة التاريخ ألا وهي مقولة الكلية، فنراه على سبيل المثال يربط المقاومة المستميتة التي خاضها ماء العينين في الشمال بمجريات الأحداث في الجزائر والمغرب الأقصى وليبيا.

كما تتبع أهمية هذا الكتاب أيضا من خضوع صاحبه لمقولة أخرى من مقولات فلسفة التاريخ وهي مقولة العلية أو التعليل الباطني الجواني للأحداث. فيجد قارئ هذا الكتاب نوعا من الربط النسقي بين القوى الروحية والقوى المادية. فدم يكن الخطاب الديني في الثقافة الشنقيطية أبدا منفصلا عن حوامده المادية المتعلقة بالطبيعة والمجتمع والتاريخ، وهو ما يتحسد على سبيل المثال في العلاقة بعيدة المدى التي تظل قائمة بين الشيخ وتلاميذه في مختلف الدول الإفريقية حتى وإن تباعدت المسافات وتناولت الأزمنة، بل ومع الأمراء المحليين. كما يتحسد ذلك الربط بين القوى

الروحية والقوى المادية أيضا في نوع من التواصل بين مستويات الاجتماعية وإدانة الحدود التي عمقها حرب شرسة لاربحه بين العرب ومجتمع الروايا. ويؤسس هذا التفاعل بين القوى المادية والقوى الروحية لعلاقة مرنة بين قطبي الرعامة في المجتمع الشنقيطي، فمري السلطة الروحية تتحول في بعض الأحيان إلى سلطة زمنية فتستعير كافة رموزها: السلاح - الطبل - السماع والعكس أيضا صحيح.

وفي الأخير لا بد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب يكتسب المزيد من الأهمية بالنظر إلى حرص صاحبه على لتحلي بدرجة كبيرة من موضوعية إلا في حالات نادرة أشرنا إلى البعض منها في الهامش. ويلاحظ القارئ المتمعن لهذا الكتاب أن ما أسميناه بـ "الذاتية المتعالية" لم تكن لتمنع صاحبه من إظهار الكثير من الجوانب المهمة من ثقافة البلد وأعلامه ودورهم في نشر الإسلام في إفريقيا رغم ما اكتشف ذلك في بعض الأحيان من سلبيات لا تخص مضمون الدعوة بل منهجها فحسب، سلبيات وقع فيها أولئك الدعاة المتحمسون بـ "نية طيبة" كما يقول ماري.

وتتحلى موضوعية هذا الكتاب في الموازنة بين الطرق الصوفية الثلاث الكبرى في موريتانيا وهي القادرية والفاضلية والتجانية، وبين الجهات ومقدار مساهمتها في الثقافة الشنقيطية، وهي مسألة ممتقدة إلى حد بعيد - وأحيانا بطريقة لا واعية - في الدراسات التي كتبها موريتانيون عن موريتانيا والتي لم يسلم بعضها من مزلة القدم والحيد عن جادة الصدق تحت تأثير "الذاتية الضيقة" والغيرية الثقافية الجذرية.

إلا أن هذا الكتاب على الرغم من فوائده الجمة لا يخلو من بعض الهنات التي يمكن في تقديرنا أن تعزى لا إلى جهل المؤلف بمجتمع الدراسة - وهي عادة الكثير من المستشرقين - وإنما إلى روااسب "الذاتية المتعالية".

فمن السهل أن نلاحظ وخاصة في الجزء المتعلق بالتاريخ الاجتماعي والسياسي للأعلام، وحوود فقرة ثابتة يُنظر إليهم فيها في ضوء علاقاتهم مع

استلطف الاستعمارية الفرنسية، وربما انعكس ذلك في درجة لاهتمام الذي
عوبه المؤلف لأولئك لأعلام .

ويلاحظ أيضا أن لفظ 'التعصب' هو من ألفاظ التي اقترنت في لغة
المؤلف بروح المقاومة ورفض الوجود الفرنسي . فحده على سبيل المثال
يصف الشيخ المجاهد ماء العينين وابنه الهبة بالتعصب، وكذلك القظف
أصحاب الطريقة الشاذلية، وبطل المقاومة المختار ولد الحامد وغيرهم، ولا
يتوانى عن وصف جيوشهم بـ "العصابات"، ونكتيكاتهم العسكرية بـ
"الخيانة" و "المغامرة" وما إلى ذلك .

وإذا كان البعض يرى بأن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما
التنصير والاستعمار، إلا أن هذا الاتهام لا ينطبق على المستشرق بول
مارتي إلا بصفة جزئية. فلا يجد القارئ لهذا الكتاب أية إشارات دالة على
الالتزام الديني للمؤلف، في حين أنه من الصعب إنكار صلته الوثيقة
بالإدارة الاستعمارية وعمله فيها وهو ما يظهر أولا من إهدائه الذي صدر
به الجزء المتعلق بإمارة الراكنة (دراسات حول الإسلام وقبائل البيضان -
البراكنة) الذي يقول فيه : (إلى السيد العقيد غادان حاكم المستعمرات
- مفوض الحكومة العامة لموريتانيا مع كامل التقدير) ؛ كما يظهر ثانيا
في الاستعمال المتكرر لضمير الجماعة عندما يتحدث المؤلف عن "الجيش
الفرنسي" و "الاحتلال الفرنسي"...

لكن على الرغم من تلك السلبيات والتي لا يخلو منها عمل بشري إلا
أن القيمة العلمية الكبيرة لهذا الكتاب تبدو واضحة وعلى أكثر من صعيد
فقد كان وما يزال مصدرا أساسيا للدراسات الإسلامية والتاريخية حول
المنطقة.

3- بنية الكتاب:

وقد حاول المؤلف من خلال مكتب لدى بي أيدي تقديم - رسمه
شاملة ومتكاملة للبناء الاجتماعي والروحي لمشرق لصوفيه اثلاث الأكبر
انتشارا في موريتانيا وهي القادرية والماضلية والحانية ودورها في تشكيل
الوعي الديني و الخريطة السياسية والاجتماعية والدينية للبلد الذي تحول
إلى متروبولية روحية تبث في كل الاتجاهات وخاصة في اتجاه الدول
الإفريقية المجاورة والبعيدة عن موريتانيا .

فتناول في الفصل الأول الفرع الأساسي للطريقة القادرية في موريتانيا
والمتمثل في العلامة الكبير الشيخ سيدي بابا ومدرسته. وقد تعرض المؤلف
على وجه الخصوص لدوره الروحي والسياسي الكبير في تشكيل نواة
الدولة الناشئة. وقد قسم هذا الفصل الأول الأكبر من حيث الحجم إلى
أربعة مباحث رئيسة : تناول في الأول منها نسب الشيخ سيدي وعائلته،
وفي الثاني شخصيته، وفي الثالث قبيلته من جهة الولاء والخلف، وفي
المبحث الأخير نفوذه داخل البلد وخارجه.

وتضمن هذا الفصل علاوة على ذلك عددا من الملاحق المهمة وعددها (8).

أما في الفصل الثاني فقد تناول فيه المؤلف طريقة منبثقة عن الطريقة القادرية -
رغم طابعها الجامع لخصال كل الطرق - وهي الطريقة الفاضية وممثلها هو الشيخ
محمد فاضل. وقد قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسة وعدد كبير من
اللواحق :

تناول في المبحث الأول نسب محمد فاضل وعائلته، وفي الثاني أبنائه وتلاميذه .
وقد ركز المؤلف في هذا المبحث على التأثير الروحي والسياسي الكبير لاثنتين من
أبناء الشيخ محمد فاضل المائة وهما : الشيخ سعد بوه في منطقة القيلة والسنغال
أساسا، والعلامة الكبير المجاهد ماء العينين في منطقة آدرار وتيرس والصحراء الغربية
والمغرب . وفي حين حسد الأول الزعامة الدينية في أقوى مظاهرها استطاع الثاني
أن يثبت أن الخلود بين الزماني والروحي ليست نهائية من خلال الدور السياسي

الكثير الذي لعله في مقاومة الوجود الفرنسي في أدرار والمغرب ، بل إن المؤلف يعزو إليه سب احتلال المغرب . ويتضمن هذا الفصل أيضا عدد من الملاحق المهمة وعددها (6).

أما الفصل الأخير فقد خصصه المؤلف لإحدى الطرق الأساسية في موريتانيا وهي الطريقة التجانية من خلال أبرر مثاليها الذين تقمصتهم الطريقة وتقمصوها وهم قبيلة إيداو علي. وتنبع أهمية ممثلي هذه الطريقة من ارتباطهم تاريخيا بمدينة شنقيط الخاضرة الإسلامية الأبرر في نهاية العصر الوسيط .

وقد قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث : الأول تعرض فيه المؤلف إلى تاريخ إيداو علي وأصولهم العلوية وتأسيس مدينة شنقيط، وفي الثاني تناول "وضعهم الراهن" وكيفية توزيعهم في المجال الجغرافي الموريتاني في ثلاث من أهم المناطق الموريتانية : أدرار و الترازو و تكانت. كما تناول فيه أيضا الدور الذي لعبوه في نشر الإسلام و الثقافة الشنقيطية في ربوع القارة. أما المبحث الأخير من هذا الفصل فقد خصصه المؤلف لتجانية إيداو علي، تعرض فيه على وجه الخصوص إلى أصولها وشيوخها وعلاقتها التاريخية بالمغرب والسنغال. وقد تضمن هذا الفصل علاوة على ذلك عددا من الملاحق وعددها (3).

4- ملاحظات حول الترجمة :

أما بخصوص هذه الترجمة فقد انطلقنا فيها من مبدأ الوفاء الكامل للنص في شكله ومضمونه كلما كان ذلك ممكنا . أما في حالة التعارض بين الشكل والمضمون في اللغتين فإننا نرجح المضمون في أغلب الأحيان مع الاحتفاظ بالشكل في الهامش توخيا للدقة والأمانة العلمية . وقد دفعنا السعي إلى وضوح الفكرة إلى إكمال النص في حالات نادرة جدا ببعض الكلمات التي نرى أنها ضرورية مع وضعها بين مجالين [] . وقد نعمل في بعض الأحيان إلى ذكر مفعول الأفعال المتعدية في اللغة العربية والتي هي في الأصل لازمة في اللغة الفرنسية.

أما الهوامش فهي قسمان هامش أصبي لا نوجد معه إشارة توضيحية وهامش أصفاه يحس من عددا للتوضيح وشمعه دائما بعمارة (المترجم).

أما بخصوص أسماء الأماكن والأعلام والآثار فكما دائما نضع السمية الصحيحة كما تطلق محليا خاصة وأن اللغة الفرنسية غير قادرة في بعض الأحيان على رسمها بدقة.

وقد قمنا كذلك بتكملة بعض أسماء الأعلام والكتب التي يشير إليها المؤلف اختصارا وهي عادة الموريتانيين .

و لا نربأ بأنفسنا عن الوقوع في التقصير في هذا الجانب أو ذاك فلا يوجد مجال يأمن فيه المرء من الوقوع فيما قل من أخطاء .

وفي الأخير نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذ محمد محمود ولد ودادي الذي جعل مكتبته عامة وموسوعة بول مارتي خاصة تحت تصرفنا.

والأستاذ الفقيه الدكتور محمد يحيى بن حبيب الله الذي تفضل مشكورا بمراجعة أسماء الأعلام والكتب الفقهية.

والدكتور حماد الله ولد السالم على مراجعته للمادة التاريخية وأسماء القبائل والأماكن.

طرابلس 1-1-9009

الفصل الأول

الشيخ سيديا و طريقته

مقدمة:

تبدو منطقة الترازرة الموريتانية، بمثابة المركز الديني للمستعمرة، كما تبدو أيضا باعتبارها قلبها النابض من الناحية السياسية . ويجب أن نشير أيضا، بالإضافة إلى الشيخ سعد بوه زعيم الطريقة الفاضلية المحمية وفرع إداو علي، الذي يعد بؤرة الطريقة التيجانية الموريتانية اللذين قسا بدراستهما سابقا⁽¹⁾؛ إلى أحد الفروع المهمة للطريقة لقادرية، الفرع الذي يعد الشيخ سيديا زعيمه المبعجل والمعترف به. ويعيش الشيخ سيديا حاليا⁽²⁾ في أبي تلميت (وهو مركز دائرة الترازرة) وسط قبيلة أولاد بييري وهي إحدى قبائل الزوايا⁽³⁾، التي ازداد حجمها بفصل تلاميذها. وقد ترك الشيخ سيديا - الذي كرس نفسه للزعامة الدينية وحدها - السلطة الإدارية لأخيه سيدي المختار.

¹ لا ندري إن كانت هذه الإشارة دالة على قلب نظام حصول كما وردت في هذا الكتاب، السيديا قدس في الأصل مجموعة مقالات كتبها المؤلف في فترات متفاوتة في مجلة العام الإسلامي . وهو ما يعني تأخر آخره الملحق بالشيخ سيديا - الأول في هذا الكتاب - من الناحية الرسمية عن بعض الأجزاء وهو ما يرجعه ١٠ أم إلى المؤلف دراسات أخرى عن الفاضلية وإداو علي في مكان آخر، انظر ترجم.

² في الربع الأول من القرن العشرين (لمترجم).

³ الزوايا تسمية أطلقها المؤرخون على القبائل الموريتانية التي اشتغلت بالعلم والمعرفة في مقابل القبائل الحسانية المحاربة التي اشتغلت بالسلاح والحرب. وقد أصبحت هذه تسمية أشد شمولاً لجميع المورساي إلى حسن ورو. أحد أمثلة في التاريخ الموريتاني وهي كما يقول المؤرخون رحا، من نتائج الحرب التي دبرتها رحا في القرن السابع عشر بين المعامرة وهم من بني معمر وكحل شمسة وهو مكنل ككوا من أمس قبائل صهاحية شمسة أنت فيها اللعبة لفرقة ال التعرسة الوفاة . عم فيه العدد (لمترجم).

أولاً - أصوله:

على القبيض من معصم مشايخ البلد، الذين يقدمون أسباباً كاملة لا تشوبها شائبة وترتقى بشكل صحيح تقريباً إلى النبي (ص) أو إلى أحد أفراد آل بيته أو قبيلته، نجد أن الشيخ سيديا يتسم بالمواضع الكامل في هذه المسألة.

وهذه هي شجرة نسه:

محم
↓
محمد
↓
انتشايت
↓
أبو بكر
↓
أحمد دولة
↓
هيبه
↓
المختار
↓
الشيخ سيديا الكبير (المتوفى سنة 1869م)
↓
سيدي محمد الحليفة (المتوفى سنة 1870م)
↓
الشيخ سيديا

ولا نعرف شيئاً فيما وراء ذلك، بل إن محم ولد محمصر بغير تفصيل بأنه يحدر من قبيلة تدغة (إحدى قبائل الرواب بمصطفة المرارزة). وبعد انتشايت الجدد الحقيقي الذي نشأت منه العشيرة التي تحمل اسمه الآن. والحال أن قبيلة انتشايت قد ارتبطت منذ قرون بعشائر أولاد ابيري واكتسبت طريقة عيشها وأصبحت منذ ذلك الحين جزءاً لا يتجزأ منها.

وقد هاجر محمد ولد محم حوالي نهاية القرن السابع عشر إثر خصومات دخلية مع أبناء عمومته أهل أبنجة من قبيلته الأصلية تدغة واستقر به المقام لدى جيرانها أولاد ابيري وتوفي فيهم بعد ذلك بوقت قصير خلفاً لابنه انتشايت الذي استقر هناك وأخذ الثأر لأبيه من المعاملة السيئة التي كان عرضة لها على أيدي تدغة.

تزوج من ابنة مرابط مكة وأنجب ذرية منها. ولم تكن لذرية انتشايت وصولاً إلى الشيخ سيديا الكبير أهمية تذكر على حد تعبير الشيخ نفسه. ثم تنوعت التحالفات بين انتشايت وأولاد ابيري على مر الأجيال وبذلك اكتسبت انتشايت حق المواطنة في قبيلة أولاد ابيري. لكن ذلك لم يحل في الوقت الراهن من وجود شعور بالغيرة لدى أولاد ابيري من الثراء السريع لقبيلة انتشايت الذي يعود في الآن نفسه إلى تواجد الشيخ بين ظهرانيهم، وإلى كثرة القوافل التي جعلهم الفرنسيون يسيرونها.

ويحدث في بعض الأحيان أن يوجه أولاد ابيري بعض السباب إلى خصومهم انتشايت ومنها العبارة غير الأخلاقية التي تصفهم بأنهم "لقطاء" إلا أن تلك الغيرة لا تظهر علناً.

وقد أصبح الشيخ سيديا الكبير بعبقريته وعلمه وورعه المؤسس الحقيقي للطريقة وباني مجد القبيلة وسؤدها، ومهندس نجاح أسرته.

و استطاع بدوره أن يقول مع الشاعر العربي:

أنا لا أدين بشهري لقومي بل هم مديون لي بمحدهم

لقد هذبت نفسي بنفسي، ولا أسلاف لي.

ولد لشيخ سيديا الكبير حوالي 1780م، تعلم في أسرته وتلقى دروسه الابتدائية على يدها. وكما كانت نقصي بذلك تقاليد مجمع البيطان فقد ذهب لمواصلة دراسته خارج القبيلة أولا لدى إنداو علي الرارزة، حيث درس لوحيد وتفسير القرآن طيلة سبع سنوات لدى أهل حرمة ولد عبد الجليل في أحيائهم المتقلة بين الجرارية وتين بوي علي. ثم انتقل بعد ذلك إلى قبيلة اجيجبة في منطقة البراكة حيث درس الشريعة والحو طيلة أربع سنوات على يد حبيب الله ولد القاضي عبد ساقيتي بوطلحاية وإعجكل. ثم واصل دراسته العليا في تگات ونشيت حيث كان يعلم ويتعلم في الآن نفسه لمدة سنة خلال عام 1809م. وفي سنة 1810م وصل إلى ولاته وسرعان ما اجتذبه الشهرة العالمية للعلامة الكبير الشيخ سيدي المحار الكنتي فانتقل إليه لإتمام دراساته وللحصول على شيء من بركته.

إلا أن العلامة الشيخ سيدي المختار توفي بعد ذلك بخمسة أشهر في عام 1811م خلفا خمسة أبناء، فتولى أصغرهم سنا وهو سيدي محمد خلافته من بعده. وقد واصل الشيخ سيدي طيلة خمسة عشر عاما دروس أساتذته الكنتيين، وأخذ صريق العودة إلى موطنه ابتداء من سنة 1826م بعد أن أكمل تعليمه وانخرط في صريقة أساتذته وهي القادرية البكاية. وحصل على الإجازة وهي مقدم الطريقة في المناطق الصحرواية الغربية. لكنه ما كاد يغادر المكان حتى سمع بوفاة الشيخ سيدي محمد في الثاني عشر من مايو سنة 1826م فعاد أدراجه مسرعا وشارك مجيمات الفقيد العزاء والصلاة عليه، وكان يوجد بها يومئذ النقيب الإنجليزي [جوردن] لينغ (J. Laing)، ثم عاد إلى قبيلته أولاد ابيري بشكل نهائي في مطلع سنة 1827م.

وكان الشيخ سيدي كثير الأسفار، ولم يعد إلى قومه إلا بعد أن بلغ السابعة والأربعين من عمره. لكنه عاد متوحا بالعلم والبركة من طرف شيخين كبيرين من مشايخ كنتة، وأصبح هو نفسه رجلا صالحا وشيحا عالما. وعاش بعد ذلك أربعين عاما قضاها. باستثناء المدة التي استغرقتها

أسفاره، في تعلم عدد لا حصر له من لاملد. وفي تأسيس طريفته ونشرها. توفي سنة 1869م عن عمر ناه 90 عاما (وهو م يساوي 93 سنة قمرية)، في نفس السنة التي توفي فيها لشيخ محمد فاصر في الخوض. دفن في تدوحو، وهي ساقية تقع على بعد مسيرة يومين شمال أبي تميم، وبني عليه أتباعه ضريحا سرعان ما تحول إلى مرار يؤمه الناس.

وقد أظهر الشيخ سيدي الكبير شأنه شأن كل المشايخ موريتانيين الذين أصبحت القدرة على إظهار الكرامات دليلا ضروريا على صلاحهم، الكثير من الكرامات. وذكر فيما يلي بعضا منها على سبيل المثال:

فقد ذهب المشرف على أمواله علي الزوازيل، رعيم قبيلة أولاد أحمد سابقا، يوما إلى دمغة (Danga) في السنغال لشراء الحبوب على رأس غير مكونة من 300 بعير منها 100 بعير لأولاد ابيري، و200 غيرهم. فوجد نفسه وقد حاصرتة سيول الفيضانات في السنغال. وكانت منطقة الفيضانات ممتدة على طول منطقة شمامه على مدى يزيد عرضه على 20 كيلومترا. ولم يقبل الزنج بمساعدة علي إلا بشرط أن يتخلى لهم عن نصف العير. فرفض علي بطبيعة الحال، وقرر مع ذلك المضى قدما في طريقه معتمدا على بركة الشيخ.

وفي الصباح حضر العير التي لم تعد تتكون إلا من أولاد ابيري وحدهم للانطلاق، وكان هو على مقدمتها يقود الجمل (بوحشم)، وهو الجمل المفضل عند الشيخ، ووضع عصاه على كتفيه واندفع بإقدام إلى الأمام مستغيثا بشيخه قائلا 'يا الشيخ سيدي، هذه عيرك وذا بعيرك قادمان إليك!'. وهكذا اقتنحت القافلة المياه حتى وصلت إلى أقصى حدود منطقة الفيضان دون أن تتعرض لأي ضرر. وعندما وصلت العير حي

لشيخ، الذي كان يعرف عن عدد ما حدث لها، المسترف على أمواله بهذه العبارات: "لا نقصص لأحد ما شاهدته في الطريق" !.

وذا يوم بعنوا برجل إلى الماء يدعى شويح القرب فأدلى دونه ليسحب الماء لضيوفه من بئر المحس التي يصل عمقها خمسين مترا تقريبا بمساعدة أمة سوداء صغيرة فانقطع الحبل وسقط الدلو في قاع البئر . فقرر اشويح النزول إلى قاع البئر لاستخراجه، فربط طرف الحبل في عنق البكرة ولف الطرف الآخر حول جسمه وأمر الأمة الصغيرة بالإمساك بالحبل وتسريحه بالتدريج .

لكنه ما كاد يلج البئر بمقدار ذراعين حتى تملص الحبل من يد الأمة الصغيرة لتي لم تستطع تحمل ذلك الثقل المتزايد فسقط الرجل في قاع البئر مطلقا صرخة استغاثة عظيمة قائلا : "الشيخ سيديا ! " فوجد نفسه في بركة الماء ولم يصبه أي أذى فالتقط دلوه ولم يتكلف عناء الصعود عن طريق الحمير التي تسيرها الأمة الصغيرة. وهكذا أنقذته بركة الشيخ.

وقد امتدت بركة الشيخ سيديا الكبير لتعم جميع الناس. ويحكى أن امرأة هلكت وخلفت وراءها طفلا رضيعا لم يقبل بالرضاعة من أي من المرضعات اللاتي تقدمن له . فحملوه إلى الشيخ فوضع إصبعه في فمه فوضع الطفل حتى ارتوى، وتكررت العملية مرات عدة .

وقد شفى الشيخ الكثير من عبيده عن بعدما استغاثوا به إثر بعض الحوادث التي ألمت بهم كالكسور في بعض الأعضاء الناجمة عن ركل الإبل، والسقوط الشديد وغيرها.

كان ابنه الذي سماه الشيخ سيدي محمد تيمناً بأستاذه الكني القديم الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار الكبير، ينوب عنه في السنوات الأخيرة من حياته. ثم خلفه بصفته شيخا للطريقة وتوفي في السنة التي تلت وفاته سنة 1870م ولما بلغ الأربعين عاما من عمره فدفن في تدوحيه، مقبرة العائلة التي يوجد بها الآن، إضافة إلى الشيخين المذكورين،

صريحا أخوين غير شقيقين للشيخ سيديا الكبير، كما يوجد لها صريحا حالي سيد محمد وهما المصطفى ولد علي ومحمد ولد علي، كما يوجد لها صريح فاطمة بنت الشيخ سيدي محمد الحيفة، أي أخت الشيخ سيديا الحالي .

أما من الناحية الروحية فإن طريقة الشيخ سيديا تشكل بمجرد رافد من روافد الطريقة القادرية البكاية، فلا شيء يميزها سواء في الأوراد أو في السلسلة الروحية عن الطريقة التي نشرها كنتة في غرب إفريقيا. وقد عرضنا تلك السلسلة والأوراد في الملاحق⁴.

وقد أخذت تلك السلسلة والأوراد عن الفقيه أحمد ولد المختار فار الذي دونها بعد أن أملاها عليه الشيخ سيديا نفسه.

وتقدم السلسلة الروحية خاصة، انطلاقا من الشيخ سيدي محمد، المتوفي سنة 1826م بعض المعنومات الجديدة حول الخلافة الروحية والصوفية بين مشايخ الطريقة البكاية التي توجد في الوقت الراهن بعض الخلافات بشأنها. وتتفق هذه السلسلة في كل المسائل مع السلسلة التي بسطها الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي المختار في كتابه "الطرائف والتلائد" والتي يبدو أنها نهائية.

ثانيا- الشيخ سيديا:

1- شخصيته:

ولد الشيخ سيديا باباحوالي سنة 1862 م. توفي والده ولم يصل إلى الثامنة من عمره. وكان قد بدأ تعلم القرآن على والده، وأكمل حفظه على أحد الشرفاء المغاربة (من آل البيت) هو مولاي محمد الذي استقر في قبيلة أولاد ابيري إلا أن هذا الشريف توفي في أحد أسفاره إلى منطقة

⁴ انظر الملاحق، صحتي [1] والملاحق [2]

- "عرضة للتسكيك في نادى الأمر. وحلت في كبرى من السعد والتحريج".

ومن المجازفة أن نحاول القيام حتى بحث نفسي حول الزعامة الروحية للشيخ سيديا. لكن مما لا شك فيه أنه لن يكون من نافل القول الإشارة إلى سمتين أساسيتين في طبعه، وإلى بعض الاتجاهات في سياسته الدينية : فقد كان الشيخ سيديا إنسانيا ومصلحا أيضا.

ففي الجانب الأول يمكن مقارنته عن طيب خاطر بأحد الأساقفة الأذكاء والمنفتحين في محكمة ليون العاشر (Leon x)، فهو مفكر فضولي، يهتم بكل شيء لا بالعلوم الإسلامية وحدها، التي أصبح معلما لها، بل بشتى مظاهر الحضارة الحديثة. فكان الفضول يحمله إلى الاهتمام البالغ بالتنظيم الداخلي لفرنسا، وبطريقة عمل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وبالحياة الاجتماعية والاقتصادية وبخاصة الدينية للفرنسيين، وبملاقاتهم بالأمم الأخرى التي كان يعرفها تمام المعرفة. كما حمله الفضول أيضا إلى الاهتمام بنشاط فرنسا في شمال إفريقيا، وبما يحدث في المغرب وليبيا ومصر وفي الشرق من أحداث، وبمنطقة إفريقيا الغربية، وبإدارة الشعوب الزنجية. وكانت هذه الموضوعات محبة إلى قلبه، وكان لا يفوت أية فرصة لتناولها في نقاشاته.

ولم يكن اهتمامه بالماضي أقل حدة . فقد كانت له اتصالات ببعض الشخصيات البيطانية أو الزنجية المهمة بأخبار "السلف" وأعمالهم. فاهتم بالأصول التاريخية وبالبناى الاجتماعي لمجتمع البيطان. و أنجز حول هذا الموضوع بعض اللوحات الأصلية والمعلومات المتنوعة.

وعلى الرغم من أن تلك الأفكار كلها كانت فضفاضة شيئا ما، مركومة، وغير منظمة، وتفنقر إلى الدقة والوضوح في ذهبه في الكثير من المسائل، إلا أن أفكاره كانت إما صحيحة أو مهمة.

أدرا لدى قبيلة أولاد يحيى بن عثمان إثر تعرضه لرصاصة طائشة أطلقها أحد عبد الأمير سيد أحمد بن أحمد عيده. وقد شرع سيديا بابا بعد حفظ القرآن في دراسة العلوم الإسلامية بصحبة كبار تلاميذ أبيه الذين لا يزال أحدهم فقط الآن⁵ على قيد الحياة وهو محمد بن داداه قاضي أولاد أبييري. ويروى الناس أنه عندما وصل ذلك الحد من العلم "كان يضاهي بل ويفوق أساتذته" فكان عليه أن يواصل تعليمه بنفسه. وفي الواقع فإن الشيخ سيديا، الذي هو مثقف حقيقي، لم يتوقف أبدا عن العمل. فمنذ أن حصل على جملة المعارف المتوسطة التي استطاع أساتذته تزويده بها، بدأ في استكمال معارفه عن طريق شراء الكتب المطبوعة والمخطوطة ونسخه للبعض منها بنفسه، وقراءة الصحف والمجلات العربية، والحوارات مع العلماء الأجانب، والمشاهير والشيوخ، لا في مجتمع البيطان فحسب بل وفي مجتمع الزنوج أيضا. لكنه استكمل تكوينه على وجه الخصوص عن طريق الكثير من التأمل الشخصي. وقد أصبح في الوقت الراهن مفكرا في غاية الذكاء والعمق، وشدة الانفتاح وغزارة العلم، وهو بالتأكيد أحد أبرز شيوخ قبائل الزوايا.

ألف العديد من الكتب المتعلقة بالعلوم الإسلامية منها على وجه الخصوص كتاب: "مقال في العقيدة" وهو كتاب في التوحيد، و"نظم لأسماء الله الحسنى"، وكتيب صغير في الفقه في هيئة فتاوى يسمى "الأجوبة الفقهية"، وكتاب "المقلد" وهو كتاب يقع في أربعين صفحة وهو عبارة عن دراسة مقارنة لنواحيات الشرعية بين مختلف المذاهب السنية، ودراسة في قواعد اللغة في طريقة النطق بحرفي الضاد والظاء والعلاقة بينهما⁶، وثلاث رسائل حول الجهاد، والمحررة من البلاد التي يحتلها النصارى، ورسالة في الأنس، وكانت هذه الرسائل يقول الشيخ

⁵ في الربع الأول من القرن العشرين (المترجم)

⁶ مبروجه في مجلة العالم الإسلامي، عدد يونيو، 1913

ونحن نعرف من جهة أخرى أنه يعمل ببطء في الواقع مد عسة سنوات على تأليف كتاب حول تاريخ الجماعات في موريتانيا على الرغم من الصعظ الذي مورس عليه من كل جانب. وربما كان الشيخ سيديا لوحيد في مجتمع البيطان الذي أقر بأن قبائل الزوايا كلها، والتي تفاخر بأنها قبائل عربية ذات أصول خالصة تعود إلى آل البيت أو سواهم، لم تكن في حقيقة الأمر سوى قبائل أصلية اضطرت إلى الانحاء، الذي لم يخل من مقاومة، أمام الهجمة الحسانية وبحث، من خلال التخلي الطوعي عن سلاحها والتفرغ للعلم، عن السلم الذي لم تعد قادرة على الحفاظ عليه بحمل السلاح.

إنه في الأخير رجل محب إلى النفس، بشوش، بعيد كل البعد عن التعصب - وهو ما يشعر به غيره ولا يخفيه هو نفسه - يؤمن بأن الخير يوجد في كل مكان، وأنه إذا كان الإسلام يحتكر الحقيقة الدينية، فإن الديانات الأخرى السماوية بطبيعة الحال : وهي المسيحية واليهودية، شديدة القرب منه، وفي مقدورها أن ترشد الناس إلى الفضائل العظيمة والورع الشديد. وفي الأخير وما أن الحضارة المسيحية تجاوزت في الكثير من المسائل الحضارة الإسلامية، فإن من مصلحة هذه الأخيرة أن تتعلم منها⁷.

فهل من الشطط عندئذ أن نقرن اسم الشيخ سيديا بصفة إنساني ؟ خاصة وأنها غالبا ما نجد لدى هؤلاء العلماء المسلمين نوعا من الشك في أن منكوت الله على الأرض يجب أن يظهر في نوع من السيطرة المادية، وبالتالي فهم يذلون جهدهم، بحسن نية بطبيعة الحال، للتوفيق بين "مقتضيات الدين وضرورات العصر" ؟

⁷ ها تبدو بعض الموضات ذات الطابع الاستشراقي والتي لا تخلو من نظرة استعلائية مطلة لدى مؤلف بون ماري. وكان معن هذا الإشارة إلى أحزاب التي يصهر فيها نفوق ما أسماه بـ "حصارة مسيحية" على الحضارة الغربية الإسلامية. ومن جهة أخرى لا يستقيم هذا الخط الممعد بين المسيحية وبين مقدم السقي، المادي الذي أحرق به حصارة العربية الصاعدة، لحدثه (مترجم)

لقد ولد السمو الخفي لصعته، والمفسد لتي رها تحدث من حوله مبولاً إلى نوع من الإصلاح لدي. لكن يجب علينا أن نوضح هذه المسألة إذ لا يتعلق الأمر هنا بالبدعة (coupable innovation) في لعفصة، أو في الثقافة التي يرفضها العلماء المسلمون بشدة. فالشيخ لا يتعرض لنشوات في مجال التوحيد. فماأخذه وطموحاته لا تتجاوز إصلاح المسح فهو ينتقد عبارات قاسية أساليب البحث التي تعاني من الغلو والتي يرى أن جيرانه من المشايخ يستخدمونها بكثرة في بلاد السودان .

وهو يقر من حيث المبدأ بأن الفقيه يجب أن يعيش من صنعه لا أن يستعلاها لمصلحته، بل كان يقف "بازدراء في وجه الرعاة المدعويين إلى رعي قطيعهم والسهر عليه لا إلى قص وبره" (non alligabis os bovi trahenti). فهو يرفض تلك الصرق القائمة على الاتجار بالدين، والتي تكمن في إعلان بعض المشايخ عن أنهم "أولياء" و"أقطاب" من خلال زمرة من المتفعين، وبيع بركتهم بالتقسيط للزواج الخرافيين .

فما الذي يتبقى بعد تلك الجولات التي كان يقوم بها أولئك المشايخ لجمع الهبات والاتجار بالنفوذ، ومن تلك الجولات الدينية التي يتم فيها استغلال الهوس الصوفي الذي يرين على قرية معينة ليسلبها كل ما ادخرته من قوت لعام كامل وسائر خيراتها التي جمعتها بشق الأنفس ؟ ويخلص إلى القول : >> إن الأفارقة الزنوج يزعمون بأنهم مسلمون، ويعتقدون أنهم كذلك، إلا أن أغلبهم ليست لديه أدنى فكرة عن التعاليم الدينية، ولا يراعي أخلاق الإسلام ولا واجباته ولا شريعته، ونحن البيطان - وهو يشير بذلك دون شك إلى الشيخ سعد بوه - هم المسؤولون عن ذلك <<.

ومن هنا نرى أن هذه النزعات التجديدية ، التي لا تتعلق إلا بطريقة نشر الإسلام، لا تهدف إلى شيء أكثر من جعل بشر الإسلام بين الزنوج الأفارقة أكثر فاعلية، وتحويل إيمانهم الخرافي بالإسلام إلى إيمان قوى وممارسة قوية.

وقد أحس سبيح بكل ما تطوى عليه الحاة الدينية لأتباع الرسول⁸ من الروح الأفاقة من زيف، وكان يدرك بأن عاصفة سياسية أو تكنولوجية قوية، أو مجرد تطور اقتصادي قد يجمعهم يسكنون إلى ديانتهم الوثنية القديمة، ولم يكن يجهل ذلك بعد أن حصل بالفعل مرة واحدة على الأقل للجماعات السنغالية.

وصفوة القول هي أن هذه الإصلاحات قد ظلت على مستوى الميول لدى الشيخ، وكانت موضوع حواراته ودعوته، لكنها لم تعرف أبدا طريقها إلى التطبيق، ولم يجد الشيخ سيدي وما كان له أن يجد في مجتمع البيطان المحتاج، النجوع، تلك الكتيبة من الدعاة المتحمسين والمترفعين الضرورية للاضطلاع بالمهمة الجسيمة التي كان ينوي القيام بها. ولئن كان الشيخ سيدي يحرص شخصيا على الابتعاد عن تلك التصرفات المشينة التي يعيها، فإنه قد سمح لأهله وأتباعه بممارستها. ويجب الإقرار بأن أهم تلاميذه من الزوج، وهو أحمد مبا - الذي أصبح الزعيم الروحي للطريقة المريديّة السنغالية - لم يعر كبير اهتمام لهذا الجزء من الميول الإصلاحية الضعيفة لأستاذة القدم.

ولم يكن في مقدور الشيخ سيدي أن يصبح شيخا بيظانيا لو لم تحدث على يديه بعض الكرامات. لكننا نجد تكنمه المعهود في هذه المسألة. فنراه يلعب دور الممثل والوسيط للانتقام الإلهي "التربة" ضد بني حسان الغاصبين أكثر من دور المهرج بالمعنى الدقيق للكلمة.

وقد أصبح الانتقام الإلهي اختصاصا له : وسنذكر الكثير من تلك الحالات التي يقتض الله له فيها من خصومه.

فقد قام إبراهيم سالم⁹ ابن الأمير محمد الحبيب ووالد الأمير الحالي أحمد سالم الثالث يوما بالاستسلاء على إبل سبيح، فذهب هذا الأخير في طلبه فلما حاهه طلب منه إعادة عارضا عليه صفقة معينة فوافق إبراهيم في نهاية المطاف لكنه حلف ألا تكرر الحادثة أبدا، وأنه لن يعيد في المستقبل الإبل المنهوبة، فرد عليه الشيخ قائلا: (حسنا، لن تعيدها لكن اعلم من جهة أخرى أنك لن تأخذ بعدها إبلا أخرى أبدا). وبعد يومين بالفعل اغتيل إبراهيم غدرا على يد ابن عمه محمد فال ولد سيدي الذي باغته هو وشقيقه لبات والأفصح عند ساقية إدينيس بأمر من شقيقهم الأمير عني جسنبت.

وقد حدث أيضا في وقت كان في المختار ولد محمد ولد سيد أحمد زعيما لقبيلة أولاد دمان أن قامت سرية من هذه القبيلة الحسائية نهب إبل أتباع الشيخ. وكان ذلك عند الغروب ورجعوا بأقصى سرعتهم إلى أحيائهم لتفادي مساعي الشيخ، الذي أرغمهم بدعائه وتضرعه على إعادة جزء من الغنيمة. بيد أنهم ضلوا طريقهم وهم العارفون بمسالك الصحراء¹⁰، وظنوا أنهم في طريقهم إلى مخيمهم فوجدوا أنفسهم في الصباح عند مخيم الشيخ نفسه، فأحسوا بالندم أمام هذه الكرامة، وأعادوا المواشي المنهوبة إلى أصحابها وتابوا إلى الله.

وذاث يوم كان الشيخ سيدي في معركة مع قبيلة إحيحة فألقى على أعدائه حفنة من الرمل فلاذوا بالفرار.

ولنختم بهذه الحادثة التي حدثت مؤخرا. فقد هرب سيدي وولد السيد ابني محمد فال بعيد اغتيالهما لأمر الترابزة أحمد سالم الثاني سنة 1905م، وأخذا معها بعضا من إبل الشيخ، الذي يدينان له رغم ذلك بحياتهما

⁸ الأسماء التي يوردها المؤلف هي إبراهيم سالم وأحمد "سالم" ولا يترك هذا خطأ في كذا الاسم أم هو نسبة الأسماء إلى الأمكن أو إلى نسبهم من جهة الأم وهو. هذه النسب للأمير عني جسنبت أمهم بمكة وهو الرحمة على سبيل المثال وتجاء لإشارة أن ك سالم واحد أصلا لسعد ومترجم في النص قصاص الأثر في الصحراء (المترجم)

⁹ وهذه أصلا هي إحدى أعمال الساعة لدى مستشرقين وهم يحصلون استجوابها على عبارة "السلم" لأن دعاهم الأول سمنس دجه معناه من سمنس في صفة الدعوة اعتمادا (مترجم)

ونعيمها. فقال الشيخ سيديا: «من لن ترجع أندا إلى هنا إلا بعد أن تقعا في يدي وتعرضا لمذلة >». وقد حدثت تلك الواقعة بالفعل بشقيها فقد استسلم ولد السيد في نهاية المطاف عام 1910 م بواسطة الشيخ سيديا. أما سيدي فلا يزال حتى الآن منشقا، وإذا ما نجحت المفاوضات لتي تجرى حاليا، فإنه سيستسلم بدوره على يد الشيخ.

ولم يكن الشيخ سيديا كثير الأسفار خارج منطقة الترازة. فقد زار [العاصمة] سنت لويس Saint-Louis مرتين أو ثلاث مرات، وزار داكرا مرة واحدة بمناسبة زيارة وزير المستعمرات السيد ملبيز لأكروا Milliès-Lacroix لها سنة 1908م. وعلى الرغم مما عبر عنه غالبا من نية في الحج إلى بيت الله الحرام، إلا أنه لم يكن لديه أبدا من العزيمة ما يمكنه من أن يتخذ قرار الحج ويسلك صريقه، وربما يعود ذلك إلى الهموم المتنوعة التي سببتها له صراعات أولاد أبييري مع قبيلتي إجيجه وأولاد بالسبع.

ويمكن القول بأن الشيخ سيديا، الذي ورث وضعا قائما، وهو المفكر المتزن وعدو المغامرات، قد تمتع بحياة أكثر هدوءا واجتهادا في التحصيل والمعرفة مما يمكن لشيخ صحراوي أن يحلم به.

أما من الناحية البدنية فإن الشيخ سيديا كان طويل القامة، جميلا، ذا لحية وشعر أبيض. أقرب إلى البدانة وضعف البنية، وقد زادهما انعدام التمارين الرياضية، والموضة التي تتفاخر بها قبائل الزوايا. وكان على خلاف البيطان الذين يلبسون عادة القماش الغيني الأزرق يرتدي زي زعيم الطريقة وهو عبارة عن لباس أبيض من رأسه حتى قدميه مكون من سروال أبيض وقميصين كبيرين فضفاضين (لباس يسمى محليا بـ'السراعة') شسه بالجلابية الجزائرية، ورداء أبيض من القطن (يسمى محليا بـ'الحولي') وهو محل محل القلسوة غير المعروفة تقريبا في

موريتانيا¹¹، يلف حول الرأس تحت لا يظهر منه سوى حشمة والأف والعيان. وكان حينما يسوى اقدم إلى المركز العسكري بأبي تلميت أو الخروج من المخيم يحنذي، للركوب على ناقته أو فرسه، حفر أصفر من صناعة مغربية من نوع تقليدي يرتديه القواد العسكريون والرعاة الدينبون في بلدان شمال إفريقيا.

2- مخيمه:

يوجد مخيم الشيخ سيديا في أبي تلميت (وتعني مكان العشب الناعم) على بعد 1500 متر إلى الشرق من المركز العسكري. وكان هناك منخفض عريض (القاد) يفصل بين الكتيبين الرمليين الذين بنيت فوقهما على التوالي المباني التي تمثل مقر دائرة الترازة ومخيم الشيخ سيديا. وكان مخيم الشيخ سيديا يضم على الأقل مائة خيمة تنتشر بشكل عشوائي على عرض مساحة الكتيب للاحتماء إما من تدفق الأتربة أو من الهيارات التربة، أو غابات الأشجار الصغيرة وشجيرات التمر الهندي.

وتتنوع أشكال تلك الخيم وموادها المصنوعة منها. وقد صنع الجزء الأكبر منها، وفقا لحاجة مجتمع البيطان، من مزيج من وبر الإبل والغنم. إلا أن الكثير من خيام التلاميذ الفقراء كانت تصنع من القماش الغيني الأزرق. ويمكن أيضا مشاهدة بعض الخيام الجميلة المصنوعة من القماش الفرنسي الأبيض [يسمى محليا "ملكان"] وتبدو شديدة الشبه بالخيمة العسكرية الكبيرة المستعملة في شمال إفريقيا والتي يطلق عليها اسم "الخيمة" (marabout). وترتفع تلك الخيام على مساحة معينة بحسب عادة القبائل الموريتانية وتحاط بالستائر المعروفة. ولم تكن توجد بالمخيم إلى ذلك الحين الخيمة المغربية المعروفة باسم (الطراحية terrahia) المشهورة بفتحائها، باستثناء تلك التي أدخلها كبار المشايخ سواء كانت هدية حصلوا عليها من الحكومة العلوية المغربية أو اشتروها بمالهم. وكان مخيم

¹¹ والأصح هو القول بأنه غير معروفة في المجتمع العربي في موريتانيا مجتمع لسطون) لكن مأثورة لدى مجتمع القوميات الرحلة في السن (الترجم)

الشيخ سيديا يحتوى على اثنين منها حاله حال محيمي الشيخ سعد بوه
والشيخ أحمد بن سليمان شيخ قسبه أولاد ديمان.

وتكون إقامة الشيخ سيديا من ثلاث خيم جميلة وواسعة صنعت
اثنان منها من خليط من وبر الإبل والغنم، وهي بيت زوجاته وأبنائه
الصغار دون سن الرشد وإمائه. أما الثالثة فقد صنعت من القماش الأبيض
ويستعملها سكنا شخصيا له، ومكتبة وقاعة استقبال. أما بناته الكبريات
والمتزوجات، وكذا أصهاره، وكبار تلاميذه المقربين منه، فيوجد كل
منهم في خيمته أو خيمه.

أما أثاث بيت الشيخ سيديا فهو الأثاث المعروف في كل الخيم
البيطانية: حصائر، صناديق، وحفائب وأوعية، وأسرّة ذات أرجل للملابس
[وغيرها] ومضاجع من الجلد، وأغطية مصبوغة من الجلد تسمى محليا بـ
"الفارو"، وفي الأخير أدوات المطبخ المعروفة. ويمكننا علاوة على ذلك أن
نشاهد في خيمة الاستقبال بعض الزرابي والأرائك المصنوعة من الجلد
والكراسي الطويلة التي لا نجد لها في باقي الخيم.

وعادة ما يستقر المخيم في مكان واحد لكن لبضع سنوات فقط.
ويوجد مخيم الشيخ سيديا الذي كان يوجد في الماضي في حظيرة
مسورة (حوش) في تندوجة وفي تامرزيق (المكان المبارك) وفي
الملحس، وفي تيدي مولين، وفي الميمون (المكان المحظوظ)، وفي
الذراع الأبيض، وفي آجوير، وعلب آدرس، منذ تسع سنوات في أبي
تلميت. ويبدو أن الحدث الأخير لاستقرار الفرنسيين قد شجعه على
البقاء بالقرب من المركز العسكري. إلا أن المخيم لم يكن يستقر في
مكان واحد : فهو يتنقل كل شهرين تقريبا عندما يظهر روث
الماشية وإضرار الطفيليات بأصحابها أن المكان لم يعد صالحا، فيطوي
أمتعته ويستقر في مكان محاور على بعد خمسمائة متر، ويترك
للمشمس والعواصف الرملية والأعشاب مهمة تطهير المكان وهذا لا
يسمى 'رحيلا' بل تغيير المكان أو 'تبديل المراح'. وقد ظلت قطعان

الماشية ورعاها وقسم من ملائها حبيبي لقوى الانحاح
الموريتانية. ففي كل عام تسارع قطعان الإبل والغنم والماعز مع
مخيمات الانتحاح الصغيرة، عند قدوم موسم الأمطار في بداية فصل
الخريف عند الموريتانيين وهو منتصف شهر أغسطس (المعروف شليا
باسم "تودجي")، إلى الأماكن التي يوجد فيها الكلال والعشب. وهذه
الأماكن بالنسبة إلى أهل الشيخ سيديا، كما هو شأن بالنسبة إلى
بمجموع أولاد أبييري، هي مناطق آوكر وشميتيل، وآغان شمالي
منطقة الترازرة، ولا يعودون منها إلا مع بداية فصل الصيف في
منتصف شهر مايو عندما تكون الحشائش قد تلاشت إثر سقوط
الأمطار. ولا يبقى بالقرب من الآبار الموحودة في الجنوب سوى
الأبقار وقطيعين أو ثلاثة من الغنم والماعز : فلا يمكن للأبقار بالفعل
الاستغناء عن الشرب حتى عندما يكون العشب أحضر ورطب. أما
فيما يتعلق برؤوس الغنم والماعز القبيلة التي تتحلف عن اركب، فإنها
تشكل مخزونا من اللحم الطازج في متناول المخيم.

وقد بلغت الثروة الحيوانية لدى عائلة الشيخ سيديا وسيدي المختار في
إحصاء أغسطس عام 1910 م ما يلي: 300 رأس من الإبل، 380 رأس من
البقر، 105 من العجول، و4500 رأس من الغنم والماعز، و40 من الحمير
ونصفها من الخيول.

وكان التزود بالماء وسقي المواشي يتم عند ساقية أبي تلميت. وكان
الشيخ سيديا قد أعدها بعناية منذ سنوات في نفس الفترة التي بنى فيها إلى
جوارها في منطقة القود ذاتها قلعة مربعة صغيرة تحتوى على غرف
متوازية. وقد استعمل تلك القلعة لسنوات عدة، مخزنا للحبوب والكتب،
وعند قدوم الفرنسيين جعلها تحت تصرفهم. وقد ظلت تلك القلعة
(Casba) مشتركة نوعا ما رغم أن المركز العسكري قد بنى في تلك
الفترة. ويمكن أن نرى فيها على سواء تعايش ضئيل للصف الفرنسيين
المقيمين فيها في وثام تام مع تلاميذ الشيخ ورواره. وبعض الموططين الذين

استعملوها محلا مؤقنا لإقامتهم أثناء مرورهم بالمنطقة. بل كانوا يمحكون فيها لبعض الوقت. كانت تقدم فيها دروس مدرسه أثناء الشيخ الفنية تأتي تلميت. وإلى جانب القلعة بالقرب من مخيم الشيخ تنصب التجمعات التي تكونت نتيجة للوجود الفرنسي وهي: "أدباي" أو قرية الخدم السود المحليين الصغيرة، وبيوت ممثلي القبائل، وكذا الحدائق والآبار النابعة لمركز العسكري.

هكذا كان التجمع الحصري لأي تلميت يتكون من قطي جذب متحدين هما: المركز العسكري الفرنسي (مكاتب الدائرة ومقر المندوب السامي، والمدرسة، ومحل للمريض، ووكالة خاصة) ؛ ومخيم الشيخ سيديا وقد ضربا معا على كتيب رملي مشكلين صوقا حول قرية الخدم وبيوت ممثلي القبائل "النواب".

وقد أعطى التدفق المتواصل دون انقطاع لقطعان الماشية التي تشرب من كل الآبار، وتردد المرضى العضوين، الاجتماعيين والعقليين جيئة ودهابا بين محل التمريض ومكتب الحاكم العسكري، وبين مكتب الحاكم العسكري وخيمة الشيخ على الدوام لهذا الربع من الصحراء حيوية كبيرة نسبيا، فاكتست أبو تلميت المدينة- القبيلة، حلة العاصمة.

أما الآبار الأخرى التي تملكها قبيلة انتشايت فهي: بئر أنتورجه (24 منرا)، وبئر الميمون (30 م)، وتندوجه (25م)، وتامزقيت (26م)، وتيدي مولين (27م)، وبئر السيد (25م)، والشبارية (7م)، وعقلة حيمودان (5م)، والبلاطية (3م). وفي منطقة الفاي: لعقيلات (25م)، وتواجيل (12) (25م). وكان أولاد ابيري جميعا يستعملون تلك الآبار بحسب الحاجة. أما الشيخ سيديا فكان يعيش حياة هادئة وسط قومه. وكان على الدوام يعيش تحت خيمته ولا يخرج منها أبدا إلا ليمشي قليلا أمامها، أو ليذهب إلى المسجد ولم يكن يتحول أبدا في المحيم، ولا يتدخل في أي شأن من شؤونه.

وكان في عص الأحياء بحس نفسه أماما عديدة من وحتى بعده أسابيع في حمه. ولم يكن أحد يقرب منه في تلك الفترة لا من نسائه وأولاده، ولا من بني حسان المحاربين على وجه الخصوص، باستثناء أمة عموز كانت تأتيه بالحبيب. لدى يقتات منه والماء الضروري لطهارته.

وكان عندما ينوي الخروج من المخيم، يركب ناقته إذا كانت المسافة طويلة، أو فرسه إذا كانت قصيرة. وكان يرافقه ثلاثون من تلاميذه من مختلف الأعمار يتوكأ عليهم بلطف عندما يسير على قدميه، ويشدون أزره، ويحيطون به ويعضدونه. وتوجد هذه العادة أيضا لتكريم الأمراء وكبار الوجهاء. ولا يفارق كل هؤلاء الشيخ إلا بأمره الجازم مكرهين على الدوام. وتكرر نفس الطقوس في مخيم الشيخ عندما يستقبل ممثلا للسلطة. ويصبح الشيخ أكثر حرية عندما يتخلص من هؤلاء الناس فيبدأ بالتدريج في تفقد شعر رأسه، وفمه ثم خيته وقد يضحك بقوة ملء شفتيه حتى إنه ليصل أحيانا إلى حد القيام بحركات كثيرة وبخاصة إذا كان الموضوع مما يثير عاطفته.

وعندما ينهض ينف ردائه حول رأسه ويستعيد وقاره وتكلفه الذي تفرضه عليه العادات، ويسترد هيئته والضرورات التي يفرضها عليه أتباعه. وما إن يظهر على عتبة الخيمة أو القاعة حتى تتلقفه زمرة التلاميذ الذين ظلوا في انتظاره على أعقابهم. وليس المسجد بطبيعة الحال مبنى مشيدا ولا حتى خيمة، بل هو رقعة من الأرض يحافظ بعناية على نظافتها، محاطة بسور من الشجيرات المعمرة لا هي يابسة ولا هي رطبة. ويأتي الشيخ إلى المسجد، الذي يقع على بعد خطوات من خيمته، ليؤم الناس في معظم الأحيان.

لأنه مدين موقف واضح وسط أساء الشيخ وأصهاره وأساء إخوانه، فكان يحاول شق صريقه، وكان متوسط الذكاء والعدم.

ج- ميمونة : زوجة محمد اليدالي ولد أحمد ولد محمود من قبيلة أولاد ابيري عشيرة أولاد خادجيل، وهو فقيه بارز ومشهور بعلمه.

د- زينب: أرملة سيدي ولد محمد سالم من قبيلة أولاد ابيري عشيرة أولاد خادجيل.

هـ . و- رقية وسارة : وهما لا تزالان طفلتين.

وللشيخ سيدي زوجتان : الأولى هي فاطمة المباركة من أولاد ابيري عشيرة أهل أحمد الفاللي، وهي أم الأبناء الستة الكبار وكل البنات . وهي رفيقته الحقيقية في حياته. أما الزوجة الثانية فاصمة التي تزوجته في سن مبكرة منذ بضع سنوات فقط فهي أم الطفل الأخير: يعقوب.

أما سيدي المختار شقيق الشيخ سيدي، المعروف في شبابه بلقب "عمي" فلم يتزوج سوى زوجة واحدة تسمى محجوبة بنت الحبيب ولد المرباط وهي من قبيلة أولاد ابيري -أهل أحمد الفاللي . وقد ظل منذ أربعين عاما تقريبا ولا يزال إلى الآن الزعيم الإداري لقبيلة أولاد ابيري ضمن الظروف التي سنشرحها فيما بعد. وهو رجل شديد الذكاء، ذو ثقافة واسعة، ودود، لكنه ضعيف البنية، وهو محبوب جدا في كامل القبيلة. وكان يتنقل كثيرا بمخيمه من بئر لآخر من آبار القبيلة على الرغم من أنه غالبا ما يفضل العودة للاستقرار بمخيمه إما في ضواحي أبي تلميت على مدى يتراوح بين 8 و12 كلم، وإما عند بئر موسى. ويحتوى مخيمه على عدد يتراوح بين 60 و80 بيتا تقريبا يعيش فيه مع الشيخ وأبنائه وبناته معظم أحفاده وتلاميذه المقربين. ويعيش أبناء الشيخ الثلاثة كلهم - وهم محمد 23 سنة، وأحمد 21 سنة، وسيدي محمد بو عيدة 17 سنة، وهو اسم أطلق عليه إحياءا لذكرى جده سيدي محمد الخليفة والذي كانت قد سمته أمه بدوره - وهي زوجة الشيخ سيدي الكبير بهذا الاسم المدلل في

مخيم أبيهم . وقد تزوجت أربع من سادات سيدي المختار السبع هن: فاطمة وحديجة وعائشة وزينب، رجلا من قبيلة أولاد ابيري: تزوجت حديجة من ابن عمها للشيخ عبد الله ولد الشيخ سيدي. وتزوجت أختها مريم رجلا من أولاد ديمان، أما ميمونة وسارة فلا تزالان طفلتين.

وقد توفيت فاطمة الأخت الصغرى للشيخ سيدي وسيدي المختار في سن مبكرة ودفنت مع والدها وجدها في تدوجه.

أما محمد ولد الداه ولد داداه ابن العم البعيد (الدرجة السادسة) للشيخ سيدي، وأستاذه السابق، فهو قاضي قبيلة أولاد ابيري، وهو فقيه ومتصوف مشهور، وهو شخصية لطيفة للغاية. وكان يشرف على القضاء في القبيلة مع الاعتناء الحقيقي بالاستقامة والورع. وتضرب خيامه عادة إلى جانب سيدي المختار.

ويشكل أبناء الطالب ولد المختار وأحفاده محبة وحيا من أحياء قبيلة انتشيت. أما أكبر الأبناء وهو المختار فقد توفي. أما ابنه السيد الذي اشتهر في المجتمع البيضاوي بأنه شاعر شعبي و مغن فقد ذهب إلى الحج سنة 1900م بعد أن كان قد انغمس في متع الحياة في مراكش. وعاش حياته معلما في مدرسة وعندما باغته احتلال الفرنسيين لمخيم الهيبة في أغسطس عام 1912 م اضطر إلى الدخول في جوقه من المغنين مع أهالي الصحراء للحفاظ على حياته. وقد زاد قدوم الفرنسيين في تعقيد وضعه. فلم يكن الفرنسيون يحسنون التمييز، ضمن أولئك القوم الجاهلة، الغدارين بطبعهم والغاصبين بدورهم، بين تلاميذ الهيبة وبين القبائل البيضاوية الخاضعة لهم المشتتة في مراكش، فألقوه في السجن. إلا أن السيد ولد المختار وأحد أقاربه وهو أحمد محمود قد أطلق سراحهما بعد مساعي الشيخ سيدي وتدحلق الحاكم العام الفرنسي ورجلا على حساب السلطات الفرنسية إلى داكار، وعادا إلى مخيمهما الأصلي.

ويعيش بقية أبناء المطالب ولد المحار مع أبنائهم في تجمع انتشيت،
ونذهبون في بعض الأحيان إلى فونا ووالو وحتى إلى كايور وناور.
ممارسة التجارة وخاصة بيع الإبل. وقد كلف المحار بشكل خاص
برعاية قطعان العشيّة، وهو يوحد في "قداية" الشيخ سيديا وهم عبارة
عن نخيم متنقل من الرعاة.

ويشكر أبناء المصطفى ولد محمود حيا ("فريق") من أحياء قبيلة
انتشيت. وقد تخرج على يد الشيخ سيديا اثنان منهما وهما سيد احمد
والشيخ ومنحهما الورد (التعاليم السرية)، ويستعملها أمناء على أسرارهم،
ومبعوثين خاصين له.

انظر شجرة النسب أعلاه.

أ- الابن الثاني لأحمد دولة بن أبي بكر هو محمدن وهو جد أولاد
محمدن.

ب- الأبناء الثلاثة لآخرين لأبي بكر ولد انتشيت وهم الفاللي، وهو
جد أولاد الفاللي، وعابي، جد أهل حبت، وعبد الله، وهو جد أسرتين أو
ثلاث فقط.

ج- الابن الثاني لانتشيت هو عيسى جد أولاد عيسى، وهم قليلون.
لقد عرضنا نسب كل العشائر الحالية المنضوية تحت قبيلة انتشيت
والتي يشكل مجموعها عائلة الشيخ سيديا بالمعنى الواسع للكلمة.

4- زاويته:

تتمتع الزاوية وهي المركز الثقافي والديني الذي أنشأه مخيم الشيخ
سيديا، بأنها أكثر الزوايا في سائر الفصائل البظانية شهرة بالعلم والقداسة.
ومن أشهر أساندها.

أ- سيد المحار ولد محمد المحار، عام من قبيلة انتشيت مشهور
لدى الجميع.

ب- محمد البدالي، من عشيرة أولاد حادجيل، عالم مشهور لدى عامة
الناس لكنه كان على الأخص فقيها ونحوي فذا.

ج- أحمد ولد محمد سام، دعي فصاد أبي تلميت، فقيه فذا. من أولاد
خادجيل.

د- محمد يحظيه بن عبد اللطيف، (وتعني كما هو واضح حفظه الله)
وهو سليل أسرة من العمداء من قبيلة محنضا الله.

هـ- محمد فال ولد أحمد فال، مفسر ونحوي محترم، من قبيلة تدعة.
و- سيدي ولد همر، فقيه من قبيلة تاقيت.

ز- محمد ولد الداه ولد داداه، قاضي أولاد بييري، وفقه وخوي
(انظر أعلاه)، تعلم في مدرسة أهل محمد سلم، وهم إحدى عشائر
الروايا، وستحدث عنهم فيما يلي.

وجميع أساندة زاوية الشيخ سيديا من لبيضان.

وقد تلقى تلاميذ المدرسة جميعا ذكورا وإناثا، التعليم الابتدائي، أي
أنهم حفظوا القرآن عن ظهر قلب، وتعلموا تجويده ورسمة. وغالب ما كان
والد التلميذ أو والدته أو أحد أخوانه أو أعمامه هو من يشرف على
تعليمه. ويتوقف أبناء التلاميذ وأبناء الخراطين عادة عند هذا المستوى من
التعليم، في حين يواصل أبناء العصبة القبلية لأفحاح من الذكور والإناث
على السواء تعليمهم.

وتتصدر العقيدة تلك التعاليم، فدرسون أولا كذب العقائد
للسوسي، وكتاب الإضاءات للماوري، ثم يدرسون بعد ذلك لعناصر

إصرورية من افقه (كالصوء، والصلاة، والصوم والزكاة، والحج وغيرها). فيدرسون أولا الأحكام الشرعية والعبادات والشعائر على نحو ما، ثم بقية الفقه بالمعنى الحديث للكلمة. وبعد ذلك كتاب الأحضري، وابن عاشر، والرسالة، ويدرسون مختصر خليل، وفي الأخير تحفة ابن عاصم. إلا أن كل التلاميذ يظلون بعيدا عن الوصول إلى أولئك المؤلفين. أما فيما يتعلق بالموطأ والمدونة وكذا باقي كتب مختلف المفسرين، فإن نصوصها تدرس دون أن تكتب أو تحفظ عن ظهر قلب من طرف التلاميذ.

ومن الملاحظ أن هذا التعليم الفقهي ينتمي إلى المذهب المالكي كما هو الشأن أيضا في غرب القارة بأسره [وشمالها]. وبالإضافة إلى دراسة الفقه يشرع الطلاب في دراسة الجوانب التالية:

أ- السنة النبوية في صحيح البخاري ومسلم، وفي كتب السيوطي التي تتناول الأحاديث والتصوف.

ب- النحو : فيدرسون أولا الآجرومية (وهي عبارة عن نثر) ثم ملحة الإعراب للحريزي (وهي نظم) ثم ألفية ابن مالك، وفي الأخير الشروح ومنها كتاب التسهيل.

وبعد ذلك يتلقى الطلاب النجاء أسس العلوم التالية : الخطابة، والمنطق، والأدب وبخاصة أشعار الشعراء القدامى ما قبل الإسلام (شعراء الجاهلية)، والعروض، وفن الشعر، وعلوم اللغة، والصرف، والسيرة النبوية وسير الصحابة رضوان الله عليهم. ويستطيع الطلاب بعد ذلك متابعة كل الدراسات بإرادتهم وبحسب ميولهم الشخصية. فالشيخ يفضل كما يقول أن يفتح لهم آفاقا جديدة، وأن يمنحهم منها أكثر من أن يعلمهم شيئا ما.

أما التعليم الذي يقدمه لشيخ سيدي فهو التعليم العالي. ومع ذلك كان الموريتانيون يقصون الذهاب لاستكمال دراسة افقه لدى إحدى عشائر الروايا وهم أهل محسند سام. وكانت هذه العتيرة التي تسمى في الأصل إلى قبيلة مدلش، التي تمثل منطقة تبحريت بمجالها الجغرافي المصحود الذي تنقل فيه، قد انضمت إلى الأعداء الرقيبات خلال الحمة على آدرار . وعندما عوقبت بالاستيلاء على واحاتها ومحاصيها صلت الخضوع لفرنسيين بوساطة محمد تقي الله ولد محمد فاضل رعيم أهل الصاب مختار- أهل العبيدي في آدرار الذي كانت تربطهم به علاقات صيبة كما هو الشأن أيضا مع ماء العينين. وعندما حصلوا على الأمان جاءوا واستقروا لدى الرقيبات الخاضعين مع محمد ولد الخليل واستسموا للمصير ذاته. ويشكل ذلك الحي المتنقل مدرسة عليا للتعليم العالي في الفقه الإسلامي المشهور في سائر بلدان شمال إفريقيا. وكان الشيخ سيدي يرسل إليها من حين لآخر بعضا من تلاميذه. وقد يظن أن تعاليم أولئك الأساتذة، أنصار الشيخ ماء العينين سابقا موجهة ضدنا، لكننا نؤكد من نواحي عديدة - والشيخ سيدي أول من يؤكد على ذلك - أنها محايدة تماما، ولا بد بطبيعة الحال من فحص المسألة عن قرب.

وينحدر طلاب زاوية الشيخ سيدي من أصول مختلفة أشد الاختلاف : فمعظمهم ينحدر من تجمع القبلي الذي يضم انتشايت، وأولاد إبييري والتلاميذ¹³. إلا أن كل المناطق في موريتانيا : الترارزة (وخاصة قبائل تاغنيت، وإيدا بالحسن، وإيداو الحاج)، والبراكنة والعصابة (أمبود وكيفه)، وتكانت وآدرار، كانت تزود هذه المدرسة، التي هي بمثابة الزبون في المجال التربوي، بالأطفال والشباب.

¹³ "التلاميذ" كلمة عامة هي تحريف لكلمة التلاميذ المصحى، لكنها ترد في كثير من مصدع الكتاب معنسى معار وذلك من حيث مجال انطقها ودلالاتها الاجتماعية فسر كل التلاميذ "الاب" لكن كسر "سلامت" تلاميذ (انترجم).

ويعيش الصلات عادة على نفقة شيخ، وتعليم محلي بالزاوية ولا تقل مساهمة أهالي التلاميذ في نفقة آبائهم، في أغلب الأحيان، عن نفقة الزاد والملبس لأبائهم، وكانوا يرسلون معهم أيضا بعض الهدايا للشيخ. لكن الزاوية من حيث المبدأ ما إن تقل لتسبب حتى تكفى معاشه بجائنا سواء فيما يتعلق بتكاليف معيشته المادية، أو بتكوينه وتعليمه. ولا يمكن اعتبار استنساخ التلاميذ لبعض المخطوطات، ولا المهام التي ينجزونها في الأحياء المجاورة، الثمن الذي يتقاضاه الشيخ لقاء تعليمه. فلا توجد في بلدان المغرب تلك العوائد الناجمة عن إجبار مشايخ السودان لتلاميذهم على نطاق واسع، على العمل في حقولهم أو ورشهم. إلا أن هذا التكوين المجاني هو عبارة عن استثمار طويل الأمد. فسرعان ما يصبح الطلب الشاب، الحاصل على أعلى تنويع، بعد حصوله على الإجازة من الشيخ سيديا ومباركته وإحاقه بالطريقة، شيخا في بلده، إلا أنه يبقى على الدوام التلميذ الوفي لشيخه، يزوره كل عام أو يسلم لرسده جزءا من الزكوات والهبات التي يحصل عليها.

5- علاقاته مع السلطة الفرنسية:

قلة هم المشايخ المسلمون الذين استحقوا، بفضل تعلقهم ووفائهم، محبة الفرنسيين بالقدر الذي أظهر الشيخ سيديا أنه جدير به. وقد كان جده الشيخ سيديا الكبير أبعد ما يكون عن صداقة للفرنسيين. يقول عنه م.أ. لوشاتلييه A. Le Chatelier بأنه فعل >> إنه ساهم كثيرا في أن تحافظ منطقة البراكنة على مشاعرها المعادية لنا في منتصف القرن التاسع عشر. وقد شارك شخصيا في العديد من المعارك ضد قواتنا وبخاصة في

ومجد فيها أيضا نميلا معظم القوميات، الرخنة المسلمة في اسبغال: ونذكر منها أولا وبشكل أحسن: الولوف و التكرور و اللبو، لكن أيضا بعض افلان والماديبك ولسرقلة والمالكى والمبارا . وقد درس فيها مؤخرا محمد بشير ابن أحمد بمبا. ولا يعيش هؤلاء الطلاب مجتمعين وإنما يقوم الشيخ فور قدومهم بتوزيعهم بين مختلف الأساتذة ويقومون على اتصال بهم. ويقوم كل شيخ بتدريس جميع المواد لطلابه. ومن النادر أن يتابع أولئك الطلاب دروس شيخ آخر في الآن نفسه. فلا يوجد التخصص بين الأساتذة في المواد التي يتم تدريسها بل يوجد التخصص على مستوى مجموعات الطلاب فحسب. ويعيش الطلاب عادة في المخيم الصغير لأستاذه لكنه لا يعيش في بيته ذاته بل لدى أسرة من عبيده أو أتباعه يرسله إليها.

ولا يقدم الشيخ سيديا نفسه التعيين للأطفال عادة بل غالبا ما يأتي بهم إليه ليمتحنهم. وكان يأمر بجمعهم في بيته، عندما يلاحظ نقصا عند الكثير منهم في مسألة معينة من مسائل الفقه أو العقيدة أو غيرها، ويقوم بإكمال تعليمهم. وكان يجمع من حين لآخر أساتذة الزاوية وأعيان القبيلة الكبار في بيته أو في المسجد ويقوم بالتعليق والمداينة في مناسبة معينة حول حديث نبوي يتم اختياره بعناية، وكانت تلك هي طريقته الرسمية لتمرير تعليم ديني أو قضية نحوية أو لغوية بل وحتى نقاش سياسي، في القبيلة وحارجها، ولفرض نفسه أو موقف مناسب على غيره من أفراد القبيلة.

ومن النادر أن يجتاز الطلاب وبخاصة الأفارقة منهم مراحل الدراسة كلها. فكانت تلك الحياة الصحراوية البعيدة عن أهلهم وعما اعتادوا عليه في طفولتهم ترهقهم فيعودون إلى أوطانهم. أما سكان البلد الأصليون والذين تشبه ظروف عيشهم في مواطنهم ظروف العيش في الزاوية فكانوا يقعون لفترة أطول تصل إلى خمسة أو ستة أعوام دون انقطاع في معظم الأحيان.

عارة مخيم محمد سيدي في السادس من يونيو سنة 1856م. ويبدو أن وجوده وسط قبيلة أولاد أحمد سب من أسس العشلة الذي حل بنا¹⁴.

وقد قسم الشيخ سيديا بابا، الذي ورث بعض العقائد عن أبويه، حياته في شبابه بين صداقاته ومصالحه. فمع حفاظه على علاقات طيبة مع الفرنسيين في السنغال، وأصل مراسلاته مع تلميذه السابق إبراهيم النجاي، الذي ررع بعض القلائل في إقليم فوني بكازمانصر، وأرسل إليه بعض الهدايا. لكنه لم يتوان في الانحياز بشكل نهائي إلى جانب فرنسا، وإظهار تعلقه بنا دون تحفظ.

وقد ساعد بحثه أولا عن مصدحه بطبيعة الحال وذكائه الكبير من ناحية، وكذلك السياسة التي اتبعتها فرنسا في منطقة الترارة منذ سنة 1901 م من ناحية أخرى، إلى الوصول إلى تلك النتيجة المرضية.

وكما سنرى فإن الصراع كان على أشده سنة 1901 م بين أولاد ابيري وإحيجة في منطقة البراكنة. وبينهم وبين أولاد بالسبع في الشمال. وقد لجأ أولاد ابيري ومعهم الشيخ سيديا إلى أراضي قبيلتي أولاد ديمان وإداو علي، بعد أن تعرضوا للنهب على أيدي إحيجة، وأزاحهم أولاد بالسبع مرات عدة عن أراضيهم. وكانوا يأملون في الحصول من الفرنسيين، الذين استأنفوا نشاطهم السياسي الفاعل في الأراضي الواقعة شمالي نهر السنغال، على دعم يخرجهم من هذه الوضعية المقلقة. وبناء على ذلك انعقد التحالف مع كبولاني Coppolani ولم تحب آمال أي من الطرفين في الطرف الآخر.

وبالتركيز على الناحية الشخصية، كان الشيخ سيديا، الذي يدفع بدعائه وجامعي هباته إلى بلاد السودان، بحاجة إلى الحياء الإيجابي للسلطات

الاستعمارية الفرنسية في السنغال. لكنه أدرك بعد ذلك أن لقوته السي يمكنه أن يحبها نفوذه. من احتلالها لإقليم تگاس وأدرار [الموريتانيين]. وهذا هو الهدف الذي جعله يساعدنا بقوة. وهما أيضا تحققت آماله فقد أحكم سيطرته الروحية وبسطها في تلك المنطقة بأسرها.

ولئن كان ثمة تصابقا شديدا بين مصلحة الشيخ سيديا، الشخصية والقبلية، مع مصلحتنا - وهو ما دفعه إلى ربط قضيته بقضيتنا - فإن السياسة الحكيمة التي انتهجها كبولاني (المتوفى سنة 1905م)¹⁵، في منطقة الترارة، وسار عليها خلفاؤه من بعده بنجاح وخاصة الرائد عادن Gaden والنقيب غرهارت Gerhardt المتوفى سنة 1913 م، قد أسهمت من جهة أخرى في ذلك التقارب بدرجة كبيرة. فبفضل هؤلاء الممثلين الرائعين لسياستنا المحلية، عرف الشيخ سيديا السلطة [الاستعمارية] الفرنسية. ولا غرو في ميدان يعتمد فيه كل شيء على الأشخاص، أن يتحدث الشيخ سيديا دوما عن مسؤولينا بعاطفة جياشة وحمية تحتاج إلى الإفصاح عنها. ويبدو أن التردد على القواد الفرنسيين، وكما أقر بذلك الشيخ سيديا نفسه بمحض إرادته، لم يستطع المساهمة في تطوير خصاله من حيث حرية الفكر وسمو الأفكار.

ومن الصعب القيام بإحصاء شامل لأشكال لدعم المتنوعة التي تعتبر السلطة الفرنسية مدينة فيها للشيخ سيديا وأسرته وقبيلته.

فتراه منذ عام 1900م يوحد جهوده بجهود الشيخ سعد بوه لمساعدة بلانشيه Blanchet في مهمته في أدرار والعودة بسلام.

وكان في الفترة الفاصلة ما بين عامي 1902 و1905 م الذراع الأيمن والمستشار المقرب لكبولاني. فقد ساعد المدبوب الفرنسي بشكل متكرر نشاطه السياسي المتواصل بل وحتى الحربي لدى القائل، فساعد بذلك في

¹⁴ لو شاتليه، الإسلام في إفريقيا الغربية، ص 326.
¹⁵ قس على يد نطل مقاومة الرصه المورثانية سيدي ١٠ مولاي بون في محكمة (مراجع)

احتلال مدمر كانت 'شنتع' فيها نار مقاومة المسلحة شديدة، احتلالا سلميا قدر الإمكان.

ولم تكن كل المحاولات التي قام بها أصدقائه القدامى من المحاربين والزوايا لفصله عن الفرنسيين مثمرة. ولدينا الدليل على ذلك وقد ذكرناه في الملحق رقم (3)، وهو عبارة عن الرسالة التي بعثها حسنا ابن ماء العينين إلى الشيخ سيدي.

لقد كان ذلك الوفاء جديرا بالثناء، وقد ذهبت مواشي الشيخ سيدي أكثر من مرة، ضحية له.

وقد شهد مندوبو الحكومة العامة الفرنسية جميعا الدين تعاقبوا على موريتانيا من كبولاني حتى أيامنا هذه وهم : مونتاني كابدبوسك Montané-Capdeboscq (1905-1907م)، وغورو Gouraud (1907-1907م)، وباتي Patey (1910-1912م)، وموريه Mourer (1912-1912م)، وكل القواد العسكريين لدائرة الترارة، في تقاريرهم الرسمية. كما في مراسلاتهم الإدارية وفي مذكراتهم الشخصية على إخلاص الشيخ سيدي انتم ومحبته للفرنسيين. فقد أسدى من خلال سياسته المحلية الداخلية أو الخارجية، وفي إدارته لقبائل، بل وحتى في تعاليمه الدينية⁽¹⁶⁾، وعن طريق سنته الروحية خدمات جليلة. وقد وضع معظم المعارضين للوجود الفرنسي أسلحتهم إثر مساعيه القوية وطلبوا الأمان. وبفضله أيضا استسلم زعيم عصاة الترارة أحمد ولد الديد ابن الأمير محمد فال المتوفى سنة 1886 م هو وجماعته.

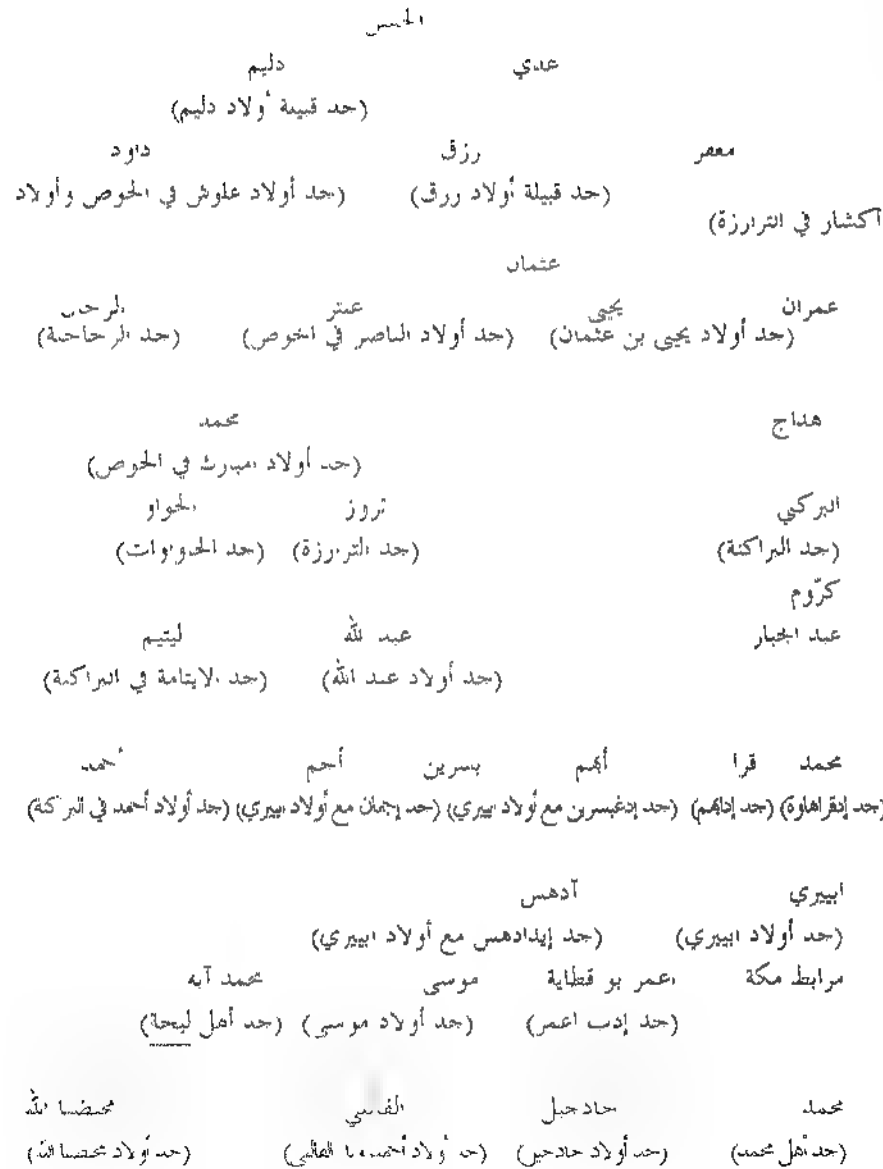
ولا يبدو أن هناك أحدا أجدر منه بالمكافأة السامية التي تقدمها الحكومة للشيوخ الخشيين الذين استحقوها بفضل الإخلاص الذي برهنوا عنه، والمساعدة الفعالة التي قدموها.

¹ ونحصد مراه في موضوع هؤلاء الفرنسيين، حققها الإداري أربولد، ونرجمها (رأى النسخة الفرنسية) ميشو
سنة 1951، ص 11.

ثالثا- قبيلة الشيخ سيدبا بالنبي: أولاد ابيري والتلاميد:

1- بنية أولاد ابيري وأصوفهم:

هذه هي شجرة أولاد ابيري :



وأسماء الأحاديث في شجرة الأنساب هذه هي أيضا أسماء كل العشائر التي تكون في الوقت الحالي قبيلة أولاد ابيري المهمة .

ويمكن اعتبار هذه الأنساب صحيحة انطلاقا من عبد الجبار وهو الحد المشترك. وقد مكنتني العديد من التحريات التي قمت بها لدى النسابين المحليين من مختلف المشارب من ملاحظة أن كل واحد منهم يصل بسلسلة النسب الخاصة به دون عناء إلى عبد الجبار. وتجدر الإشارة من جهة أخرى إلى أن عدد الأجيال التي تربط الأسر الحالية بعبد الجبار تبلغ حوالي اثني عشر جيلا. ولا غرو أن يحافظ معظم قبيلة أولاد ابيري الزاوية والمتعلمة على أسماء أجدادهم وصولا إلى الجد الثاني عشر.

لكننا عندما نتجاوز عبد الجبار صعودا لنصل إلى جده الثاني (البركني) نقع في روايات أهل الصحراء التي تنسب كل القبائل البيطانية المحاربة إلى حسان بن عقيل، أي إلى العرب الفاتحين أصحاب العرق النقي. إلا أننا هنا لسنا بصدد التأكد إن كان من المناسب تصديق تلك الروايات أم لا : فسنعرض لدراسة تلك الروايات فيما بعد. حسبنا الآن أن نعرف أن أولاد ابيري ينحدرون بحسب ما ترويه الروايات من البركني، وبالتالي فهم براكنة حقيقيون مع أن الناس لم يتعودوا على تسميتهم بهذا الاسم. إلا أن قبائل البراكنة المحاربة ومشايخ أولاد ابيري يعترفون بأنهم أبناء عمومة لذلك ربطتهم على الدوام أواصر المحبة.

ومن الجدير أن نضيف — وربما كان هذا هو الدليل الحاسم على عروبة أولاد ابيري — على الرغم من أنهم يعتبرون زوايا، أي أنهم قبيلة زاوية تشتغل بالعلم والتدين، إلا أنهم لم يتوقفوا أبدا عن حمل السلاح، والقيام بالحروب وشن الغارات. وعلى النقيض من ذلك نجد أن القبائل الأخرى حصرت دورها في المجال الثقافي والديني، وتدفع الجزية لقائل حسان اعاربة، ولا تقرب السلاح أبدا مهما حصل ولا تملكه أصلا.

وقد عاصر ابيري الحد الذي تسمت القبيلة باسمه بحسب ما ترويه روايات حوالي نهاية القرن السابع عشر. وقد استمر في ذلك حتى مع أخيه وأعمامه في المنطقة التي توحد بها سابقة تين دكسمي وربما كان ذلك عائلا إلى إعدة توزيع القبائل ضمن موازين القوى *declassement des tribus*، والتحويلات الاجتماعية الناجمة عن حرب شريفة الشهيرة. مات ودفن في انامير حيث لا يزال ضريحه مزارا حتى اليوم.

وقد عرف ابنه مرابط مكة بورعه وكراماته. واشتهر على وجه الخصوص بالكرامة التي تمت على يديه فيما يتعمق بسرقة قبيلة لعبد لبقرة له. فقد ضلت بقرة له طريقها وانفصلت عن قصيعها فسار هو مقفيا أثرها برفقة أحد عبيده حتى أوصله الأثر إلى محيم قبيلة لعبد. وعندما سألهم عنها صاحوا في وجهه وتعللوا ببراءتهم منها. فلم يلح الشيخ الصاح عليهم لكنه ما كاد يخرج من محيمهم حتى طلب من عبده أن ينادي البقرة فاستجابت لذلك النداء بسرعة من كل حذب وصوب، وصاحت كل قطعة منها : فصاح اللحم في بطون من نال منه، وصاح دمها وقروها وحوافرها وفضلاتها من الحفر التي دسست فيها، والأحزمة المصنوعة من جلدها، والنعال، والرحال والأسرحة، حبثما استعملت. وهكذا افتاد الشيخ بقرة التي تجمعت على ذلك النحو بساحة أمام لعبد المدعورين، ولم يستردوا صداقته إلا بعد أن تعهدوا له بدفع جزية سنوية قدرها شاة من الغنم عن كل بيت منهم. وهذا على الأقل تفسير المعين لسبب دفع كل أسرة من قبيلة لعبد هذه الشاة لأولاد ابيري وهي الجزية التي لا تزال قائمة حتى الآن. وينحصر اختيار محصلي تلك الجزية في عائلة أهل بابو وحدها من أولاد خادجيل. ويخول رجال هذه العائلة بالتناوب كل حسب دوره كل عام داخل العشيرة للسعي في طلب الجزية لدى المحاربين لعبد. ويتم تقسيمها بين أفراد العشيرة الفرعية أولاد خادجيل وحدهم وذلك بفضل اتفاق مسبق.

وفد سيد ضريح مرابط مكة بالقرب من تيفيل، مسور بسباح من
لأعصاب لسائكه، وهو مرار رئيسي على قدر من الأهمية.

وفد تكاثرت ذرية ابيري وأحبيه وأعمامه على مدى القرنين المواليين.
ولا تتضمن تسمية أولاد ابيري الآن "أولاد ابيري الخاصة" سوى العشائر
التالية:

أ- العشائر الفرعية الأربع : أهل محمد وأولاد خادجيل، وأولاد أحمد
وند الفاللي، وأهل محضنا الله وهم الأربعة أبناء الولي الصالح مرابط مكة
ولد ابيري ويسمون في بعض الأحيان بأهل مرابط مكة ويشكلون على
نحو ما الأرستقراطية القبلية الآبيرية.

ب- وتنحدر العشائر الثلاث : إدب اعمر، وأولاد موسى، وأهل
الليهة بدورهم من خلال أجدادهم : اعمر موسى، ومحمدآب من ابيري
. وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من العلماء لا يقبلون صحة ذلك الأصل
لعشيرة أهل الليهة .

أما تسمية أولاد ابيري منظورا إليها في دلالتها العامة 'أولاد ابيري
العامة' فتتضمن :

أ- العشائر المذكورة آنفا.

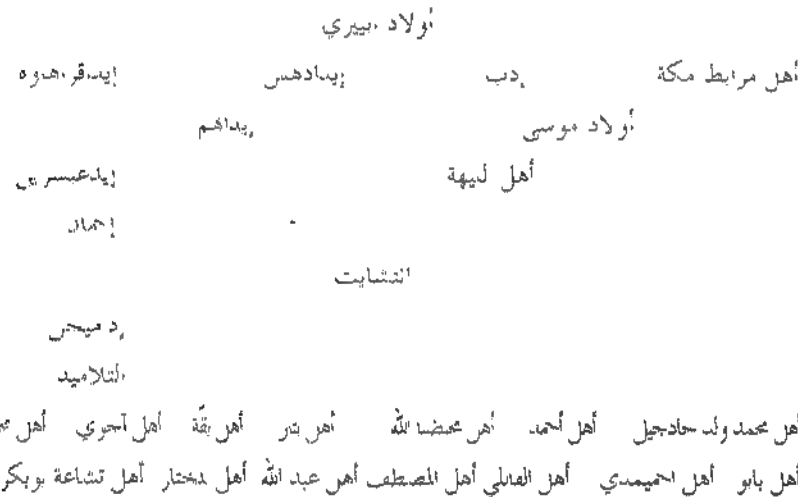
ب- كل العشائر الأخرى المنصوية الآن تحت مظلة القبيلة، والتي
ينحدر بعضها وهم إدادهس من آدهس شقيق ابيري، وبعضهم الآخر
وهم إيداقراهوة وإيداهم وإيدغبرين وإجمان من أجدادهم الذين ورثوا
منهم التسمية وهم : قراء، وأهم، وبسرين وأجم. وهم أعمام ابيري.
وتجدر الإشارة أيضا إلى وجود بعض الأسر من إجمان منذ عقود في
تكانت حيث يشكلون هناك عشيرة مستقلة، وإلى أن جزءا من إداهم قد
هاجر في نهاية المطاف منذ سنتين نحو مدينة كيفه (دائرة العصاة) فهؤلاء
على الرغم من أنهم يتمون إلى أولاد ابيري من الناحية العرقية إلا أنهم لم
يعودوا ناعين إداريا لشيوخ القبيلة ولا لسلطة مصقة الترابزة.

ج- انسابات أو عائلة الشيخ سيد :

د- إيدامجن استحدرون من مجن المجدي تسميت العشيرة . سيد،
وهو شريف من آل البت وصديق لاسيري . وفد عاشت هذه العشيرة
على الدوام مع أولاد ابيري . ويعرف معظم أعضاء لعشيرة إيدامجن
كلها بالشرف، إلا أن البعض منهم لا يحب نسبة ذلك اللقب إلا لأسره
أهل سيدي محم .

هـ- وفي الأخير كل التلاميذ الذين سنتعرض لهم لاحقا.

ويمكننا أن نخلص إلى الجدول الذي يمثل التقسيم الحالي لقبيلة أولاد
ابيري على النحو التالي:



2- بنية التلاميذ و أصولهم:

يطلق لفظ "التلاميذ" على خمس عشرة عشيرة من العشائر البيفانانية
تنحدر من أصول شديدة الاختلاف . وتتضمن كل منها عددا يتراوح
بين عشرة ومائة بيت، جاءت لتنصق بأولاد ابيري ولتعيش في كنف

الشح سيدب وركه . ويضم هذا التجمع عساكر من أصول راوية، وأخرى من أصول محاربة، وتلته في الأخير من أصول زناكية[صهاحية].

1- العشائر ذات الأصول الزاوية:

أ- إداغنية : عشيرة منحدره من غنية وهو الجد الذي تسمت العشيرة باسمه . قدم إلى أولاد ابييري واستقر فيهم خلال القرن التاسع عشر . ويبلغ عددهم الآن أربعين بيتا . يشربون من ساقية البلغان وعمقها (26م) وهي تقع على الطريق الرابط بين أبي تلميت ودقانة.

ب- أهل اتفاغه إميغن : وأصلهم من الركائنة (من قبيلة تندغة بالترارزة) ويشربون ساقية يارة وعمقها (24م)، وتقع على الطريق الرابط بين أبي تلميت و آلاق وتضم هذه العشيرة مائة بيت.

ج- بارتيل : وتعود أصولهم إلى مدينة ولاته، هاجرت منهم أسرة وهم أهل اتفاغه الخطاط إلى آدرار في القرن الماضي [القرن التاسع عشر] واستقرت هناك وتكاثرت. يشربون ساقية انتورجي والفغالية الواقعتين على الطريق الرابط بين أبي تلميت وتندوجة، ويبلغ عددهم ستون بيتا.

د- أهل القصري : وأصلهم من إيداو علي الترارزة، استقر جددهم القصري الذي تسموا باسمه لدى أولاد ابييري في القرن الماضي ولا يتجاوز عددهم بيونات قليلة.

هـ - الأغلال : وأصلهم من قبيلة الأقلال في آدرار وتكانت، وهم ذرية رجل من تلك القبيلة يعرف باسم المقدم، أقام في أولاد ابييري واستقر فيهم منذ قرنين من الزمن هو وزوجته فاطمة بنت محمد قلبي وأبائوه الذين لم يعرف منهم سوى واحد هو المختار. ويبلغ عددهم مائة بيت تقريبا.

و- إيدوعيش : وهم دربه إيدوعيس وهو الجد الذي حملت اسمه قبيلة إيدوعيش، وهو تلميذ محمد ولد مراط مكة ورفيقه . ولا يتجاوزون حيا بضع أسر، ويعشون مع انتشايت. يشربون نير مريم (25 م) وساقية المنحس (24 م)، و المزيريف (25م)، وساقية اعنيساية (26 م) ، وساقية الطرشان (27 م) والمغري (28م).

ز- الوقفة : وأصلهم من إحيجة البراكنة، ولا يتجاوز عددهم بضع أسر.

2- القبائل ذات الأصول المحاربة:

وقد تخلى هؤلاء عن نمط حياة بني حسان وتركوا سلاحهم وجعلوا أنفسهم أهل دين وعلم أو منمين، وسموا أنفسهم بـ "التياب" ومفردها تائب.

ح- التياب أولاد بوسعيد : وهم في الأصل من قبيلة أولاد الناصر في الحوض، ولا يمثلون سوى بعض الأسر، ويرتبطون بانتشايت بشكل خاص.

ط- التياب أهل اعمر : ينحدرون من قبائل بني حسان في ولاية الترارزة، ويشكلون خمسين بيتا، ويتباهون بسوء تربيتهم . وقد لاحظت السلطة الاستعمارية الفرنسية من جهة أخرى أنهم اشتهروا بميلهم إلى السطو المسلح.

ي- التياب الحجاج : وينحدرون من قبيلة الرحاحلة في الترارزة، ويضمون عددا يتراوح بين 150 و1200 بيتا، وجددهم شخص يدعى الحاج سمي بذلك الاسم لأنه حج بيت الله الحرام .

ك- التياب المقاليل : المنحدرين من قبية أولاد بغماش في البراكنة. ولا يمثلون سوى بضعة أسر ويشتهرون بغزارة العنم .

ل- التباب أهل بوبية : وينحدرون من عشيرة أهل أحمد في البراكسة، وهم كما ذكرنا سابقا أبناء عمومة لأولاد بييري. حافظوا على أسلوب عيش القنائل الحسانية، ولا يتجاوز عدد أهل أحمد بوبية بضعة أسر.

م- الدراوات : ينحدرون من قبيلة العلب، وعددهم ستون بيتا تقريبا.

ن- تركسز : وعددهم خمس أسر تقريبا، وينحدرون من قبيلة تركز الوافرة في الخوض .

3- العشائر ذات الأصول البربرية " الزناكية " (التابعة):

ص- إيداو بون⁽¹⁷⁾ : وهم ذرية إبراهيم (المسمى اختصارا ببن) وهو الجد الذي سميت العشيرة باسمه، وكان تلميذا لمرباط مكة. وقد عبر هذا التجمع - الذي يضم أكثر من مائة بيت وعددا كبيرا من المواشي والذي تعود أصوله إلى قبيلة مدلش، وهي نسبة مشكوك في صحتها- عن نزعة ضعيفة إلى الانفصال عن سادتهم القدامى. وقد سعوا بعد أن تم إلحاقهم بحزمة القبيلة، إلى تكوين عشيرة مستقلة وقائمة بذاتها.

ع- إيداكشمة : التابعين لعشيرة أهل محضنا الله التي كانوا يدفعون لها الجزية. ويبدو أن أم محضنا الله كانت امرأة من عشيرة إيداكشمة فجاء أقاربها واستقروا إلى جانبها هي وزوجها فكونوا بذلك عصبية تشكل اليوم عشيرة إيداكشمة. وقد ارتفعت منذ سنوات وتيرة الاحتجاجات بين هؤلاء التلاميذ وسادتهم فحدد الشيخ سيديا مقدار الفدية التي يؤدونها لهم بعشر مواشيهم من البقر والغنم .

وقد نسب محمد أحمد بوره، وهو من قبيلة أولاد ديمار في كنييه: 'رشد الأحبار إلى معرفة الآبار'⁽¹⁸⁾، نين دكسمي إلى إيداعسمه بقوله:

(وأصل كلمة تين دكسمي في اللغة البربرية (لغة آزنالكه) هو تين إيداعشما، أي ساقية إيداكشمة وهم إيداكشمة تلاميذ أولاد ابيري. وهي ساقية قديمة. ويقال إن أول من قدم إلى هذا المكان هو أليمان ديمار وهو جد قوم أحرار هم الديولماتة⁽¹⁹⁾، والذين يمكننا أن نذكر منهم العالم الصاخ أليمان أبوبكر. ويقال أيضا إن أطلال القرية الموجودة بالقرب من الساقية هي أطلال أولئك القوم)⁽²⁰⁾. ويجب أن نشير إلى أن "أواديه"، وأصل هذه الكلمة في اللغة البربرية "أوواديه" وتعني "الكثيب الجميل"، هو من كثنان تين دكسمي العلية. و"أوواديه" هو من أعلى الأماكن التي يمكن مشاهدتها. وقد عاش انقادس في تين دكسمي في بداية الأمر وكذلك أولاد ابيري، وبعد ذلك أولاد ديمار الذين لا يزالون فيها حتى الآن).

وبحسب العادات البيطانية فإن الهدف الأساس لذلك لتمييز هو الآتي:
أن العشائر الحرة في الأصل، سواء من الزوايا أو من الحاربيين، كانت جزءا لا يتجزأ من القبيلة وتدفع معها حصتها من الضرائب، ومساهمتها النقدية في الدية وتجهيز الجيوش. وعلى النقيض من ذلك فإن العشائر ذات الأصل الزناكي كانت معفاة من هذه الأعباء لكنها كانت تدفع، بحسب وضعها في النظام الإقطاعي. جزية أو "حرمة" للعشائر أو الشخصيات

¹⁸ كتب بطلب من رئيس القسم الإداري في الإدارة الاستعمارية الفرنسية عدد ونشره م. ياسه في أرست

باريس، 1931

ديپلماتش الحرائط

²⁰ ودعا قرية كانت توجع قبلي بين بحيرة قبار (بحيرة البركة) وسهر وقد استل به د. ديمار، (وهو من ك.) بعد الاحتلال الذي قبل منه علي الكوري، خوف من ودود الفص، في الصفحة يسرى لسهر وأسس ديمار ديپلماتش الحرائط

¹⁷ في نفس الزاوية وجدتم برام (مترجم)

الجرة التي كانت تعبر في كفها. وقد أدى قدوم الفرنسيين إلى المنطقة إلى قلب تلك التقاليد. فسرعان ما حاولت العشائر الرباكية التملص من الجزية التي كانت تؤديها للمشايخ، كما حاول المشايخ أنفسهم التملص من الجزية التي كانوا يؤدونها للمحاربين. وقد افتدوا أنفسهم إثر عقد اتفاقيات تمت تحت رعاية السلطات الاستعمارية الفرنسية لمنطقة الترازرة، لخائيا من ذلك الدين السنوي عن طريق تسديد مبلغ متفق عليه من المال ورؤوس الماشية يتم تحديده بالتراضي. وتلك هي حال إداوبرن وإيداكشمة في الوقت الراهن.

وكان آزانگه أنفسهم حالهم حال العشائر الجرة في الأصل يحملون داخل القبائل الزاوية اسم التلاميذ أو الأتباع. أما في القبائل المحاربة فقد احتفظوا على العكس من ذلك بتسميتهم العرقية آزانگه، ولا يزال بنو حسان يشيرون إليهم باسم "اللحمة" أو "لحمتنا" و"الأصحاب" أو "أصحابنا" وملكنوا والخاضعون لنا.

وقد آوى الشيخ سيدبا الكبير وكذلك حفيده سيدبا بابا وسيدي المختار في مخيمهم الكثير من أقنان بني حسان البؤساء هؤلاء الذين جاءوا ليحتسبوا بهم. وكانوا في معظم الأحيان يدفعون فدية للسيد الذي يأتي للمطالبة بهم. وكان سادتهم يترفعون في بعض الأحيان عن تلك الفدية بدافع من التقوى وتعظيما للشيخ وطمعا في الحصول على بركته. وكان هؤلاء التلاميذ الجدد الدين أنقذهم حق النجوى، يستخدمون في رعي قطعان الشيخ، أو يأخذون دورهم المكمل لعمل عبيده. وقد تحرروا الآن من رباطهم القانوني به ولا يعبرون عن اعترافهم بالشيخ إلا من خلال تقديمهم لبعض الهدايا في فترات معينة من العام بمحض إرادتهم.

وقد تسلل بعض المغامرين من كل الأصناف إلى هذا الحشد من التلاميذ الذي يحيط بالشيخ سيدبا وعشائر أولاد ابيري، وأخذوا يستغلون وضعهم، ويهبون أموال حيرانهم، أو يتجولون في الدوائر المحاورة لحسان الحاصر للاستفاد بركة الشيخ. وهذه التصرفات المعيبة لهؤلاء

الصعاليك هي التي أدت أحيانا إلى حدوث حجاجات في سعال وعيبا. فدافع الشيخ سيدبا عن نفسه من جهة بأنه أرسل بعض لعدة وجامعي الهبات دون إذن من حاكم العسكري لسانرة والسبغات المحلية. وطالب مرات عدة بأن يقدم كل شخص. يضبط في الدول الإفريقية السوداء وهو يستغل اسمه من دون أن يكون شغولا للقيام بذلك. إلى العدالة وأن يحكم عليه بأقصى العقوبات⁽²¹⁾.

ثمة فائدة أخرى للسلم الذي جاء به الفرنسيون وهي أنه أدى إلى التحرر الجزئي في تجمع التلاميذ هذا. فقد يحدث أن يترك عدد من تلك الأسر أو الأفراد، بدافع الحنين إلى موطنه، وقد تحرر الآن من كل خوف، الشيخ ويعود إلى قبيلته الأصلية. إلا أن هؤلاء القوم يقولون مع ذلك نلاميذ للشيخ وينشرون عن بعد سلطته الروحية بحيث أن تلك الهجرة لم تكن تسوؤه إلا في جزء منها فحسب.

3- تاريخهم:

يعلن أولاد ابيري دائما بأنهم لا يعتبرون أنفسهم مجرد قبيلة من قبائل الزوايا في منطقة الترازرة. ويعلنون أن موقعهم الجغرافي هو قلب بلاد البيضان كلها، يوجد في منزلة وسطى "بين البيئات" كما يقولون. وقد استطاعوا بفضل حكمتهم أن يُيقوا نسبيا ضمن هذا الوضع الخطير على علاقات طيبة مع حيرانهم بني حسان. ولم يكن تاريخهم منذ جدهم ابيري عديم الفائدة فهو يتلخص في الحفاظ على ثقافتهم خلال الصيف طلبا للكلا والمرعى. وتجدد الإشارة فقط إلى أن ابيري وأوائل ذريته كانوا يقطنون حول بن دكستى. وأن أولاد ابيري كانوا في ذلك الحين يرعون في كامل منطقة تيرس. ولم يسلموا من الخضوع لقانون الهجرة الدائمة

²¹ انظر الملاحق الملحق رقم (4-5) رسائل الشيخ سيدبا إلى دائرة الترازرة من أواخر سنة 1904 في سيراو.

نسكان الصحراء، إلا أنهم انتفوا بعد فريين من ذلك سارح ليستفروا في
سمواحي ألى بلمت وتير دوحة في حر أصحت نين دكستى الآن
ضمن المجال الجعراي لأولاد ديمان.

ولا يحو تاريخ أولاد ابيري منذ سنة 1850م من الإشارة إلى بعض
اصراعات التي خاضوها مع أولاد بالسبع ومع إحيحة. وكان أولاد
بالسبع وهم قبيلة دات أصول مغربية، تتكون من محارين شجعانا وتجار
موهوبين لا يزال إخوانهم في أحواز مراکش، قد هبطوا على طول الشاطئ
الأطلسي. وقد قادهم هجرهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،
إلى المناطق الخفية المحاذية لخليج آرकिन الصغير في رأس ثميريس. وسرعان
ما أصبحوا بفعل الضرورة أصدقاء وحلفاء للقبائل المحاربة في الترازة
ولأمرائهم. لكن علاقاتهم مع أولاد ابيري اتسمت، على النقيض من ذلك
بالمراة، والنزاعات على المراعي، والآبار والكثير من القضايا الأخرى.
فقد نشبت مرات عدة صراعات دامية بين القبيلتين. ففي عامي 1903م
و1904م تراجع الأميران أو من يزعم أنهما كذلك وهما أحمد سالم
وسيدي ولد محمد فال أمام الزحف السلمي لكبولاني نظرا لحساسيتهما
الخفيفة تجاهه وحصولا على اللجوء الواحد تلو الآخر لدى أولاد بالسبع في
الشمال. وكان كبولاني Coppolani على العكس يعتمد في سياسته على
الشيخ سيديا وعلى قبيلته أولاد ابيري، وهما واجه المشيقين والثوار في
الشمال. فازداد العداء بين أولاد بالسبع وأولاد ابيري بسبب ولاءهم
وتحالفاتهم. وقد تجسد ذلك العداء في فبراير سنة 1905م بحلقة مؤلفة من
الصراع خاصة للشيخ سيديا. فلم يكن تلاميذه بالقوة التي تسمح لهم
بالدخول في معركة متكافئة مع أولاد بالسبع، فأيدوا عن بكرة أبيهم في
موقعة أم آقينة في منطقة تجريت، وقتل على رأسهم زعيمهم محمد
خطاري ولد حمادي صهر الشيخ سيديا. وفيما يلي الكيفية التي روى بها
التقرير الساسي الصادر عن الإدارة الاستعمارية في موريتانيا في الفصل
الأول من عام 1905م هذه الواقعة :

في فبراير أرسلت سرية تكو من 250 رجلا أمرت من بلامند سبيح
سيديا، مسلحين بمدافع صنعت في عام 1874م، وسى كل رجل منهم
عشرين صلقة لمقاتلة أولاد بالسبع في الشمال. وقد طست هذه اسرية
المكونة على وجه الخصوص من شبان فيني احرة، حمستهم بعض
الانتصارات الطفيفة السابقة، أنها قادرة على مباغثة العدو، لكنها في الواقع
هي التي سقطت في الكمين ا فبعد أن استنفد أولاد ابيري ذخيرتهم كلها
دون تصويب دقيق نحو الهدف تقريبا، وقد رأوا الموت تزحف نحوهم فلم
يحاولوا الهرب، ووضعوا أسلحتهم أرضا واستقبلوا بالأدعية أسلحة
المنتصرين ونساقطوا الواحد تلو الآخر دون القيام بأية مقاومة. وكان
ذلك قدرا مقدورا. ولم يترك منهم أولاد بالسبع سوى عشرين حريحا
فقط. وقد كلفت هذه المعركة قوم الشيخ 135 رجلا و200 سديقة.

إلا أن أولاد بالسبع المنتشين بتلك الانتصارات عادوا إلى المهمة بعد
ذلك بعدة أشهر، وقاموا بنهب امواشي حتى وصدوا إلى القرب من أبي
تلميت إلا أنهم انهزموا في اير اللين بعد أن تعقبتهم جيوش أولاد ابيري
وأولاد ديمان، فقتلوا منهم عشرين رجلا وجرحوا عددا كبيرا وأجبروهم
على التخلي عن غنائمهم، وكان ذلك في منتصف يونيو سنة 1905م.
وكانت جماعة أولاد بالسبع في كل تلك الصراعات تحتج بصوت عال
بأنها كانت تقاوم أولاد ابيري بمفردها، وأنها تحترم الفرنسيين كل
الاحترام.

وانتهت هذه الحالة المرعبة على النحو الذي لم يكن متوقعا أبدا بوفاة
الأمير أحمد سالم الثاني في الثامن عشر من إبريل سنة 1905م، واستسلام
منافسه سيدي. وقد ساعد تدخل الشيخ سعد بوه لدى أولاد بالسبع في
التوصل إلى اتفاق بين القبيلتين تحت رعاية النقيب تيفانيو Théveniaut
القائد العسكري لدائرة الترازة سنة 1906م. وانتهى الصراع المفتوح بين
أولاد ابيري وأولاد بالسبع إلا أن روح العداء ظلت قائمة بينهما ولفترة

طويلة من الرمس، فكانت تنسب باستمرار بعض الاعتداءات الفردية على المراعي وعلى الآبار لأنهم الأساب.

ولم يكن صراع أولاد ابيري مع إحيجة أقل سحونة. وكان حادث مزعج قد حدث في عهد الشيخ سيديا الكبير حوالي سنة 1860م لم يكن له من أهمية سوى أنه سمح لأحداث صغيرة، في حياة بعض القبائل المجاورة، بأن تضع العلاقات الطيبة السابقة بين القبيلتين على المحك. فقد تشاجر رجل من أولاد الفاللي اسمه محمد ولد عبد الفتاح مع بعض آزنانگه التابعين لقبيلة إحيجة فهاجمهم على رأس قومه على حين غرة وقتل منهم ستة عشر رجلا، فوافق الشيخ سيديا الكبير على دفع الدية التي قدرت ب 16000 قطعة من القماش الغيني بعد تدخل بكار ولد اسويد احمد أمير إدوعيش الذي كان سيدا بالمشاركة لقتلى آزنانگه. وبناءا على ذلك لم يكن لنقضية تبعات أخرى.

وقد أدت بعض الخلافات حوالي سنة 1890م في موضوع آبار ثلاثة هي: بوطلحاية، وحسي العافية، وإغيجكل في أمشتيل، ادعت كل من القبيلتين ملكيتها، إلى إشعال نار الفتنة، فردادت المشكلة تفاقمًا بسبب خلافات مماثلة على أدباي شمامه. وفي الفترة الفاصلة بين عامي 1890م و1900م دخل الجانبان في العديد من المعارك الصغيرة يؤدي التفصيل فيها في هذا المقام إلى الملل. يكفي أن نشير إلى القبائل الحسانية المشاركة من كتنا الطرفين في تلك المعارك كل إلى جانب مشايخه. فسار أمير الترارزة أحمد سالم الأول وقريه سيد أحمد ولد بوبكر سيري، وعلى الأخص قبيلتنا أولاد دمان والعلب المحاربين إلى جانب أولاد ابيري. في حين حارب أمير البراكنة أحمد ولد سيدي علي وقومه أولاد عبد الله وحلفاؤه من التكرور الهلالية في منطقة شمامة لصالح قبيلة إحيجة. وقد كانت سلسلة المعارك الجدية شيئا ما بين قوم تقاتلوا دون اقتناع، وكانوا يسعون على الأحص إلى العيش على حساب 'الطللة'²²، تحت ذريعة الدفاع عنهم،

²² "الطللة" هنا تعبر عن المسمى أو الأسببه وهم من قبائل لروا (سرحم)

أكثر من مرة مقلقة لأولاد ابيري. وكاد الشيخ أن يخطف من محبته في أودن سنة 1896م ولم يجد خلاصه إلا بفضل تلامبذه الأفارقة اسود الذين ارتموا بقوة على عصبات إحيجة وأولاد السيد ونهكوههم.

وم يؤد تدخل الحاكم العسكري مرتين الأولى في فبراير سنة 1897م والثانية في مايو من نفس العام، والاتفاقات التي أعقبت ذلك بين المتحاربين الترارزة والبراكنة، وبين المحاربين والزوايا إلى أية نتائج. وبناءا على ذلك أعلنت السلطات أن الأراضي المتنازع عليها ملكية للحكومة الفرنسية في الوقت الذي أخذ فيه تكرور الضفة اليسرى للنهر في العبور شيئا فشيئا إليها وقاموا باستغلالها.

ثم استمر الصراع على أشده بين القبيلتين. ومع ذلك فقد حسم على الأقل في الظاهر لصالح أولاد ابيري فيما يتعلق بآبار الشمال. وكان على إحيجة المهزومين ترك أمشتيل وأوكار وذلك حوالي سنة 1899م، لكنهم أخذوا ثأرهم بأن عادوا إليهما، في السنوات التي تلت ذلك، وقاموا بنهب مخيمات أولاد ابيري بحيث أن هؤلاء بسورهم اضطروا إلى ترك القرى المتنازع عليهما، وتركزوا في أوكار. وسرعان ما هأوى البثران وتحولا إلى أطلال لعدم صيانتهم. وفي عام 1903م قام الشيخ سيديا، بعد أن تأكد من دعم كبولاني، ومستفيدا من حالة عدم حضور إحيجة للفرنسيين، وهي الحالة التي لا تحوهم المطالبة بأية حقوق، بالاستيلاء ثانية على الأرض المهجورة، وقام بترميم البثرين. بيد أن خضوع إحيجة للنفوذ الفرنسي أدى إلى تجدد النزاع سنة 1904م فطالبوا بإعادة ملكيتهم "لبثرين" فوراً ودون تأخير، فاحتج أولاد ابيري على ذلك. وبما أن القضية طال أمدها فإن المعارك تجددت من كل الأطراف: بين الحراطين والعبيد أولا، ثم آزنانگه فيما بينهم، وأخيرا بين الزوايا من كلا الطرفين. فقامت سلطات دائرتي الترارزة والبراكنة بوضع حد لتلك الصراعات بإبرام اتفاق بين القبيلتين. وقد تم التوصل إلى حل متفق عليه تحت رعاية لنقيب غرهارت Gerhardt الحاكم العسكري لدائرة الترارزة في السابع من فبراير

سنة 1912م. بير سيدي المختار سبخ أولاد ابيري، والمصطفى ولد حليفة
 ولد أوداعه أبرز وجهاء إحيحة الذي اتدبوه لذلك العرض. فتم
 الاعتراف بحق إحيحة في ملكية البئر لكن بحق للقبتين استغلال
 مياهما الوفيرة بما فيه الكفاية لسد حاجة الجمع. وتواعد الأهالي من
 الجانبين بشكل متبادل بعد أن رضي كل منهما بالحل الذي لم يخضعه
 لإرادة خصمه ومنحه نصف ثمار القضية، ألا يعيقا ممارسة حقهما
 المشترك في استغلال البئر. ويبدو أنهما أوفيا بوعدهما منذ عام 1912م
 حتى الآن.

4- الوضع الراهن:

يصطف أولاد ابيري في الوقت الراهن جميعا خلف الرعامة الإدارية
 للشيخ سيدي المختار شقيق الشيخ سيديا. وكان الأمر كذلك في الفترة
 الفاصلة ما بين عامي 1903 م و1904م عندما قام كبولاني Coppolani
 باحتلال الترازة على مراحل. وكان سيدي المختار في ذلك الوقت
 بمسك بقوة بزمام كل العشائر المشاكسة التي تحلم بمجيء يوم تنعم فيه
 بالسلام وبالمنازع اللذين سيحلبهما حضور الفرنسيين. إلا أن سير
 الأحداث غير ذلك الوضع بسبب ظهور بعض الميول العامة إلى
 الاستقلال، فظهر سلوك العصيان لدرجة أن الأهالي رفضوا الانصياع
 لدفع العُشور (الضرائب) تحت ذريعة أنهم تلاميذ الشيخ. وأصبح من
 الواضح أن الشيخ سيدي المختار لم يعد لوحده كافيا لقيادة هذه القبيلة
 الكبيرة، فعليا دون وسطاء. فطلب منه أن يعهد بكل عشيرة إلى رئيس
 يكون مسؤولا عنها يظل خاضعا له من الناحية الرسمية، لكنه يضمن
 شخصيا إدارتها وكذا جمع الضرائب. وتم ذلك في الثالث من يونيو عام
 1912م سواء بالنسبة إلى أولاد ابيري بالمعنى الدقيق للكلمة أو بالنسبة إلى
 تلاميذهم. وكان التلاميذ من جهة أخرى قد حُتموا تحت سلطة شيخ
 واحد مسؤول عنهم هو في أول الأمر الداوي ولد المصطفى من انتشايت

تم أصبح الراحل ولد الشير من يلدوعيش مسؤولا عنهم ابتداء من سنة
 1913م. ومنذ أن تمت هذه اللامركزية الحرة أصبحت الأمور مرضيه
 تماما. وبقي سيدي المختار الشيخ الرسمي لقبيلة كنها ومملها الشرعي،
 وكانت له سلطة عظيمة عليها:

>>> فالشيخ سيدي المختار، كما ينص على ذلك القانون المظلم، هو
 المسؤول عن مصلحة الضرائب التي ظل هو الوسيط في إبلاغ العشائر بها
 عن طريق فواتير خاصة بكل عشيرة تصدرها اندوبية السامية في أبي
 تلميت [المقيم العام الفرنسي]. أما فيما يتعلق بالعشائر فإن سيدي
 المختار ليس سوى وكيل للتبليغ عنها ونقلها، وبحق للقائد العسكري أن
 يستشير في موضوع الأقساط المطلوب دفعها، لكنه يقوم بإعداد العُشور
 بأسماء العشائر ويسلمها للشيخ سيدي المختار الذي يتولى إيصالها إلى
 وجهتها. وهكذا يكون سيدي المختار مسؤولا عن توصيلها فحسب، أما
 جمعها فهي مسؤولية تقع مباشرة على العشائر. وكانت العُشور تدفع
 مباشرة من طرف الأفراد للعشائر أو ممثليها الذين وكلتهم الجماعة. وقد
 ظل سيدي المختار وسيطا للتواصل مع العشائر، وتبقى لنا الخيرة في أن
 نتوجه إليه هو وحده بخصوص كل ما يخرج عن نطاق العُشور
 والضرائب، أو أن نتوجه على العكس من ذلك إلى العشائر من
 خلاله<<.

أما الشيخ سيديا فيتعالى على شؤون الحياة اليومية والمادية، إنه الرعيم
 الديني والمستشار السياسي.

وقد كانت الحالة المادية لأولاد ابيري، التي لا مجال للتركيز عليها،
 مزدهرة. وكانوا قبل المرحلة الأخيرة من الصراعات التي قذفت بهم خارج
 أرضهم، وأدت بالتالي إلى تناقص ثروتهم الحيوانية، قبل أن يتعرضوا للنهب
 من طرف أولاد بالسبع، قبيلة من أغنى القبائل الموريتانية. وروى الشيخ

أنه أحصى عدد الإبل عندما قسم مساهمة مالية فرضها الأمير على أفراد القبيلة فوجدها 30000 رأس . وانخفض هذا العدد عام 1908 م حتى وصل إلى 1500 رأس تقريبا على حد قول الشيخ سيديا . ولم يتوقف ذلك العدد عن الزيادة منذ عدة سنوات.

وكان تعداد الماشية في الثلاثين من مايو سنة 1913 م قد بلغ، بحسب البيانات المقدمة من المعينين أنفسهم - وهي أقل من العدد الحقيقي - ما يلي:

الخيل	13	رأس	الإبل	2108	رأس
إناث إحميل	26	رأس	الغنم	70580	رأس
الثيران	3640	رأس	الحمير	2302	رأس
إناث البقر	10073	رأس			

وكان أولاد ابيري شأهم شأن معظم قبائل الزوايا في مناطق الترابزة يضعون على البقر والحمير علامة "الحبارة" وهي العلامة الرئيسة مع علامات ثانوية أو "شواهد" خاصة بكل عشيرة على حدة.

أما بالنسبة إلى الإبل فإن العلامة العامة المميزة لأولاد ابيري هي حرف الباء (ب) أي الحرف الأول من البسملة . وكان الشيخ سيديا الكبير هو الذي جلب هذه العلامة "النار" من أساتذته كتنة سنة 1827 م . ولا تزال توضع الآن على الملكية الخاصة لعائلة الشيخ . ولم يتأخر أولاد ابيري حالهم حال العديد من العشائر المحاورة في تقليدها واضعين بذلك حيواناتهم تحت حماية بركة الشيخ .

وقد استعار الشيخ سليمان رعيم أولاد ديمان لدى مستحدث عنه لاحقا - بدوره علامة أسناده اروحى الشيخ سيدى كبير وهي لاء ب مع شاهد إلى جانبها وبذلك تصح علامته الكاملة .

ومن الغريب أن نلاحظ أن انتقال علامات الحيوان هذه يتم عن طريق السلطة الروحية.

وفي ذلك التاريخ بلغ محصول أولاد ابيري من الصمغ العربي منذ بداية العام 5000 كغ، وتم إحصاء إنتاجهم من البطيخ الأبيض ووصل إلى 12550 كغ.

وكانت تجارتهم مع السنغال عن طريق بودور، ومع تكانت وآدرار مزدهرة للغاية . وقد أدت العشور التي كانت تؤدي في بادئ الأمر لها لكثرتها بسبب وجود المركز العسكري إلى انتشار العديد من العملات داخل القبيلة وهو ما أدى إلى تطور كبير للمعاملات بشئ أصنافها.

أما الزراعة فكانت ضعيفة كما هو الشأن في سائر البلاد الصحراوية التي لا توجد فيها الواحات. أما الصناعة غير المتطورة والتي تقتصر على حاجات البدو فتتخصص كلها في طبقة الصناع وهي من الفئات الموجودة في أسفل الهرم الاجتماعي . ولا تختلف الصناعة عند أولاد ابيري عنها في القبائل البيطانية الأخرى .

أما الآبار الرئيسة التي يسقى منها أولاد ابيري مواشيهم فهي على نوعين:

أ- الآبار السطحية : وتوجد بالمفرد أو بالجملة ويتراوح عمقها بين متر واحد و15 مترا، وتسمى بالعامية "العقالات" أو "الحسيان" ومفردتها "حاسي".

ب- الآبار المعنى لدقيق للكلمة، ويكون عادة متباعدة ويتراوح عمقها بين 25 و60 متر، وتسمى بالعامية "الآبار" ومصردها "بر".

والآبار الرئيسة الخاصة بكل عشيرة محددة في الوثيقة المكرسة لهم أعلاه. ولئن كانت تلك الآبار ملكا للعشيرة فإن استغلالها يكون مشتركا لدى القبيلة بأسرها. ويوجد علاوة على ذلك بعض الآبار التي تعود ملكيتها واستغلالها مشترك إلى عامة القبيلة.

والآبار الرئيسة هي: بئر الله وعمقه 27 مترا، معليلة 30 م، المغربي 30م، النقورة 32 م، القريرات 30 م، بوتورجه 25م، بوحفرة 25م، التاديشة 26م، تاطرات 25م، المنبوع 25 م، التويرسات 23م، سويدي 24م، إيغرم 4م، الناقة 2 م، بالغربان 7 م، حسي الجدي 6 م، لمبيدعة 5م.

وبلغ عدد المدارس القرآنية، التي تم إحصاؤها سنة 1912م 37 مدرسة، وبلغ إجمالي طلابها 348 طالبا. وتحتوي هذه المدارس-الحميم عادة على عدد يتراوح بين 5 و15 طالبا في الخيمة الواحدة. ولا توجد مخيمات واسعة للأطفال. ولا يدخل السواد الأعظم من الأطفال، ذكورا أو إناثا الذين يتلقون تعليمهم مباشرة على يد أبويهم، في العدد المشار إليه وهو 348 طالبا وبالتالي فهم لا يذهبون إلى المدرسة. وعلى الرغم من أن التعليم عادة ما يكون مجانيا في المدارس، إلا أن العادة جرت بدفع مساهمة محددة يومي الاثنين والأربعاء حيث يأتي الطفل عند قدومه إلى المدرسة بكمية قليلة من الذرة، في حين تبعت الأسر الموسرة أكثر من ذلك، وبذلك يطعم التلاميذ معلمهم.

رابعا- نفوذه:

بعد نفوذ الشيخ سيديا كبيرا وهو يشمل القبائل البيطانية وبلاد السودان في السنغال وغينيا على حد سواء.

1 نفوذه في موريتانيا :

يعلم نفوذ الشيخ سيديا بالتأكد على سوريناسا من هر اسسعل إلى شمال ولاية آدرار، ويحظى اسمه فيها باحترام كبير. فلا تزال توحىاته واقتراحاته، حتى وإن خرجت عن المجال الديني، مسموعة بنوع من الإجلال، ومطاعة سرور في أغلب الأحيان.

1- نفوذه في الترازة:

ومن الطبيعي أن يكون تأثيره الروحي في الترازة، حيث يؤدي حضوره ووعيه إلى تجديد الشعور الديني، أقوى من غيرها أولا لدى المحاريين أولاد بن دمان ولدى أولاد دمان وبالأخص لدى الفرع الأكبر من عائلة الأمراء (أهل محمد الحبيب). ويمثل الفرع الأكبر حاليا سيدي ولد محمد فال الذي لا يزال خارجا على السلطة في منطقة تيزنيت، وأخوه الأصغر أحمد ولد الديد قائد الجيش الشعبي المحلي (goum)²³، لعشائر بني حسان في أبي تلميت. ولم تتأخر مساعي الشيخ سيديا - التي كانت قد أدت إلى خضوع الأخ الأصغر للفرنسيين - في إخضاع الأخ الأكبر بدوره على أي يضمن له الحصول على وضع مناسب إن أمكن.

وقد ظل مخيم الشيخ سيديا طوال فترة الصراعات الداخلية الكثيرة والدامية، التي مزقت أوصال عائلة الأمير محمد الحبيب منذ اغتياله سنة 1861م، في أغلب الأحيان، ملاذا للمقهورين واليتامى. وكثيرا ما مارس الشيخ سيديا، الذي كان يتمتع بمخيمه باعتباره المسؤول عن وضع حد للفوضى الدائمة في موريتانيا، "حق الحماية"، الذي يذكرنا كثيرا بـ "حق السجوء" الذي وفرته الكنائس والمعابد في حكم فرانك والمجتمع الإقطاعي. وقد لجأ إليه أيضا تائبا إلى الله أحمد ولد أوتي وهو آخر من بقي على قيد الحياة من أهل اعلي ولد الخمليش الذين أبعدوا جميعا سنة 1861م على يد أنشاء الأمير محمد الحبيب الذي كان هؤلاء قد اغتالوه لتوهم.

²³ أصبح لرسا (اسم رسم)

وبالمنزلة أوى اسبح أسديا بن الأمير محمد قال القاصرين وهما سيدي ولد السيد وأحمد ولد لزيد وأنشد حياهما بعد اغتياله سنة 1886م . كما أوى كذلك في محبته سنة 1900م سيدي محمد ابن محمد بونا ولد اعلمه زعيم أولاد أحمد بن دمان، الذي كان الأمير أحمد سالم انتاب قد اغتاله لنوه عن طريق أحمد ولد ابراهيم سالم.

ولم يكن ثمة بد من أن تؤدي صداقة الشيخ سيديا هذا مع الفرع الأكبر لعائلة الأمراء حتما إلى فتور معين مع الفروع الصغرى التي يمثلها حايا الأمير أحمد سالم الثالث ابن ابراهيم سالم . لكن هل يعزى ذلك أيضا إلى أن الأمير يتلقى الدعم من طرف الخصم الديني للشيخ سيديا وهو الشيخ سعد بوه زعيم الطريقة الفاضلية في الجنوب.

أما لدى الزوايا فإنك لتشعر بدعم كامل للشيخ سيديا في قبائل تافنيت، وأكبر تلاميذه في تلك القبائل : سيدي محمد الطالب وأخوه محمد أحمد ابني اتشفاغة الحماد. يوجد ضريح أبيهم في الظهر ، وإيدا بالحسن، وأشهر تلاميذه فيها : الشيخ الحسن وهو شيخ القبيلة سابقا، وكذلك أبنائه الكثيرون، وابنه بالتبني عبد الله ولد حبيب الله وهو من العشيرة الفرعية إيدا وقشالا، وهو بائع متجول في السنغال وموريتانيا للكتب العربية التي يشتريها من التجار المغاربة عند مرورهم بالبلدين. وللشيخ نفوذ جزئي لدى إيداو الحاج و تاگونانت، وقليل عند تندغة.

ونحب علينا أن نشير إشارة خاصة إلى أولاد ديمان، الذين أسس فيهم شيخ كبير هو الشيخ سليمان تلميذ الشيخ سيديا الكبير وصديقه، فرعا لقادرية الشيخ سيديا سنة 1850م. و شجرة نسب هذه العائلة - التي تدعى كما هو الشأن لدى أولاد ديمان عموما - الانتماء إلى الخليفة أبي بكر رضي الله عنه. انطلاقا من الحد ديمان الذي تسمت القبيلة باسمه،

وهو ابن حميد محمد اعمرر الشفق بنالي من أبناء تشمينة اشمسة²⁴ - هي على النحو الآتي:

ددر

محمد يعقوبان الله (حد أولاد يعقوبان الله) محمد أبو محض

↓

سيدي العالي (حد أولاد سيدي العالي) برك الله (حد أولاد برك الله) بابا أحمد (بوية أبو ميه)

الفاضلي

محمد عيمرة

أحمد سالم

الشيخ سليمان المتوفى سنة 1862 م

أحمد المتوفى سنة 1884 م

سيديا أبو مدين الشيخ سيد

أحمد سالم سيد أحمد الجواد الشيخ سيد أحمد أبو مدين محمد سيدي لختار (29 سنة) (27 سنة) (25 سنة) (20 سنة) (18 سنة) (16 سنة) (13 سنة) (7 سنوات)²⁵

والشيخ سليمان الذي ينتمي إلى عشيرة أولاد يعقوبان الله، إحدى العشائر الفرعية في قبيلة أهل برك الله، هو عالم جليل مات سنة 1862 م تاركا خلافته الروحية لابنه الشيخ أحمد. وهو بدوره عالم جليل ألف كتباً

²⁴ انظر شجرة السبب الكامنة لأولاد ديمان في الملحق رقم [6]

²⁵ يمكن اعتبار شجرة نسب أولاد ديمان، حالما حول جميع سلاسل نسب الروايات البربر، صحيحة ربما وصولا إلى الحد البربري وهو بالنسبة محضر أو محمد اعمرر وهو أحد الإخوة الخمسة أبناء تشمينة اشمسة، منسوس بالبربر، أو عن الأقل وصولا إلى حميد ديمان وهو أحد بني تشمينة أما ما وراء ذلك فإن سنة البربر إلى سلالته عربية، بما هو محض اختلاف.

مختلفة يتعلق أحدها بأصول القبائل الحسانية وقبائل تشمشة الموريتانية²⁶، أما الكتب الأخرى فهي كتب دينية. ويتمتع الشيخ أحمد بنفوذ كبير سواء في القبائل الراوية أو الحسانية مثل أولاد أحمد بن دمان. وكان بالفعل قد تزوج إحدى بنات عائلة الأمراء أهل اعل شظورة تسمى خديجة بنت أحمد ولد الليقاط. وقد ظل على الدوام على صلة روحية بأستاذه الشيخ سيديا الكبير. توفي سنة 1884 م ودفن في تين يخلف حيث يشكل ضريحه مزارا رئيسا يؤمه الناس.

وقد خلفه ابنه الأكبر محمد الذي عادة ما يطلق عليه الفرنسيون، على الأقل، اسم جده الشيخ سليمان، ويبلغ الآن من العمر إحدى وخمسين سنة، وتسمى أمه خديجة. يوجد مخيمه في ضواحي ساقية بودفية على بعد مسيرة يوم شمالي المذخرة. وهو رجل في غاية الذكاء، عالم، وحسن المشورة²⁷. وقد أظهر في مرات عدة قوة وطاقه روحية. ولا مرء في أنه شخصية متميزة. وكان يحلم في بداية احتلالنا لموريتانيا سنة 1903م بتوسيع نفوذه بحيث يقسم القبائل البيطانية إلى أكبر عدد من القيادات الدينية. عين فيما بعد سنة 1906م، عندما أنشئت القيادات الكبرى لقبائل الزوايا في منطقة الترازرة، شيخا أعلى لعامة أولاد ديمان، وكذا العشيرتين الآخرين من تشمشة الخاضعتين آنذاك للنفوذ الفرنسي وهما : إيديقب وأهل برك الله، فكان في ذلك مفيدا للغاية، ونجح في استمالة كل العشائر المشتتة في هذه القبيلة المهمة إلى جانبنا الواحدة تلو الأخرى. إلا أن غير بعض مرؤوسيه، وعداوة بعض خصومه الطموحين ومكائدهم، قد أوصلت إلى حد لم يتأخر فيه مواجهة انقسام قيادة القبيلة وهو ما وافق عليه الشيخ سيدي محمد عن طيب خاطر في سبتمبر سنة 1911م. لكنه

²⁶ كمدالية تشمشة وهي عبارة عن خمس قبائل صحاحية دخلت في صراع مرير تحت قيادة ناصر الدين مع فائل بني معمر (المعاصرة) العربية في حرب سرسة المشهورة التي أنشروا إليها مساقا وهذه القبائل هي إيديقب، أولاد ديمان، بيه انشماعة، إيدواي، إيدقهي (المرجم) ²⁷ القول بأن المربري له أصول عربية هو محض افتراء انظر في هذا الخصوص René Basset, Mission au Sénégal, fascicule III, p.449.

ظل رعيما لعشيرته المرعية أولاد برك الله. وقد خرج أحمد سام أكبر أبناء سيدي محمد الثمانية على السلطه الاستعمارية الفرنسية سنة 1906 م رفقة صديق الطفولة والدراسة سيدي ولد محمد فال زعيم الفرع الأكبر من عائلة أمراء الترازرة. ولم تشر كل المساعي التي بذلها أبوه لثنيه عن عزيمته، فحزن الشيخ لذلك فهو لم يكن يوافق على هذا الوضع المؤسف، فأعلن أن أحمد سالم يقوم بدراساته العليا في مراکش. وقد ترك ذلك الشاب أبناءه عند والده.

ويعيش أبناء الشيخ سيدي محمد الآخرون في كنفه باستثناء أبي مدين، التلميذ السابق في مدرسة سنت لويس، والذي يدرس الآن في مدرسة أبناء الشيوخ بأبي تلميت، ومحمد الذي يوجد في المذخرة ذاتها ويدرس في المدرسة الفرنسية.

وقد خرج على السلطه الاستعمارية الفرنسية، الشقيق الأكبر من شقيقي الشيخ سيدي محمد وهو الشيخ سيديا الذي كان يسمى بهذا الاسم تيمنا بالشيخ سيديا بابا منذ سنة 1908م. وكان قبل ذلك من أنشط أعوان كبولاني Coppolani وبقي في مخيمه الذي لم يقع احتلاله سنة 1905م وعاش فيه حتى سنة 1908م يتأمر ويبحث عن دور فيه. ذهب إلى الحج في ذلك التاريخ، واستقر لبعض الوقت في آدرار ثم سافر إلى مراکش ليستقر هناك ويعيش حياته بصفته شيخا عالما. وبعد إقامة دامت عدة أشهر في مراکش هبط في اتجاه تيزنيت وتوقف عند قائد المخزن عيد الجراي ووصل أخيرا إلى تيزنيت، حيث لا يزال يعيش هناك في حاشية ماء العينين. كان مستشارا محبوبا ومسموع الكلمة عند ابن أخيه الأمير أحمد سالم والأمير الشاب سيدي. ويشكل ثلاثتهم هم وعيدهم آخر تجمع في الترازرة لا يزال خارجا على السلطه الاستعمارية الفرنسية وقد تزوج سيديا بنت النحوي من أهل اتفاغة الحطاط وأنجبت له ولدا.

أما أبو مدين الإبن الثالث من أبناء الشيخ أحمد، وهو صهر الشيخ سيديا، فيعيش في مخيم هذا الأخير.

وقد تحرر النفود الروحي لسنح سيدي محمد بشكل كبير لدى قبيلة أولاد ديمان الذين يخضع الكثير منهم لرعامته الروحية. وأولاد يعقبان الله كنهم تقريبا أنصار لصريقته. أما بقية عشائر أولاد ديمان فهم متحررون من الروابط الصوفية ويتباهون بصحة إسلامهم وعدم انتمائهم إلى أي من الطرق الدينية.

وقد جعلت الشروات الرعوية الوفيرة التي يمتلكها الشيخ سيدي محمد (قطعان الماشية والعيبد) وأهمية الحرم (الجزية) التي يحصل عليها من تلاميذه آزانكا، وعلاقات القرابة التي تربطه بأمرأ الترازرة، وشهرته بالعم والتدين، من محييه واحدا من أكثر المخيمات نفوذا في منطقة الترازرة. وكان الأمراء يختارون بإرادتهم مستشاريهم السياسيين والشرعيين من أسرته. ويتحدث الناس أيضا عن التأثير الذي مارسه أحد أبناء عمومة الشيخ سليمان - وهو محمد بابا ولد اعيبد من أولاد يعقبان الله طوال حياته كلها - على فكر الأمير محمد الحبيب (1827-1861م) الذي كان قاضيا له.

وقد ورث الشيخ سيدي محمد عن أبيه أحمد بعض الطلاب في بلاد السودان. لكن بما أنه لم يكن يهتم بالدعوة إلى الدين، فإن نفوذه من هذا الجانب، قد بدأ في الانحسار. ومن أهم أتباعه امباكي ككي الذي كان يقيم في جلف Diolf منذ سنين وهو يقيم الآن في باول Baol (من أعمال لا La)، ومامادو مام الذي مات لتوه. لكن ابنه الذي يتزعم منطقة أهلة بالسكان لا يزال تلميذا لأولاد ديمان وهو يقيم بكوكي (من أعمال كايور)، وأخيرا مامادو ديوب أندوي، وعبد الله سك وهم الثلاثة مزارعون في ريفسك وينتمون إلى مجتمع الليبو (Lebbou) وهم تلاميذ مباشرين لأبي مدين شقيق الشيخ.

ويملك الشيخ سيدي محمد علاوة على ذلك، في منطقة شامة الموريتانية، قبالة دقانة عند تفرع سكاهم النهر، قرية من الزنوج الأفارقة

تسمى كبير أهل سليمان، أهلها نصف عبد ونصف تلامذة. يعملون حسابه في الحقول الزراعية التي تقام بعد فيضان سهل.

ويحتوى المخيم الذي يرأسه الشيخ سيدي محمد، العشائر الفرعية لساية التي تم إحصاؤها وتسجيلها لدفع ضريبة الزكاة سنة 1913م على الأرقام الآتية:

أهل الشيخ سليمان	1.606.30
أهل امبارك	250.05
التياب اعيبة + أهل المختار	273.90
التواجين	306.30
أهل المعروف	139.50
التياب أهل عتام	227.5
المجموع	2.808.15

وقد أعطى إحصاء العشور في نفس المخيم الإحصائيات التالية:

لوقان كبير جيد	105.....
لوقان كبير رديء	36.....
لوقان صغير جيد	31.....
لوقان صغير رديء	11.....

وقد بلغ إجمالي العشور 14.125 كيلو غرام ، 4.237 كيلو غراما منها من الذرة منها 750 كلغ دفعت عينا، والبقية دفعت نقدا بمبلغ يصل إلى 988.75 فرنك فرنسي.

أما الآبار الرئيسة للشيخ فهي في الجنوب وهي: بوفية (15م)، وهو مركز إشعاع أولاد ديمان منذ قرن من الزمن، العقلا، والنوشارة (2 م).

حاشي أعمر (١٩٠٦م)، وفي (لسر (لشمار) عقلاط أمسقى، بير الحرب،
ونير محلل.

ولم يبق ممن تجدر الإشارة إليهم من تلاميذ الشيخ سيدي الأساسيين في
منطقة الترارزة سوى عائلة الحاج ابراهيم في تين تمرزين وفي بل الحرت.

وكان الحاج ابراهيم الذي توفي في الآونة الأخيرة قد ولد على حد
قوله ببغداد حوالي سنة ١٨٥٣ م. وبعد أن حج بيت الله الحرام قدم إلى
إفريقيا طلبا للرزق، فأقام في طنجة بعض الوقت، وانتهى به الأمر إلى
البحر إلى غينيا حوالي سنة ١٨٧٥ م. فلم تنجح تجارته إلا بنجاح جزئي فعر
غينيا والسنغال في اتجاه موريتانيا واستقر في مخيم الشيخ سعد بوه في
اتوزكت حوالي سنة ١٨٨٠ م. وهناك ولد أبنائه جميعا : الأكبر مولاي،
وهو رئيس العائلة في الوقت الحالي، وابنا آخر وخمس بنات. ثم جاء
ابراهيم بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ لينصب خيمته في مخيم الشيخ
سيدي ويستقر به نهائيا. وكان على وجه الخصوص معلم مدرسة، تعلمت
على يديه أجيال كثيرة، واحتفظت بذكرى رائعة عنه.

ويعيش ابنه مولاي في تمرزين على شهرة والده، إلا أنه تعلم بما فيه
الكفاية حتى لا يكون محل استغراب في الأوساط البيطانية. وأخذ في جمع
الهدايا التي كانت تقدم لأبيه، وسعى للحصول على هبات أخرى في بلاد
السودان. وهو يعمل الآن في السنغال على بناء مكانته باعتباره شريفا من
آل البيت وهو ما لم يتحدث عنه والده، وهو يدرك جيدا أن تلك الميزة
تكاد تكون ضرورية للنجاح لدى الشعوب الإفريقية السوداء الداخلة في
الإسلام.

ويؤكد مولاي ولد الحاج ابراهيم أنه التقى في طفولته في توزيكت
بالمستكشف فابير Fabert سنة ١٨٩٤ م الذي سمي نفسه سيدي مسلم،
وتلقى بعض الدروس في اللغة الفرنسية على يديه. وكان لمولاي ولد

الحاج ابراهيم بعمل فطنته ودكانه، على اسوم علاقات طيبة مع السلطات
الفرنسية في الدائرة. ولم يكن يمن من الاعتماد على اسحق سيدي. وكان
عندما ينتقل في رحلة إلى اسنغال لجميع الهبات يبقى في بعض الأحيان
شهورا عدة في قرية واحدة لعدم أهليتها.

2- نفوذه في البراكنة:

للشيخ سيدي نفوذ كبير في منطقة البراكنة، وهو يمارس ذلك النفوذ
أولا بشكل كبير لدى أولاد أحمد الذين هم - كما أوصحننا سابقا- أبناء
عمومة أولاد ابيري وحلفاؤهم اتقليديون في حروبهم القبلية. وقد استفاد
فرعا الأسرة الحاكمة في عشيرة أولاد بوبكر في تلك القبيلة وهما أهل
اهيمد وأهل مبارك ولد سيدي من خدماته. فبواسطته وبعد محاولات
عدة خضع الإخوة الأربعة : صنييه، اهيمد، وسيد احمد، ومحمد أبناء
أمبارك ولد سيدي ولد بوبكر للمستعمر الفرنسي في الفترة الفاصلة ما
بين عامي ١٩٠٩ و١٩١٢ م. بل إن الأخ الأكبر صنييه وهو الزعيم السابق
لأولاد أحمد، والرئيس السابق للجيش الشعبي المحلي الفرنسي. قام عند
عودته من المغرب سنة ١٩١٢ م باعتزال الحرب عدة أشهر عند الشيخ
سيدي معلنا "توبته إلى الله" أي التخلي عن حياة المحارب والتحول إلى زوا
يطلب العلم والمعرفة. وكان في الإمكان ألا تتحقق قرارات التوبة ولتسين
هذه، النابعة من فشل بعض الطموحات، لم تعزرت لظروف.

أما زعيم الفرع المنافس بيرام ولد اهيمد، وهو الشيخ الحالي لأكرم
عشائر أولاد احمد، الذي قاد جيوشا شعبية محلية في العديد من المرات إلى
جانبنا، فقد سجن في كونا [بالسنغال] مدة ثلاث سنوات عام ١٩٠٧ م
بسبب مساعدته ليكار ولد احمياده أمير أولاد نغماش على الحرب.

وكان تدخل الشيخ سيدي لصالحه، أيضا في هذه المسألة، هو الذي
أدى منذ سنة ١٩٠٨ م إلى تخفيف عقوبته.

وقد اسد نفوذ الشيخ سيديا أيضا، سيحة لعلاقاته الطبية مع قبيلة كسته في أرواد [على] وهم الأساندة الروحانيون لحد. ليشمل عشائر كسته ثلاث المشنة في منطقة الراكية : كسته المعمرين (أساء المعمر)، وكسته البكائية الذين يسمون أيضا بأهل الشيخ سيدي المختار، وهم الجيل الرابع المنحدر مباشرة من الشيخ الكبير سيدي المختار الكنتي المتوفى سنة 1811 م. عن صديق له باب أحمد، وأحيرا كسته أولاد يوسف وهم فصيلان : "لكحل" (السمر)، وهم قوم أبرز أتباعه وتلميذه السابق محمد ولد سيديا ولد أحمد، قاضي العشيرة ؛ و"البض"، لكن نفوذه كان أقل في أوساط هؤلاء .

3- نفوذه في تكانت :

ويظهر نفوذ الشيخ سيديا بقوة في مختلف عشائر قبيلة كسته في تكانت: أولاد سيدي الوافي، وأولاد سيدي بوبكر، وأولاد البج، وأولاد التناكية، وأولاد سيدي حي بالله.

وكان الزعيم الكنتي العجوز المختار ولد الحامد، زعيم أولاد سيدي الوافي، قد تلقى من كبولاني Coppolani كل أصناف المنافع. وكان هو وقومه قد دعوا من الحوض وعادوا إلى الاستقرار ثانية في الأراضي البور القديمة التي كان إيدوعيش قد طردوهم منها، واستطاعوا أن يعيدوا فيها تشييد قراهم ومساكنهم : الرشيد وقصر البركة.

وإذا كان المختار ولد الحامد لم يستطع أن يورط معه في خيائته (28)، التي لا تغتفر في نهاية أكتوبر سنة 1906 م معظم العشائر الخاضعة لسلطته، فإننا مدينون في جزء كبير من ذلك للشيخ سيديا. فقد أدى تدخله المتكرر إلى إبقاء العديد من زعماء العشائر الكنتية الأخرى مثل محمد

المختار ولد محمد آبه شيخ عشيرة أولاد التناكية، وصمبارة ولد حطر، شيخ أولاد سيدي بوبكر، وسبيدي ولد سيدي محمد شيخ أولاد البج. ومعظم عشيرة أولاد سيدي حي بالله، تحت إمرة سيدي محمد ولد سيدي أحمد بسبب غياب شيخهم، على الطاعة وأولاء لفرنسا. ولا بد من الإقرار من جهة أخرى بأن هؤلاء الزعماء لم يكونوا يحون أندا تسلط الشيخ محمد المختار، رغم أن البعض منهم مثل صمبارة والكثير من قومه تلاميذه الروحانيون. ومنذ ذلك اليوم لم تتوقف تلك العلاقات الجيدة عن التطور، ولم ينفك رسل الشيخ سيديا وتلاميذه، الذين كانوا يتوجهون إلى تشيت وولاته وكنته أزواد من البقاء لبعض الوقت في كتنه تكانت.

يجب أن نذكر كذلك العشائر الزاوية الصغيرة مثل أهل لبات وآسكارا، وأحيرا القبيلة المحاربة الكبيرة إيدوعيش التي كان يشملها نفوذ الشيخ سيديا ولو بشكل جزئي جدا. ويظهر ذلك النفوذ على الأخص بشكل محسوس لدى عشيرة أهل اسويد أحمد الحاكمة، أمراء إيدوعيش سابقا، والتي يعود أحد أفرادها وهو عبد الرحمان ولد اسويد أحمد الزعيم الحالي لعشيرة أبكاك. ولعبد الرحمان هذا وإحوته الكثيرون، الذين يجدر بنا أن نشير منهم إلى عثمان والحسين خاصة، علاقات متواصلة مع الشيخ سيديا، ويتبادلون معه المراسلات والرسائل والهدايا.

ولا ينتمى التجمع العجيب للمتعصبين (29) القظف، الذي يقع مركزه في أوجفت، (آدرار) ولكنه يعيش الآن حياة الرحال في تكانت، والذي يعلن أنه على الطريقة التناذلية، إلى طريقة الشيخ سيديا. وهم يشكلون مجتمعا صغيرا شديدا الانغلاق والخصوصية، يمارس نوعا من التصوف

28 يشير المؤلف هذه العارة إلى انقلاب ظل المقاومة الوطنية المسلحة المختار ولد الحامد على المستعمر وبعلا مقاومة بعد أن حصل منه غير بعض الأسلحة والعتاد (المترجم)

29 سم إلى أن يعطى التعصب من الألفاظ التي اقترنت في لغة مؤيد بروح المقاومة ورفض للاستعمار الفرنسي (المترجم)

استطرف، والاحتلال الحلفي التسع. وسدهم الشيخ سيديا تماما من الباحية الدينية. ومع ذلك أقام أخوه سيدي المحار مع شيوخ هذه الطريقة الدينية الجديدة، وهما الغزواني ومحمد الأمير ولد سيدي، علاقات صداقة ومصلحة في آن واحد.

ويوجد في واحة تشيت شرقي تكانت، تجمع صغير من الشرفاء تحت سلطة محمد الأمين ولد الشيخ المختار، خضوع بنوع من الانقياد لنفوذ الشيخ سيديا الذي يتبادل معه الرسائل بشكل مستمر ويستعير منه الكتب. وقد أظهر ذلك الشريف الثري العالم، الذي هذبه الشيخ، منذ قدوم كبولاني Coppolani إلى تجكجة، التي قدم إليها دون تأخير لإعلان خضوعه، موقفا مواليا للفرنسيين لم يحد عنه إلى يومنا هذا. له بعض الطلاب³⁰، يقدر عددهم بعشرين طالبا.

4- نفوذه في آدرار:

لقد نصح الشيخ سيديا بشدة باحتلال آدرار. وكان يرمى من وراء ذلك إلى تحطيم وكر الغاصبين والخارجين على السلطة الذين لم يهابوه، وكان يرغب في استبداله بنفوذه هو الصامد بصعوبة أمام سلطة أهل ماء العينين المظفرة. وقد أثر ذلك جزءا كبيرا من النتائج التي كان يتوخى الوصول إليها. حيث يوجد نفوذ الشيخ سيديا، الذي أصبح كبيرا في الوقت الحالي، لدى القبائل التالية:

أ- إيداو علي: نجد أن نفوذه قليل لديهم بالنظر إلى الطابع الخاص لهذه القبيلة. ويتعلق الأمر، في هذه الحالة، بتجمع صغير منحدر من شقيط ويعيش في أوجفت يرأسه الشيخ محمد الحسيني ولد بابا ولد فال

³⁰ في بعض النسخ اسم الربوي (الشرحي)

الحير. ولهذا الشيخ، الفادري الوحيد ضمن عسائر إيدو علي كنه. علاقات مستمرة مع الشيخ سيديا. وقد أرسل إليه مرات عدة وحاضبه في عام 1912م بمواشيه وتلامذه على إثر وقوع بعض الاضطرابات والجفاف والمخافة في آدرار.

ب- كتنة ودان: وشيخهم الحالي هو سيدي ولد الشيخ ولد سيدي ولد سيد احمد. وقد ارتبطت هذه العشيرة الكتنية القوية والثرية من كتنة آدرار بعداوات مع أبناء عموماتها في أزود (مالي). وكانت على الدوام في صراع مفتوح تقريبا مع الفاصلية في موريتانيا سواء أكانوا أهل ماء العينين أو أهل سعد بوه. وقد ساعد ذلك الوضع في تقريبهم من الشيخ سيديا الذي تربطهم به علاقات ممتازة.

ج- قبيلة السماسيد: وهي قبيلة شديدة الانقسام من منظور التبعية الروحية. ويتبع الكثير من تجمعاتهم الصغيرة طريقة الشيخ سيديا.

ولم يستطع الشيخ سيديا الدخول إلى قلب أمير آدرار الشاب أحمد ولد عيثة³¹، إلا بعد اعتقاله وسجنه بداركار، وهما الأمران اللذان ساعداه على ذلك.

وقد بذل الشيخ سيديا في السنوات الأخيرة، عندما بدأ الأمير يتألم من وضعه المهين، ومستقبله الغامض، جهودا لدعمه معنويا وماديا. فكان الشيخ سيديا، مدفوعا بالحرص الواقعي، من أوائل الذين نصحوا بإعدته على إمارة آدرار. والآن وبعد أن استعاد سيد أحمد ولد أحمد عيثة يد من حديد قيادة القبائل، أصبح الشيخ سيديا في وضع مناسب لمطالبة بثمان لخدماته السابقة، مبرهنا على قدرته على تقديم خدمات جديدة. والتغلغل بقوة لا في قبيلة أولاد يحيى بن عثمان فحسب، بل في كامل المنطقة.

³¹ أحمد آدرار، رموز المقاومة الوطنية مسجحة وانشاء، راند حو.

5- نفوذه في بلاد السودان .

لقد قامت سلطنة الشيخ سيديا بروحية ولرمسة في الجزء الواقع على الضفة اليمنى لنهر السعيل من منطقة سماعة (دائرة ليراكمة- مديونية بوقى) منذ أمد طويل . فهو سيد العديد من القرى السوداء (آدوابه) التي يقوم الحراطين والتلاميذ والعبيد بزراعة الأراضي المجاورة لها في فترات فيضان النهر. وزعيم هذه الآدوابه في امبانيك هو التكروري إدريس ولد ممدو المنحدر من بوسيا (Bossea) . وتعد هذه الوظيفة متوارثة في عائلته الكانانكي، وقد خلف فيها عمه عمار الكبير . وهذه الأباوات التي يقدمها هؤلاء إن لم تكن النسبة الأكبر فهي على الأقل الأضخم من مداخلين الشيخ سيديا.

وكان الشيخ سيديا الكبير في فترة مضت (حوالي سنة 1840م) السد الروحي الحقيقي للمنطقة الممتدة حول النهر من حاي حتى سنت لويس. وكانت فوتا على وجه الخصوص المجال الذي يحظى فيه بانتعاض على غيره من المشايخ الآخرين . إلا أن التكرور تحولوا بشكل جماعي في الفترة الفاصلة ما بين 1850م و1860م إلى طريقة احج عمر [الفوتي] التجانية التي شرها في فتوحاته في العالم الزنجي وظل الزوج متمسكين بها. ومع ذلك لا تزال نعت في فوتا على بعض التجمعات القادرية التابعة للسلطة الروحية لشيخ سيديا ومنها:

- في مقاطعة حاي : تجمع فوديه عبد الرحمان الذي توفي منذ سنوات في درامانيه . وقد جلبت كرامات هذا الشيخ له بدوره بعض الأتباع في كامو وقيدي ماغا، وأشهر هؤلاء الأتباع معلم المدرسة والإمام السرقلي : فوديه هارونا سيسى، الذي يبلغ من العمر 72 عاما وهو من سكان بوللي (من أعمال كيدي ماغا- سيديباي). كان أبوه قاضيا في بلاد كنگارة. وشارك في معارك باكل وبادو ولاكي وقبمو سنة 1886م، وامتد نفوذ الشيخ ليشمل محافظتي بران ودياورا.

تلك هي حصينة نفوذ الشيخ سيديا في بلاد البيطان . ومع ذلك ينبغي ألا نغفل الإشارة إلى أن نفوذه قد ظهر بشكل متذبذب لدى قبيلة لرقيبت¹²، وبشكل أكبر لدى قبيلة أولاد تدرارين وهم موالي أولاد دليم. وإلى اشتمان من ذلك اصطدم نفوذه بالسلطة الطاغية للطريقة الفاضلية لماء العينين على الساقية ووادي درعة ولم يستطع نفوذه اختراق ذلك الحاجز المعادي. لكن من اللافت للنظر، ضمن علاقات الشيخ سيديا الحميمة، وجود عشيرة صغيرة من الشرفاء تسمى التاوبلات تسكن في ضاحية أم جدرور. كان جدهم سيدي علي الذي قدم إلى موريتانيا منذ خمسة وسبعين عاما، قد انخرط في الطريقة على يد الشيخ سيديا الكبير، واستقر معه إلى أن توفي. فعاد معظم أبنائه وأحفاده منذ ذلك الحين إلى عشيرتهم الأصلية، وبقي بعضهم في قبيلة أولاد ابيري، بل إن أحدهم كان من دعاة الشيخ وقد ذهب إلى موانئ غيبيا وساحل العاج لممارسة التجارة ومات هناك منذ سنة. وقد ظلت العلاقات بين الشيخ سيديا وأولئك الشرفاء علاقات وثيقة جدا. وكثيرا ما يذهب بعض رجال انتشايته لزيارة أبنائهم من أمهات أولئك الشرفاء فيقيمون عندهم بضع سنين.

أما في الشرق فإن اسم الشيخ سيديا، على العكس من ذلك، مبجل في آرواد لدى قبيلة كنتة الذين يربطون أسرته وطريقته بطريقة شيخهم الكبير الشيخ سيدي المختار، فكانت علاقتهما أخوية للغاية، ويلاحظ تبادل للمراسلات والهدايا بينهما. ويبدو أن حاجز الطوارق والتبو (Tebbou)، في اتجاه الصحراء الشرقية، هو الحد الأقصى لنفوذ الشيخ سيديا.

¹² وقد جمع رفيا - ساحل موح - لعمود اسم سيدي تبة الشيخ سيديا، وساهمت ديمو ماسيه في جزء كبير منه في تحقيق ذلك الهدف.

والسرفقلى مامادو واعو في قرية راس التدعة لمقاطعة حاي [مالى]

وفي دائرة مامادو مقاطعة كسار. تيرنو تورو بال وهو تكرروري
سكر في انكويكيلون هو مقدم الطريقة في المصقة .

- وفي مقاطعة دمغة، انطلاقا من قرية گونگل، [مالى] العلمودين الله
(les El Modin Allah) وهو تجمع شيخ تكرروري قسم هو تيرنو
إبراهيم، كان تلميذا للشيخ سيديا الكبير. إلا أنه ادعى النبوة عام 1865م،
وَألف عصاة قوية وأعلن الجهاد، وحاربه منافسه عبدول بوبكر. وحاربه
أيضا بوبكر سعادة زعيم البوندو وأهرم حولي سنة 1866 في موندريه
بالقرب من التفرع النهري بگري فتفرق أتباعه. وقد ذهب المغامرون
منهم إلى نيورو، في حين استقر معه الباقيون بالقرب من گونگل. وقد قتل
تيرنو إبراهيم عام 1868م على يد عبدول بوبكر. إلا أن قومه ظلوا أوفياء
لتعاليمه وشكلوا نجما صغيرا مواليا للشيخ سيديا.

- وفي دائرة سالدی التابعة لمقاطعة البوسيا في قرية ديانكتا، صيدو بن
عبد الله وهو حفيد سيدي عمار من جهة الأم، وهو مشهور بأنه مقدم
الطريقة وزعيم أتباع الشيخ سيديا. وكان صيدو قد درس القرآن في زاوية
الشيخ .

- وفي دائرة بودور تجمع تيرنو عاودي المتوفى سنة 1910م، الذي
يحتوي على أحياء عديدة، وعائلة المريدین بالاور، وهي عشيرة وان أواني.
وقد بقيت هذه العائلة، على رغم أنف قوة الحاج عمر وشكل من
أشكال العناد مع الشيخ الذي تدحل في شؤونها وانتزع ملكيتها. متمسكة
بإخلاص بطريقة الشيخ سيديا الكبير القادرية. لهذا السبب نرى أن
الأمامي بيرام ثم ابنه الأمامي مامادو المتوفى سنة 1866 م، ثم ابنه ابرا
الأمامي قد تعلموا على شيخ تين دوجه. أما الممثل الحالي للأسرة وهو
أمادو مختارة ابن شيخ تورو الغربية السابق، ورئيس محكمة تورو، فقد
تحلى عن التبعة الروحية للشيخ سيديا على إثر بعض المشكلات

النحسية، وانضم ساءا على ذلك إلى شيخ محمد فال وهو حفيد لشيخ
الكبير محمد محمود ولد شيخ القاضي وهو من قبيلة يديلت. وزعمه تار
قادرى قوي في التراكمة منفرع أيضا عن القادرية. المكتبة.

ولا يكتمل جدول النفوذ الديني للشيخ سيديا في فوتا إذا لم نشر إلى
عدد كبير من معلمي المدارس البيطانية الصغار المنحدرين من أولاد ابيري
يدرسون القرآن لأطفال الزنوح على ضفاف نهر السفار ووراء ذلك
بعيدا في الداخل. وهم أعوان أقوياء لنشر الإسلام، وهم على وجه
الخصوص ناشرون أقوياء لطريقة اشيوخ سيديا. ومنذ عدة سنوات أخذ
هؤلاء الدعاة المتواضعون لكن النشاطين في التوجه أيضا على صول السكة
الحديدية من سنت لويس إلى داکار. وقد انقسموا في تيس مع السكة
الحديدية الجديدة وتوغلوا في باول وسامو في تجاه حاي. ونجدهم
أيضا، علاوة على أولئك المتواجدين في المحطات النهرية في للوعا ونقدي
ومكيه وكبمر وتيفاوان وتيس وروفسيك وداكار، ثم في حومبور وبامبي
وديوربل حيث يبلغ عددهم الستة على الأقل، وفي گوساس وماليم.
وأمبدي وخاي. ونجدهم أيضا على الساحل لصغير لنيانينغ وأمور
وجوول [في السنغال]. وهذا أيضا كما هو الشأن في غينيا وفي ساحل
العاج وداوومي [بوركينافاسو حاليا]، استفاد المشايخ البوريتانيون
مباشرة، في هجومهم السلمي وفتوحاتهم لدينية للعالم الزنجي، من التقدم
الذي جاء به السلم الفرنسي عن طريق سرعة المواصلات وسهولتها.

ويملك الشيخ سيديا في المحافظات الواقعة جنوب نهر السنغال العديد
من المستعمرات والأتباع. ويكفي أن نذكر أبرز الشخصيات التي تمثل
مقدمي الطريقة وكذا رؤساء التجمعات.

- على الخط الرابط بين سنت لويس وداكار:

في سنت لويس : نذكر إمامي الجامع الكبير : إمام الجمعة محمد بن
القاضي النجاي. وهو من الولوف، وإمام صلوات الخمس مصطفى

ديوب، وهو من الووف أيضا . ويشرف هذا الإمام . علاوة على عمله، على مدرسة قرآنية في الحرية تضم 38 طالبا.

الحاج مامادو كمر، الذي كان أحوه الحاج كمر مقدم الطريقة سابقا في أتباع الشيخ سيديا من الووف من سنة 1880 إلى سنة 1900م، وله لعديد من الأبناء معلمون في مدارس كُتْ اندرُ القرآنية.

ملايين سك المتوفى سنة 1912م والذي قسم ابنه مامادو وقته بين سنت لويس وديوربل (أحمد عبا).

عثمان ديوب وجيريل ديوب والشيخ آمادو صار في اندر توت وثلاثتهم معلمون بمدارس قرآنية مزدهرة تضم ما بين 20 و110 طلاب.

أحمد حيدرة والحاج مالك صو في سنت لويس المدينة.

يسمرقي وصمبا دباري اندي في كُتْ اندرُ

اشيخ بالو في صور

وفي الأخير عائلة أبي المقداد التي كان أفرادها منذ فترة طويلة تلاميذ روحيين للشيخ سيديا. أما الشخصيات الأكثر شهرة في هذه العائلة والذين أسدوا منذ عهد فديرب Faidherbe خدمات جد متميزة لفرنسا هم في الوقت الحالي دودو سك الملقب بأبي المقداد وهو المترجم الرئيسي في القسم الموريتاني من سنت لويس، وهو فارس حاصل على وسام الشرف.

سليمان سك المتوفى سنة 1913م، قاضي سنت لويس، وعينينا سك رئيس محكمة سنت لويس الإسلامية، ويستضيف منزلهم أبناء الشيخ وأحفاده والشيخ نفسه عند مرورهم بسنت لويس .

وفي اللوگا: ما صمبا سيگا ديوب وهو تاجر ولفي من كايور.

وفي كَبْر: مامادو ديوب، مزارع وتاجر ولفي.

وفي كلبي : ماكا ككي، وهو تاجر من الووف ووحيد عباهم في سنت لويس . ومومار ككي وهي من سالو، معلم مدرسة ونمينا سابق في زاوية أبي تلمت.

وفي أنكاكي: مراد انضو وهو ولفي من سنت لويس، تاجر. وقاسم فقما وهو تاجر من سرقلة.

وفي بير مامادو آن، تكرروري مقيم في داكار ، وتاجر في بير.

وفي تيفاون: بكاري، تكرروري ورئيس الشرطة المحلية، يعتبر نفسه خادما مطيعا للشيخ سيديا .

وفي ساني (من أعمال كايور، مقاطعة أمبور) عبد الله با، ولفي درس في فوتا التكرور ويشرف حاليا على مدرسة قرآنية يرتادها خمسة عشر طالبا.

وفي تيسر: الشيخ تيدي مويلين، سمي بهذا الاسم تركا محميم الشيخ سيديا الذي كان منصوبا عند ساقية تيدي مويلين (في الترازرة) عندما تلقى فيه الطالب المذكور دروسه. ولهذا الشخص نفسه الذي يحترف الزراعة العديد من الأتباع في منطقة تيسر.

تفسير ملاي، مزارع.

سليمان ديوف، تاجر ولفي.

شيخ كتنه، وسيدي تراولي، ومعمرفاي وهم معلمو مدارس وتلاميذ سابقا في زاوية أبي تلمت.

وفي روفسك : الحسين سيسى وهو من اللبو، معلم مدرسة، ومنل تياو، طباخ، ومحمد بندا تيام صائغ حلي.

وفي داكار : الفقيه محمد ماجي، صوصي مقيم في حي الهوك. صانع الحجابات، و 'معلم الأسرار' على حد تعبيره. وهذا اساحر. لدى عشق

الإسلام هو مقدم الشيخ سيديا في قومية النصوص بالمدينة. تم امكا صار ولقي ومالك عمارات وقوارب صيد. وهذان المواطنين هما على حد تعبير الشيخ سيديا ممثلان رديان لطريقته. وكنا يبحان على وجه الخصوص عن استغلال الوضع لمصلحتهما الشخصية. ويكتفيان بإرسال هدايا مواضعة إليه؛ الحاج بابكر سي، وهو صوصي، تاجر في حي أنكوي مريم؛ مامادو ادجين معلم مدرسة وإمام جامع قادرية الشيخ سيديا في شارع قامبتا، في حي هوك. وهذا الجامع المحاط بأشجار الفكيكس والبابواب هو جامع في غاية الجمال بصومعته الصغيرة ورسومه الجدارية وزخرفته الداخلي. وقد بناه والد مامادو ادجين مندياما ادجين وتلاميذه سنة 1900م. وكان مندياما هذا قد اعتنق الإسلام حوالي سنة 1860م على يد دعاة الشيخ سيديا الكبير المتحمسين : فكان هو وأقاربه النواة الأولى للمسلمين بذاكار، وكان حتى وفاته الممثل الرسمي لأهل الشيخ سيديا بذاكار. جبري گي، وهو تاجر ومالك عقارات من قومية اللبو. نياكان باي، ويتبع في الوقت الحالي للشيخ سيديا بابا مباشرة. وأخيرا قاضي داکار سيدي عليون دجان رئيس المحكمة الإسلامية، وهو ولقي من سنت لويس، كان أبوه حبيب دجان قد تلقى الورد على يد الشيخ سيديا الكبير.

وفي داکار وغوري : سانغ نياغ، وهو بائع حلي ومعلم مدرسة يملك عقارات في المدينتين، وهو الذي يرجع إليه الفضل في إيواء أبناء الشيخ وأحفاده وتلاميذه عندما يقومون بجولة للدعوة في المنطقة.

نفوذه على طريق تيس - خاي:

في خمبل : الحاج مامادو صار، ولقي من كايور، تاجر ورجل من الأعيان، سليمان ديوف، تاجر، وعلى ديوب تاجر صغير، وعثمان مزارع.

في نامبي : مصطفى ولد سب الجيد، تاجر من قبيلة أولاد ابيري - أولاد موسى.

في ديوربل ماگي گي، من اللبو تاجر مقيم في داکار وهو أحد ملاك العقارات في الحي الأوروبي.

في كولخ : ساياقي، تاجر ولقي من سنت لويس.

في مكة كولبيتان (من أعمال نياني-أولى) محمد گي، وانجاي سك وهما تاجران من الولوف في فاليك (من أعمال سين)، ومولاي سيلا مزارع مسن يشرف على مجموعة صغيرة من الطلاب في لبور سين، وزعيم طائفة السرير الوثنيين وهو كومبا اندوفن وهو الآن يتعرض لدعوة محمومة من طرف الشيخ سيديا. ويبحث إليه الشيخ سيديا كل عام بصهره شيخنا وأبنائه محملين بالعديد من الهدايا مع عروض الصداقة، ودعوات للدخول تحت رعايته في "الطريق القويم" للإسلام فيرد البوري على الحملات بمثلها ولا يزال مقاوما حتى الآن. ولكن بما أنه مخوف بمشايخ ومريدين ماكرين سينتهي به الأمر إذا لم يتم التدخل بالدخول في الإسلام هو وقومه جميعا، وهو أمر لا يبدو حتميا بالضرورة. ويتباهى شيخنا أصلا باعتباره في عداد الداخلين الجدد في الإسلام.

نفوذه على الساحل الأطلسي للسنغال:

في جوك : ماكودو سك، وهو تاجر من اللبو.

مافاتي امبي : تاجر، يمتلك أيضا دكانا في انكازويل.

في أمبور : أحمد زروق تاجر من أصل عربي من أولاد ابيري، أكثر شهرة باسم أمادو دخاتي، ودخاتي هي الاسم التفخيمي المشترك الذي أطلقه الولوف على أولاد ابيري.

وكما نلاحظ فإن العالم الذي جنده الشيخ سيديا بواسطة اتباعه، كان على وجه الخصوص من التجار للولوف، باستثناء بعض التجار والصيادين اللبو في داکار وروفسك. ويشكل هؤلاء التجار الحضريون المختكين بالثقافة والساحبين السياسيين، نخبة صغيرة في المجتمع الرحى، لكنها شرت

مهاره اسمها وطريقتها على كامل المحصات النهريه والبحرية أو على طريق السكك الحديدية في السعال. أما الطلاب الآخرون فهم زنوح محليون نحرطوا في فضيته نتيجة للدعوة التي قام بها دعائه، ولتعاليم التي بثها معلمو المدارس من البيضان، أو نتيجة لسير عى موال الولوف المشار إليهم آنفا.

أما نفوذ الشيخ سيديا جنوبي نهر السنغال، فقد ظل يراوح مكانه. ومع ذلك لا يبدو أنه قد تضرر من التطور الذي حصل لطريقة الشيخ سعد بوه في الآونة الأخيرة. ولا يبدو أنه قد تطور بفعل العلاقات الطيبة التي تربطه بالشيخ بو كتنه في تيفوان. وفي المقابل استفاد من الإشعاع المذهل الذي عرفته، منذ ربع قرن من الزمن، الحركة المريدية للشيخ أحمد بمبا، وهو كاهن الدامل سابقا في كايور. وكان أحمد بمبا قد انضم إلى الطريقة القادرية حوالي سنة 1880 م على يد الحاج كمرأ مقدم طريقة أهل الشيخ سيديا في سست لويس، إلا أنه اعتبر تلك المباركة غير كافية فشد الرحال إلى تين دوجة سعيا للحصول على مباركة الشيخ سيديا نفسه، واستغل ذلك لإكمال دروسه على مدى أشهر عديدة. فمنح الشيخ سيديا للشيخ أحمد بمبا إذنا مكتوبا بتعميم طريقته. إلا أن المغامرات السياسية لهذا التلميذ المفرط في الطموح، لم تخل من إثارة بعض الاهتمام بعد ذلك من جانب الشيخ بمريده. فقد كلفه الأمر مرات عدة تقديم بعض التوجيهات الحكيمة له. ومن جهة أخرى كان أحمد بمبا يعلن دائما بأنه خاضع بتواضع للشيخ سيديا في الميدان الروحي. فقد تدخل هذا الأخير سنة 1902م لإعادته من الغابون، ثم استضافته في سهيرة الماء سنة 1903م، حيث كان قد سجن لتوه مجددا. وساعد في الأخير في إعادته إلى السنغال سنة 1907م. ويرتبط الشيخان حاليا بعلاقات ممتازة. فالشيخ سيديا يكن تقديرا كبيرا لأحمد بمبا إن لم يكن لإخوته جميعا، في حين يظهر أحمد بمبا شحة كبيرة لأستاذه السابق. ففي كل عام يبعث الشيخ سيديا بانتظام بأحد أبنائه أو بصره شححا بشكل رسمي إلى دوبريل

لأحد الركوات الكثيرة التي جمعها الناحية عن لواحد لدية. وفي ربيع سنة 1914م قصى أحمد وب الشيخ سيديا وشجدا والأسناد المحذر ولد داداه أكثر من شهر في ديوربل في حاشية أحمد بمبا. علاوة على ذلك عهد هذا الأخير إلى الشيخ بالتعميم العالي لأبنائه وللمنفوقين من تلامذه الشبان. وكان ثمة تبادل دائم للمبعوثين والرسل والمراسلات بين أبي تلميت وديوربل عن طريق القوافل عبر كايور وبودور.

وللشيخ علاوة على ذلك عدد معين من الطلاب في البلدان الآتية :

أ- في غامبيا المستعمرة البريطانية : وأهم طلابه في هذا البلد : امباتي كاميا في مدينة باتروست، وهو تاجر حلي وبجوهرات، وآدم وهو زعيم نقابة معلمى المدارس القرآنية للقسم. لذي يسكنه الأهالي من المدينة .

ب- في كازامانصر : الحاج كاديالى في باكاداج . وفوديه هري في سانديري

ج- في غينيا المستعمرة الفرنسية : في دائرة كانكان الشريف عبد الله ولد محمد وأخوه دينو رحيم وأصلهما من قبيلة تاقتيت (الترارزة بموريتانيا)، هائمان منذ عشر سنوات في غينيا العليا ويقومان بشكل مثمر وسري بالدعوة المتحمسة إلى الله وجمع الهبات. وقد أدينا مرات عدة من طرف المحاكم الأهلية.

في دائرة لاي: في مقاطعة دنگورا، تيرنو عليو بابا الجانغ من الفلان في لاي، وهو شيخ المقاطعة ورئيس محكمتها. ولا يعد تيرنو هذا في الحقيقة من أتباع الشيخ سيديا باعتباره تجانيا تابعا لإيدا وعلي القبيبة البيظانية، لكنه قضى بعض الوقت في حاشية الشيخ سيديا واحتفظ بعلاقات صداقة معه.

وهناك في منطقة توبا في كوتيو شيخ ذا نفوذ كبير في توبا نفسها هو آمادو كاديالى واسمه باللغة العربية أحمد العرالي في برداس.

د - في السودان (ماني) في دائره ناماكو، في مندوبية بانمبا: تجمع عمارو كانا دياكنيه في قومية امرك في كبا. وقد شد هذا المواطن الرحال إلى الشيخ سيديا في تين دوحه سنة 1898م وتفرغ للعلم والعبادة، إثر خلاف مع عمه يحيى كبا دياكنيته الذي انتزع منه زوجته. وفي عام 1905م رافق الشيخ سيديا إلى سنت لويس، ثم سافر بعد ذلك بوقت قصير سنة 1906م إلى كبا بصفته مقدما لطريقة الشيخ سيديا في قومية الماركا في منطقة بانمبا. وهو يعيش الآن احياة الهادئة التي يعيشها مشايخ الزنوج : ممارسة الزهد في الظاهر، والتصوف والجدب، وجمع الهبات وبيع الحجابات، والتسريس المنقطع لقرآن.

ولنختتم حديثنا تجدر الإشارة إلى أن لشيخ سيديا ممثلا بمكة المكرمة هو انكي عبد الله سنبل. وقد مضى على هذا التمثيل الآن ثلاثون عاما. فقد تعرف القاري خال الخليفة سيدي محمد ولد الشيخ سيديا في حجه إلى بيت الله الحرام على عبد الله سنبل. وسرعان ما توثقت علاقتهما فاستضاف الثاني الحاج القاري أثناء مدة إقامته بمكة. فلما عاد القاري من الحج تحدث إلى قبيسته أولاد ابيري عن مضيفه. وتلت ذلك المراسلات بين الشيخ والمكي وانتهى الأمر إلى أن أصبح هذا الأخير الممثل الرسمي لاتباع الشيخ سيديا في مكة أثناء فترة الحج. وفي عام 1908 - 1909م استجاب عبد الله سنبل لدعوات الشيخ ف جاء لزيارته في أبي تلميت وبقي في مخيمه مدة خمسة عشر يوما. فدفع إليه الشيخ سيديا قيمة تكاليف السفر. ولم يخل ذلك السفر إلى بلد يحكمه النصارى⁽³⁾ من عواقب مزعجة لعبد الله. فقد استدعى فور عودته أمام المحاكم المحلية وحكم عليه بالسجن لمدة شهر. ويقيم عبد الله سنبل بجوار الجامع الكبير [المسجد الحرام] الذي هو الكعبة المشرفة.

¹³ في مصر له مسجدي والمرحوم

الخاتمة:

لقد احتل اشيوخ سيديا في هذه المهرسة للعلماء المسلمين الموريتانيين مكانة متقدمة إن لم تكن المكانة الأولى. وقد ساعده بقوة في ذلك أهميته الكبيرة من الساحة الثقافية، وخصاله الأخلاقية الرفيعة. وهو من هاتين الناحيتين يتمتع بشهرة مختلفة تماما عن تلك التي يتمتع بها الشيوخ الموريتانيون الآخرون مثل الشيخ سعد بوه. نحن نعرف بأن الشيخ سيديا لم يذهب أبدا بنفسه لجمع الزكوات والهبات لدى الزنوج. صحيح أنه كان ينتدب أبناءه وأصهاره وأبناء إخوانه للقيام بهذه المهمة، لكنه لم يتدخل شخصيا أبدا في جولات الزيارة تلك التي كانت تدر أموالا طائلة لكن مع قليل من الشرف. وقد عرف الشيخ سيديا بالسخاء وشتهر به فكان يوزع تقريبا كل ما يحصل عليه من هدايا دينية ومعونات سياسية سواءا لمساعدة الفقراء الذين يأتون إليه يستغيثون به، أو لإعالة تلاميذ الزاوية، أو عابري السبيل من الحجاج الذين يحلون بساحته.

ومع ذلك لا ينبغي الاعتقاد بأن أمواله كانت من القلة بحيث تضطره، كما كان يفعل في بعض الأحيان، إلى أن يستنفد أوقية من الذهب، أو علبة من الشمع أو قابلا من السكر من المركز العسكري فذلك بالتأكيد نوع من المباهاة. ومع ذلك فإن وضعه بصفته زعيما للطريقة و'إماما' للزاوية يفرض عليه بعض الأعباء الثقيلة جدا، وأنه كان قادرا على الاضطلاع بها بحكمة وتبصر.

وقد أدى به اتجاهه المتعاطف مع الفرنسيين مرات عدة إلى أن يكون عرضة لعمليات هب يقوم بها منشقو الشمال ومتمردوه. لكن كان يتم التعويض عنها بمساعدة مادية ومعنوية سخية تمنحها له السلطة الاستعمارية الفرنسية، وذلك بزيادة نفوذه الروحي في آدرار، وتسهيل حصول دعائه على الإذن بالقيام بجمع الهبات في بلاد السودان.

ويعتبر هذا التفاهم الكامل بين السلطة الاستعمارية الفرنسية وبين واحد من أكبر ممتني الإسلام في موريتانيا على العمل المشترك ذي النفع المتبادل، جانبا من الحوائث المشرقة للسياسة الإسلامية التي اتبعتها الحكومة العامة في إفريقيا الغربية، إذ أن الشيخ سيديا لم يكن يخاف من الانضمام إلى جانبنا. فلا شيء يمكنه أن يوضح المبدأ الأساسي الموجه لهذه السياسة أكثر من : توجيه الإسلام وتوظيفه في البلاد الإسلامية . ومن الواضح أن ذلك التوظيف لم يكن يتطلب سوى الظهور بمظهر التنسيق الأخوي عندما يكون المعني بذلك مستعدا له.

وقد أسدى الشيخ سيديا، باتجاهه المحب لفرنسا بشكل واضح، خدمة حتى لسلطتنا ولأتباع طريقته ولعامة الموريتانيين بشكل غير مباشر. فإنه يعود الفضل في إمكانية التنسيق في موريتانيا منذ الأيام الأولى لاحتلالها بين المسيحي والمسلم، وبين الإداري الفرنسي وشيخ الطريقة الإسلامية.

فقد سمح بتبليته بسرعة وإخلاص لنداء كبولاني، ذلك السياسي الكبير، للشعبين والحضارتين والديانتين بأن يعرف كل منهما الآخر ويقدره.

فقد ساهم بخطوة جبارة وبشكل إيجابي تماما في التطور الذي عرفه حضورنا في موريتانيا بين سكان الصحراء.

الملاحق

الملحق [1]:

أذكار طريقة الشيخ سيديا:

تقرأ هذه الأذكار بعد الورد الذي يعقب كل صلاة من الصلوات الخمس. لكن المريدين لا يقرأونها جميعا خمس مرات في كل يوم. فلا يسمح للمريد زيادة عددها إلا بالتدريج. بمقدار تدرجه في المراتب الصوفية إلى أن يصل في نهايتها إلى الكمال المشار إليه آنفا.

وتقرأ الأذكار بمساعدة السبحة العادية وهي كالآتي:

- حسبنا الله ونعم الوكيل مائتي مرة
- استغفر الله العظيم مائة مرة
- لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة
- اللهم صل على محمد وآله وسلم مائة مرة

إلا أن المريد يصلي ركعتين عقب صلاة المغرب وبعد الانتهاء من الورد العادي وذلك قبل الانتقال إلى الأذكار المشار إليها على النحو التالي:

تكبيرة الإحرام وقراءة سورتي الفاتحة والكافرون ست مرات في الركعة الأولى، ثم السلام (إنهاء الجزء الأول من الصلاة).

ثم يكرر ثانية: ويقرأ في الركعة الأولى الفاتحة و سورة الإخلاص ست مرات. ثم يصلي ركعة ثانية يقرأ فيها الفاتحة وسورة الفلق وسورة الناس، ثم السلام (إنهاء الجزء الثاني من الصلاة).

ثم يكرر للمرة الثالثة: ويصلي الركعة الأولى ويقرأ فيها الفاتحة وآة الكرسي. ثم يصلي الركعة الثانية ويقرأ فيها الفاتحة وآيات من 21 إلى 24

من سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
ثم السلام.

الملحق [2]:

السلسلة الروحية لطريقة الشيخ سيديا وهي امتداد للطريقة البكاية
[الكنية]:

الله - القلم - البوح المحفوظ - الملك جبريل - محمد (ص) - علي -
الحسن البصري - حبيب العجمي - داوود الطائي - معروف الكرخي
(مسيحي اعتنق الإسلام) - الحسن - أبو القاسم الجنيد (وهو حفيد
الكرخي من جهة الأم) - أبو بكر الشبلي - الشنباقي - أبو الوفاء الملقب
بتاج العارفين - عبد القادر الجيني أو الجيلاني - علي بن عيطة - عبد
القاهر السهروردي - محي الدين [بن عربي] - عبد السلام بن مشيش -
الشاذلي الشريف - الغزالي - ناصر الدين - ابن مرزوق التاجي -
التلمساني - محمد بن العربي - الثعالبي - السيوطي - عبد الكريم المغيلي -
الشيخ سيد اعمر - أحمد الفيرمي - محمد الرقاد (لقب بالرقاد لأنه كان
يستطيع أن يعلم وهو نائم) - أحمد الرفيعة - علي بن عمر - أحمد بن عمر
(شقيق علي) - سيدي الأمين المنقب بذي القاب - سيدي علي بن
النحيب الشريف - الشيخ سيدي المختار الكبير (المتوفى سنة 1811م) -
الشيخ سيدي محمد (المتوفى سنة 1826م) - الشيخ سيدي الكبير (المتوفى سنة
1869م) الشيخ سيدي محمد الحيفة (المتوفى سنة 1870م) - الشيخ سيديا.

الملحق [3]:

رسالة حسنتا ابن ماء العينين إلى الشيخ سيديا:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إلى الرجل المحسن الشيخ سيديا حفظه الله، سلام لا تسعه سماء ولا
تحويه أرض. هدف هذه الرسالة هو إطلاعكم على أن المسلمين مثل ولد
عيده (أمير آدرار) وأهل اسويد احمد (أمراء إدوعيش)، وأهل سيدي محمود
وأهل احميد (زعماء مشظوف) قد وجهوا إلى الشيخ ماء العينين
شكاوى ضد النصارى وطلبوا منه القيام بمساعي في صالحهم لدى سلطان
المغرب.

وبما أن السلطان تلميذ للشيخ فإنه قد أخبر النصارى بأن بلاد البيضان
خاضعة له وأن عليهم ألا يمتلكوها . ورد عليه النصارى بأن الأمر يتعلق
ببلاد مهمل (pays abandonné) يجب أن تكون حقا للمالك الأول الذي
يستقر بها إلا أن السلطان رد عليهم بأن الأراضي المتنازع عليها هي ملك
له منذ عهد علي شنظورة (أمير الترارزة وجد قبيلة أولاد أحمد بن
دمان)، وأن هذا الأخير كان لديه الطابع الذي أعطاه السلطان له. فطلب
منه [البعض] الفرنسيون تقديم الأدلة اللازمة في بحر عام واحد، وهي الأدلة
التي ينسحب النصارى بمجرد تقديمها ويعيدون له كل ما أخذوه من البلاد
المذكورة.

وبناء عليه فإن هذه الأحداث هي التي دفعت السلطان اليوم إلى
إرسال بعثة على رأسها ابن عمه برفقة قائده وحاجبه.

وقد جاءت هذه البعثة للحصول على ولاء المسلمين ولتقديم الدعم
بالسلاح والجند لمن يرغب منهم في ذلك. وعندما يتم الإعلان عن ذلك

الولاء لممثل الحضرة الشريفة، فإن هذه الأخيرة ستستخدمه دليلاً يعرر ألسنتها.

وستحل كل المشاكل عندما يرحل البصاري عن البلاد وإلا فالجهاد (الحرب المقدسة). وسيلقى الذين يدافعون عن دينهم الدعم، أما من ينحازون إلى فرنسا فسيعتبرون أعداء.

وقد حرصت على إبلاغكم في الوقت المناسب وطلب العون منكم لنصرة الدين، فعجل وتصرف بسرعة.

والسلام.

كتب بأمر من الشيخ ماء العينين في الخامس عشر من رجب سنة 1323 هجرية، الخامس عشر من سبتمبر 1905م.

توقيع حسننا ابن الشيخ ماء العينين.

الملحق [4]⁽³⁴⁾:

من الشيخ سيديا إلى صديقه الكريم النقيب وحاكم دائرة الترارة في أبي تلميت:

بسم الله الرحمن الرحيم من سيدي محمد إلى حبيبه السيد الفاضل كابتن حاكم دائرة الترارة سلام عليك. أما بعد فقد رأيت كتابك الكريم في أمر الرجل المسمى الحسين بن أحمد والمسعى الشريف أحمد وهذا الرجل لا أعرفه من تلاميذنا ولا من أولاد أبييري وأظن أنه لو كان صادقا في الانتساب إلينا لكان يرسل إلينا كتابا أو رسولا وهدية وقد يفعل طلاب الأموال مثل هذه النسبة كذبا، وقد يدلون أسماءهم ولا بأس عندي أن يؤدب هو وأمثاله بما يرفع مفسداتهم عن العباد والبلاد والسلام.

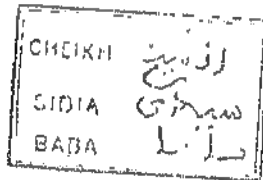
³⁴ انظر الأصلي لمرسالة باللغة العربية (الملاحم)

12 شهر رمضان عام 1331هـ - عدد أبي تلميت حرسه الله تعالى أمر
الشيخ سيدي بابا.

رسالة تركية من الشيخ سيديا بخط يده 1

بسم الله الرحمن الرحيم من سيدي محمد
إلى حبيبه السيد الفاضل كابتن حاكم
دائرة الترارة سلام عليك. أما بعد فقد رأيت
كتابك الكريم في أمر الرجل المسمى الحسين بن أحمد
وهذا الرجل لا أعرفه من تلاميذنا ولا من أولاد أبييري
وأظن أنه لو كان صادقا في الانتساب إلينا لكان يرسل
إلينا كتابا أو رسولا وهدية وقد يفعل طلاب
الأموال مثل هذه النسبة كذبا، وقد يدلون أسماءهم
ولا بأس عندي أن يؤدب هو وأمثاله بما يرفع مفسداتهم
عن العباد والبلاد والسلام.

في شهر رمضان عام 1331هـ
عن سيدي تلميت حرسه الله تعالى أمر



من الشيخ سيدنا إلى جميع تلاميذه وأصدقائه وإخوانه الموحدين في سرالبون:

إلى كبراء القرى الزنجية الأساسيين السلام عليكم:

إني لأدعو الله لكم. لقد علمت أنه يوجد في بلادكم رجل اسمه الحسيني أحمد الملقب بالشريف أحمد يدعي أنه تلميذ لنا ويتحدث ضد السلطة الفرنسية بأقوال لا نجدها في أي مكان لا في الشرع ولا في الأفكار البشرية. اعلّموا أننا لا نعرف هذا الرجل وأنه ليس على طريقتنا، احذروا من الأشرار ولا تدعوا من لا علم لهم ولا قلب يحضونكم على الشر، الذين لا يرون إلا ما يستطيعون رؤيته في هذه الحياة الدنيا فلا يفكرون في عواقب جهلهم ولا في الخراب الذي قد يسببونه لأصدقائكم وأموالكم دون ذكر الشرور التي قد يسببونها لكم في الآخرة والتي ستفوق الخيرات التي قد يجلبونها لكم. ويقوم الأشرار بالكثير من الشرور الأخرى لسكان البلاد الأصليين بأباطيلهم وادعاءاتهم الكاذبة لأنه ليس لديهم إلا القليل من الدين والعلم، ولأنهم لم يخضعوا للتجربة من طرف أولئك الذين يخدعونهم، أي الجهلاء الذين هم كالبهائم.

أبو تلميت في السادس عشر من أغسطس عام 1913م.

شجرة نسب أولاد ديمان (فيما يتعلق بالشيخ محمد بن أحمد بن سليمان):

أبو بكر (صهر الرسول (ص) وأور حنفاء الراشدين)

↓

عبد الرحمان

↓

محمد

↓

عبد الله

↓

إدريس

↓

سعيد

↓

يحيى

↓

عمر

↓

عيسى

↓

موسى

↓

أبو بكر

↓

ابراهيم

↓

شكيب

نوكر

مرميج

↓

يوبا

↓

علي

↓

يحيى

↓

علي لتونكلي

↓

عمر يالا

↓

ابراهيم

اتشفاعه مخنض اعمر

اتشفاعه موسى الحاج أهم (جد إيداهم) الحاج أوبك الحاج ابيي الحاج حنض كدا

يعقوب أبو موسى

ديمان

محمد يعقوب (جد أولاد يعقوب) أحمد أبو محص

بارك الله (جد أولاد بارك الله) بابا أحمد بوبايا

الفاضلي

محمد اتشفاعه

الشيخ سليمان (المتوفى سنة 1862م)

الشيخ أحمد (المتوفى سنة 1884م)

الشيخ محمد

الملحق [7]:

مكتبة الشيخ [سيدي] محمد بن أحمد بن سليمان الديلمي:

ملاحظة تمهيدية كتبها الشيخ: الأعمال التي أقدمها هنا لا تمثل سوى جزء من مكتبي. وجزء كبير منها مشتت بين عائلتي وقومي. فعندما كنت أحصل على كتاب، مخطوطا كان أو مطبوعا، كنت أذكره في القسمين لكنني كنت عندما أحصل على كتاب من عدة نسخ مطبوعة، وهو ما كان يحصل في معظم الأحيان، فإنني لا أذكره إلا مرة واحدة فقط (35).

أولا- الكتب المطبوعة:

1- تفاسير القرآن وشروحه:

- تفسير محمد بن جرير الطبري [وهو "جامع البيان في تفسير القرآن" ، أو "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (36)]

- لباب التأويل لخازن [الباب التأويل في معاني التنزيل، احسن علي بن محمد الخازن]

- تفسير النسفي [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي]

- تفسير الجلالين مع حاشية لسليمان الجمل

35 وقد نشرت الجمعية تحت هذا العنوان: "مكتبة صحراوية" مد بعض الوقت، المجلد 8، سنة 1909م ص ص 408-418 دليل مكتبة الشيخ سيديا مرتبة بحسب النظام الذي وضعه هذا الأخير بعدد مسن الحماكة العسكري عاديان وقد علق عليه السند مسطور، وتحتوي هذه المكتبة مؤلفه في الحفظة على 683 كتابا مطبوعا و612 مخطوطا وهو ما مجموعه 1295 كتابا تعق 862 كتابا منها، لعدم التسمية، وتظهر لنا اشارة بر دليلي مكتبتين أن مالكهما هما أدون متشابهة ومما فيه وحدة
36 لقد وجدنا من الضروري بكمية بعض أسماء الأعلام وعدوين الكتب المختصرة في النص "وهي عندنا" الشافطة التي يبدو أن المؤلف قد تأثر بها. السند الموضح وبعض السنادات وصحاحها يدور حول [] (المترجم)

... التفسير المنسوب إلى ابن عباس [وهو " تنوير المقاس من تفسير ابن عباس " ، جمعه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: صاحب القاموس المحيط].

- تفسير البضاوي [وهو " أنوار التنزيل وأسرار التأويل "]

2- علوم القرآن:

- لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي

- كتاب الإتقان في علوم القرآن لنفس المؤلف

- كتاب المعرفة لأبي عبد الله محمد بن حزم

3- الحديث النبوي:

- القسطلاني على صحيح البخاري ["إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري" ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني الشافعي]

- النووي في صحيح مسلم [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي]

- شرح الجامع الصغير للحفني [الشافعي]

- تفسير محمد بن عبد الباقي الزرقاني للموطأ

- عدة الحصص الحصين في كلام إمام النبیین محمد ابن الجزري [الحافظ محمد بن محمد الجزري الملقب شيخ القراء]

4- رسم القرآن و تجويده:

- شرح القارئ المبتدئ وتذكرة المقرئ المنتهي لابن القاصح

- كتاب الجزرية ["الجزرية مقدمة في علم التحويد" ، محمد بن محمد الجزري]

5- التوحيد:

- شرح "جوهرة التوحيد" يسمى "تحفة المرید علی جوهرة التوحيد" للشيخ إبراهيم البيهقوري

6- الفقه:

- شرح ابن سلمون على تبصرة ابن فرحون

- المدخل لابن الحاج

- عبد الباقي الزرقاني على خليل

- حاشية البناي على عبد الباقي

- الروهوني على خليل

- شرح قنون.

- كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني

- حاشية العدوي على الرباني

- شرح خليل للشيخ عlish

- النوازل الفقهية لعlish

- شرح التسولي على تحفة ابن عاصم [" البهجة في شرح التحفة " لأبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي ، على الأرجوزة المسماة 'بتحفة الحكام' لابن عاصم الأندلسي]

- تفسير الرحبية للإمام الشافعي المرديني [محمد بن علي بن محمد الشافعي المرديني]

- حاشية محمد ابن عمر السكري على الكتاب السابق.

7- التصوف:

- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي
- "قوت القلوب" لأبي طالب المكي
- "نور القلوب ودواء الذنوب" للشيخ أبي علي زيد الدين الغنائي
- "حياة القلوب، والطريق الذي يجب أخذه للوصول إلى المحبوب"
- لعماد الدين العموي
- "بداية الطريق الروحي وسبيل المحبين".

8- السيرة النبوية:

- شرح محمد بن عبد الباقي الزرقاني "للمواهب اللدنية"
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين [لمحمد الخضري]

9- النحو:

- شرح السمعاني على الأشموني
- شرح ابن عقيل على الخلاصة
- حاشية الأخضري على الكتاب السابق

10- اللغة:

- القاموس [القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي]
- مقامات الحريري مع شرح صغير [مقامات أبي القاسم محمد الحريري]
- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي
- فقه اللغة للإمام أبي منصور الثعالبي

- مختار الصحاح [للراري]

11- علوم الأخلاق:

- المستطرف [المستطرف في كل فن مستظرف] شهاب الدين محمد بن أحمد الإنشيهي
- "حياة الحيوان" للدميري [كمال الدين محمد بن موسي بن عيسي بن علي الدميري]

- سراج الملوك لأبي بكر محمد بن محمد الطرطوشي

- التبر المسبوك في نصائح الملوك لأبي حامد الغزالي

- كتاب العقد الفريد [لابن عبد ربه]

12- الأدب:

- "عجائب المخلوقات والحيوانات والأمور العجيبة المتعلقة بالكائنات" للإمام زكريا

- جريدة العجائب وفريدة الغرائب لأبي حفص، عمر بن الوردي

13- حساب الزمن:

- الممتع على شرح المغني للإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد

14- التاريخ:

- التاريخ الكامل لابن الأثير

- روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر

- أخبار الدول وآثار الأول لأبي العباس الكرماني

- التاريخ لأبي ناصر العيني

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار للشبوح عبد الرحمان الحنفي

- الاستقصاء | الاستقصاء لأحبار دول المغرب الأقصى ، لأي
لعنس أحمد بن خالد الناصري السلاوي]
15- المنطق:

شرح البناني على السلم
حاشية سيدي علي قصارة على الكتاب السابق
شرح الشيخ سعيد قدوره على السلم مع هوامش لسيدي محمد المبارك
السجلناسي
16- المدح النبوي:

- حاشية الشيخ ابراهيم الباجوري على البردة [للبصري]
- شرح نبال الأزهري للبردة
- شرح الإمام أحمد ابن حجر الهيتمي للهمزية [الإمام أحمد بن حجر
الهيتمي]
- حاشية لسيدي محمد الحنفي

ثانيا: الكتب المخطوطة:

1- تفسير القرآن:
- ضياء التأويل ["ضياء التأويل في معاني التنزيل" للشيخ عبد الله بن
فودي الفلاني]
- الجلالين
- الزبدة

- فتح اعلا في شرح البسملة
2- رسم القرآن :

- كتاب الورديري
- منظومة ابن الباري وشرحها
- نص ابن الباري مع "الاحمرار" للأليشي
3- الحديث الشريف:

- شرح ابن أبي حمزة عني صحيح البخاري [المسمى " بهجة
النفوس"]

- الموطأ [للإمام مالك]
- شرح ابن عبد الباقي الزرقاني للموطأ
- الشفاء للقاضي عياض
- شرح الكتاب السابق المعروف باسم "الشهاب" [" نسيم الرياض
في شرح شفاء القاضي عياض" لشهاب الدين محمد بن عمر الخفاجي]
- الفيشي في الأربعين النووية
4- علوم الحديث:

- شرح التبصرة والتذكرة لعبد الرحيم بن الحسين
- القصيدة لابن سرح
- شرح ابن جمعة للقصيدة السابقة
- قصيدة أبي عبيد الله محمد العربي الفتي على أصناف السيرة النبوية
- شرح محمد ابن عبد القادر بن علي الفاسي للقصيدة السابقة

- عمدة أهل لتوفيق والتسديد في شرح عقدة أهل التوحيد]
للتحسين بن مسعود محمد البوسي]

- شرح محمد بن يوسف السنوسي للكبرى

- أم البراهين شرح الشيخ سيدي الكبير للسرة

- فرائد الفوائد لمحمد بن المختار اليدالي

- الإضاءة للمقري] "إضاءة الدجّة في اعتقاد أهل السنة"، لأحمد
المقري]

- شرح بالأعمش للكتاب السابق [محمد بن بالأعمش]

- شرح النابغة القلاوي (من قبيلة الأقال)

- الوسيلة للمختار بن بونة من قبيلة تجمكانت

- شرح عبد القادر بن محمد سالم المدلشي (من قبيلة مدلش) للكتاب -
السابق

- قصيدة ابن زكري

- لامية الجزائري

6- التصوف:

شرح ابن زكري لنصيحة زروق

شرح ابن عباد للحكم العطائية لابن عطاء الله

بدايات النديات للإمام الغزالي

الجرعة الصافية والفحة الكافية للشيخ سيدي المختار الكنتي

فتح الودود شرح المقصور والممدود للمؤلف نفسه

الكوكب الوفاة، شرح أوراد الصرفة القدسية للمؤلف نفسه

حجة المرید دون أمرید بلشيخ سيدي محمد الخلفه [بن شيخ سيدي
المحار الكنتي]

خاتمة التصوف لمحمد بن المحار اليدالي

الذهب الإبريز لأحمد بن المبارك

العتق الثمين للشيخ سيدي الكبير

الفرق والتسديد والتتميم للمؤلف نفسه

7- السيرة النبوية:

ألفية عبد الرحيم البرعي

عيون العطر لأبي سعيد الناسي

كتاب الكلا

الاكتفاء في أخبار الخلفاء] "الاكتفاء في سيرة النبي المصطفى وأخبار
الخلفاء" للكلاعي]

نظم البدوي [نظم أحمد البدوي للأنساب]

شرح نظم الأنساب لحماة المحلّسي

شرح قرّة الأبصار للمأمون [شرح قرّة الأبصار في سيرة النبي المختار]

أس الإسلام الذي تتوقف عليه سعادة الأنام

8- النحو:

شرح الديلمي على التسهيل

شرح المساعد على التسهيل

التصريح

الأشعري [شرح الشيخ علي بن محمد بن عيسى الأشعري على ألفية ابن مالك]

المكودي

حاشية صغيرة للمختار بن بونه الحكيم على الخلاصة والاحرار
تكميل المرام شرح الشواهد لابن هشام [للشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي]

الكفاية مع حاشية صغيرة

شرح الآجرومية للشيخ سيديا الكبير

روض الخرون لعبد الودود بن عبد الله

9- الفقه:

شرح عبد الباقي الزرقاني على خليل وحاشية الباني

شرح الخرشني على خليل

شرح الميسر على خليل لمحض بابا الديباني

السوداني على خليل [وهو أحمد باب التبتكي صاحب "نيل الابتهاج"]

شرح صغير الحبيب الله بن القاضي [الإيجي]

رسالة بن أبي زيد القيرواني وشرحها المسمى بتحقيق المباني لأبي الحسن [تحقيق المباني وتحرير المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني] ، لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف المنوفي الشاذلي [

شرح آخر للرسالة هو كفاية الطالب

ابن الحاجب وشرحه التوضيح

الفائق في أحكام الوثائق [المنهج الفائق في أحكام الوثائق] لأحمد بن يحيى النشريسي]

ابن سلمون [وثائق ابن سلمون]

تبصرة ابن فرحون

المقدمات لابن رشد

أوضح المسالك وشرحه للبحيري

شرح ميارة لتحفة ابن عاصم

شرح ميارة للامية الزقاق

شرح ميارة لنظم بن عاشر

التوضيح على التحفة لابن عاصم [توضيح الأحكام على تحفة الحكام لابن عاصم] تأليف عثمان المكي التوزري الزبيدي]

التوضيح على لامية الزقاق

شرحاً ميارة لنظم ابن عاشر [الشرح الكبير والشرح الصغير]

التاودي على تحفة ابن عاصم [وهو أبو عبد الله التاودي بن سودة الفاسي]

التاودي على لامية الزقاق

التاودي على جامع خليل المعروف في بلاد البيضان تحت اسم الرشان

قوانين ابن جزري [القوانين الفقهية لابن جزري الكلي المالكي]

ابن أبي الحلبي وشرحه

رحمة الأمة في اختلاف الأئمة [لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي]

عمليات فاس وشرحه ³⁷

الأمر المطلق وشرحه

لنفسه والتسهيل لفوات تحليل

طرد الضوال والهمل لعبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي ["طرد
الضوال والهمل عن الكروع في حياض مسائل العمل" لسيدي عبد الله
بن الحاج ابراهيم العلوي الشنقيطي]

رشد الغافل في تمييز علوم الشرع لعبد الله بن الحاج ابراهيم وشرحه

نظم للنوازل الفقهية لعبد الله بن الحاج حماد الله القلاوي نظم رسالة
ابن أبي سعيد لنفس المؤلف

نظم لمحمد بن الخرشني التندغي

شرح محمد محمود بن حبيب الله ابن القاضي الإيجي للكتاب
السابق

نظم آخر لخرشي دون شرح ويعرف هذان النظامان أيضا بـ
"المفيد"

شرح صغير لابن عاشر للناطقة القلاوي

شرح الأحضري لنفس المؤلف

العنوان على المذهب الشافعي

10- اللغة:

القاموس [القاموس المحيط للفيروزبادي]

فتح القدوس على ختطة القاموس

إضاءة الأدموس [إضاءة الأدموس وريضة سموس في اصطلاح
صاحب القاموس، لسجلماسي]

صباح الجوهرى

المصباح ["المصباح المير' للقيومي]

ابن السكيت ["إصلاح المنطق"]

الظواهر

النوادر ["النوادر و الأمالي" لأبي علي القالي الأندلسي]

مقامات الخريزي وشرح الشريشي

رسالة ابن الزيدون

شرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون ["شرح العيون في شرح رسالة
ابن زيدون" لابن نباتة]

شرح ابن هشام لقصيدة بانت سعاد

المقصود والممدود وشرحه

مثلث ابن مالك

شرح المحتار بن بونة الديباني مثلث ابن مالك

شرح عبد الله العتيق من قبيلة ايديقب لمثلث ابن مالك

شرح الحضرمي المسمى فتح الأقفال للامية الأفعال

شرح صغير للشيخ سيديا الكبير لنفس اللامية

ديوان حسان ابن ثابت

ديوان الشعراء الستة

شرح عبد الله العتيق لنفس الديوان [عبد الله العتيق بن ذي الحلال]

³⁷ وهي ما جمع أهل مدينة فاس، معرب العمر به من فتاوى وأحكام في بعض العصباء (لنجم)

ديوان عبلان [المتنق دي الرمة]

ديوان المنني

شرح العبقري لديوان المنني

ديوان الحماسة

11- البلاغة:

لتفتازاني على التلخيص

عقود الجمان للسيوطي وشرحه ["عقود الجمان للمعاني والبيان"]

الجواهر المكنون للأحصري وشرحه ['منظومة الجواهر المكنون في علم
ثلاثة فنون' ، للأحصري]

حاشية صغيرة على عقود الجمان لمحض بابا الديباني

12- علوم الأخلاق:

المستطرف ["المستطرف في كل فن مستظرف" لشهاب الدين
محمد بن أحمد الإشبيلي]

تحفة الأريب ["تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب" ، لعبد الله
الترجمان]

13- قواعد الفقه :

المنجوري على نظم الزقاق المعروف بالمنهج [شرح المنجوري علي
"المنهج في القواعد" للزقاق]

كتاب السجلماسي على نظم ميارة المعروف بتكميل المنهج

شرح محمد محمود بن حبيب الله ابن القاصي الاحيجي للمنهج

شرح المؤلف نفسه للتكميل

14- علم الأصول:

جامع الخوامع وشرحه

الكوكب الساطع لمسوطي وشرحه

نشر اليهود على مراقي الصعود لسيدي عبد الله بن ابراهيم
العلوي

15- المنطق:

السبب للأحصري وحاشيته الصغيرة

منظومة بن الطيب وحاشيتها الصغيرة

المختصرة لمحمد بن يوسف الأنوسي

شرح مخض بابا الديباني للمختصرة

16- وصف الأفلاك:

المطلبي على شرح المغني

كتاب عبد الله بن أبي هاشم

17- الرياضيات:

المنية لابن الرازي ومقدمتها

القليصادي

شرح أحمد بن سليمان الرسمويني لنظ بن أبي سليم السملاني وكذلك
مقدمتها وشرح المؤلف السابق لها

18- كتب الأدعية :

تنبيه النائم للمراي

دلائل الحيرات

فتح نصيب سنيدي المخار الكتي

19- العروض :

الجزرية

قصيدة الخليلين

20- كتب عامة:

النوعية للسيوطي

القانون للأليوسي

21- الطب:

قصيدة ابن سينا

عمدة الطبيب³⁸ لأوفي أبي بكر من قبيلة إيداشافه

نظم للمؤلف نفسه يسمى قواعد الطب

المجموع للمؤلف نفسه وهو في علاج العظام وبعض الأمراض

22- المدح النبوي:

شرح البردة لخالد الأزهرى

شرح الهزمية لمحمد ابن أوبا

أشعار ابن مهيب مرتبة في خمس قصائد مع أشعار أخرى للفزازي

مقطوعة شعرية صغيرة للمكودي

23- الأدب:

كنوز الأسرار حول الجزر والبحار

اخلل الموشية في الأخبار المراكشية [المؤلف مجهول]

شيم الروايا لمحمد بن المختار بن سعيد اليدالي من قبيلة أولاد ديمان

24- أنساب العرب:

الحلة السيارة لنفس المؤلف [" الحلة اسيرا في أساب لعرب وسيرة حير الورى" لمحمد بن المختار بن سعيد اليدالي الليباني].

نظم البدوي من أولاد بو أحمد (مدلش)

25- التراجم:

ابن خلكان [وفيات الأعيان]

وفيات الأعيان لابن الخطيب

26- التاريخ الحديث:

ورقات، لوالد بن المصطفى ابن خالنا

الملحق [8]:

رسائل تركية للشيخ سيديا³⁹:

نسخة من خط يده محتومه بختمه السري:

باسم الله الرحمن الرحيم

من سيدي بن محمد بن سيدي إلى جميع الأصحاب والإخوان في بلاد السودان وغيرهم سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فال المطلوب منكم في هذا الكتاب أنه كلما ورد جناب السيد الحاكم مارتي حرسه الله بلدا في أصحابنا اجتمعوا للسلام عليه والإحسان والبر والنصيحة وعرفوه من في ناحيتهم من أصحابنا ولم يقصروا في هذا المقصد فإنه مهم عندنا في جناب هذا السيد الفاضل الساعي في مصالح المسلمين المحب لنا الخبيب لنا المكرم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته 3 ذي الحجة عام 1331 عند بوتلميت حرسه الله تعالى آمين.

³⁹ النص الأصلي برسانه المنحة العرسية (المترجم)

³⁸ في النص "عمدة القاصد" (المترجم)

والهواء والكأء، أو من خلال الرسالة التي كتبها الهية باسم ماء العينين إلى محمد ولد الخليل في شهر ديسمبر سنة 1909م. فهذا الأخير هو نفسه من أطلع السلطة الفرنسية عليها للإعلان عن وفاته القوي و مكافأته عليها.

(...)

"إنني سأظل وفيًا لاتحادنا القديم وصداقتنا الكبيرة . لقد قدمنا للتو من عند السلطان وتركناه في أوج النصر والقوة حيث أنه قد قبض على الروقي وأعدمه وقضى على ثمرده ولم تعد هناك مشكلة ولله الحمد ويسود الهدوء الكامل في كل هذه البلاد من قعادة⁽⁴⁰⁾ إلى فاس ولا نرى فيها إلا السهم والوفاق بين عامة المسلمين . وقد طلب منا السلطان التخلي عن موطننا (السمارة والساقية) والقدوم إلى تزنيث للاقتراب منه؛ وقد عبر لنا عن تلك الرغبة مرات عدة، وها نحن ننفذها لكننا حيثما كنا سنظل دون أدنى شك أصدقاء حقيقيين لكم . وقد أمرنا السلطان بإنهاء الحرب مع الفرنسيين في الوقت الراهن إلى أن يلتقي بهم ويسوي معهم المشاكل المطروحة، وإلى أن يتمكن من لقاء شيخنا ماء العينين والوضع جيد لدى تكتة في الوقت الراهن .

وقبل أن ننتهي اعلّموا أننا حيثما حللنا فسنظل على استعداد لتقديم الدعم لأصدقائنا والثأر من أعدائنا حيثما وجدوا". إلا أن العشيرة الأخيرة من رقيبات الساحل وهي السواعد Les soaad وحتى إحدى قبائل تكتة وهي إيقوت، في الوقت الذي قبلوا فيه مساعي محمد ولد الخليل قرروا التقارب معنا وطلب الأمان في سبتمبر سنة 1910م وحصنوا على الموافقة

⁴⁰ قعادة منطقة تقع بين وادي درعة و الساقية وهي تعتبر الحد الأقصى الجنوبي للمملكة المغربية.

بذلك مع دفع السواعد مائة من الإبل وعشرين ماسينيه لإغزو Iggoul واستسلموا بعد أن أوفسهم اندوريت الإسلامية لبعض الوقت عند كسة سبحة الخل في أواخر فبراير سنة 1911م مع دفع عرامة قدرها مائة ألفه منتقاة . ووقعت اتفاقية معهم في الثامن والعشرين من ديسمبر سنة 1911م.

الفصل الثاني

الفاضلية

مقدمة :

تجلى الشعوب الإسلامية من المحيط الأطلسي إلى خط الطول المار بتمبكتو، ومن جنوب المغرب إلى ضفاف نهر عينيا اسم محمد فاضل. ولئن لم يكن البيضان والزنوج جميعا يتبعون طريقته بشكل مباشر إلا أنهم جميعا يخلدون ذكراه. علاوة على ذلك فإن عددا كبيرا منهم، ممن تعلقوا بأبناء الشيخ سعد بوه وأحفاده، قد تجمعوا في زاوية قوية ظهرت جهودها الدعوية بقوة في عموم إفريقيا العربية، وعرفت بفضل تكييفها العملي كيف تنتشر في البلدان الإفريقية: في المستعمرات الفرنسية والإنجليزية والبرتغالية، وعنى الحدود المغربية الموريتانية.

وتشكل الفاضلية من حيث المبدأ فرع الطريقة القادرية الكبيرة في إفريقيا. ومع ذلك وكما سنرى فيما بعد فإن ملكة القدرة على منح كل الطرق الأخرى التي خص بها محمد فاضل نفسه وأورثها لخلفائه من بعده، قد أدخلت في صفوف القادرين الفاضليين الأوائل عددا من التجانيين الزنوج بل وحتى من أتباع الشاذلية والناصرية بحيث لم يعد مصطلح الفاضلية يدل في الوقت الحاضر على فرع من فروع الطريقة القادرية بقدر ما يدل على طريقة جديدة بحيث يمكن لجميع المسلمين أن يتبعوا. في آن واحد وتحت قيادة شيخ واحد، طرقا إسلامية متعددة باتباع دروب شديدة التساير إلا أن كلا منها يقوم مقام الآخر مثل القافلة التي تسلك تلك المسالك الصحراوية ذات الدروب المتشعبة لكنها توصل إلى هدف واحد.

المصادر والمراجع :

- 1-Archives du cercle de Trarza et particulièrement note de m. le capitaine Gerhart (+ 14 mars 1913)
- 2-René Basset, Mission au Sénégal, Fascicule III, Recherches historiques sur les Maures.
- 3-Bulletins individuels des cercles du Trarza, du Brakna et du Gorgol (Sénégal) des cercles de Kankan et Labé (Guinée); du cercle de Bamako (Haut Sénégal-Niger)
- 4-Ismaël Hamet , Chronique de la Mauritanie Sénégalaise.
- 5-A.L.E Chatelier, L'Islam en Afrique occidentale.
- 6-Renseignements fournis par M. l'Administrateur en chef Gaden.

ونفوه هذا، اصرح على شخصية محمد فاضل المتوفى في الحوض سنة 1869م والذي يبدو أن أعظم إنجاز له هو أولاً تلك الفكرة الخلاقة المتمثلة في تعزيز تنافس الدين بوسيع أطر طريقته وبالأخص أنه حلف وراءه ذرية على وجه لأرض قوامها مائة ولد حملت اسمه، مع مآربها وطموحاتها، إلى أقاصى إفريقيا الغربية.

وبناء على ذلك ستتضمن هذه الدراسة بطبيعة الحال جزأين:

- الجزء الأول بعنوان: محمد فاضل وأصوله

- الجزء الثاني: أبناؤه وتلاميذه.

أولاً - محمد فاضل وأصوله:

1- أصوله:

يسبب آل محمد فاضل، الذين يعرفون على وجه الخصوص بـ "أهل الطالب مختار" نسبة إلى أحد أجدادهم، إلى أنفسهم صفة الشرف [الانتماء إلى آل البيت]، ويدعمون ادعاءهم بشجرة النسب الآتية (41):

علي: الحسن، الحسن الثاني، عبد الله الكامل، إدريس، إدريس الثاني، أحمد، عبد الله، يحيى، عمر، يوسف، عبد الرحمان، إسماعيل، مولاي، عثمان، مولاي، مسعود، إبراهيم، أجمالان، عطفان، عوران، عبد الرحمان، سيدي يحيى، مولاي أبو بكر، سيدي عثمان، سيدي محمد، يحيى الكبير، القلقمي (الذي أخذت منه قبيلة القلاقمة اسمها)، شمس الدين، سيدي علي، سيدي يحيى، سيدي محمد، الطالب حبيب، الطالب اجيه المختار.

فرع الحوض: الطالب محمد، الطالب خيار، مامين، محمد فاضل.

⁴¹ وقد وجدت شجرة نسب هذه، شأفت بأن نسبه التي سطرها فيما بعد، من قبل الشيخ سعد بن عبد الله، في وصفه لأسماء مع شجرة نسب ونسبه، وحيلة لتسليم قديمهم ل. وفيها M I Bouvat في "تجدد الإسلام" عدد مارس سنة 1912، ص 188 - 191

فرع آدرار: فاضل، العيدي، محمد، محمد فاضل.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد فاضل يرتبط بالي (ص) عن طريق الإدريسين (إدريس وإدريس الثاني) وبالتالي فهو أحد شرفاء المغرب وبهذه الصفة استطاع ابنه ماء العينين فيما بعد أن يعتبر نفسه الوريث الشرعي لسلالة الأدارسة وطالب بعرض المغرب.

ومن ناحية أخرى تروى روايات العائلة أن الطالب اجيه المختار، وهو الجد الرابع لمحمد فاضل، جاء إلى تكانت قادما من المغرب في القرن السابع عشر واستقر بها ومات في العمود في نهاية القرن فتوجه أبناؤه إلى الحوض واستقروا لهاثيا بين گومبو وولاته. وتحمل ذريتهم، التي تشكل قبيلة في الوقت الحاضر وهي "أهل الطالب مختار" اسم جدهم المهاجر.

إلا أن هذا الأصل الشريفي [الانتماء إلى آل البيت] هو محل طعن شديد لدى معظم القبائل الزاوية الموريتانية في الحوض: <<فأهل الطالب مختار، كما يقولون، هم مجرد أسرة من لادم وهي إحدى قبائل آژناگه [صنهاجة] التي كان لها نفوذ قوي في آدرار موريتانيا والتي لا تزال نعثر اليوم على بقاياها في آدرار والبراكنة والتراتزة، وأن شجرة النسب تلك فهي من اختلاق الطالب اجيه المختار، وأن أحد أجداد القبيلة - وهو على الأرجح الطالب اجيه المختار أو ابنه - قد هاجر من آدرار واستقر به المقام منذ مائتي سنة في الحوض إلى جوار كنفدرالية القلاقمة وأصبحت له ذرية منهم. وقد نفى كنتة، الذين يمثلون التراث الإسلامي الحقيقي في الصحراء، على الدوام صفة الشرف هذه عن محمد فاضل وعائلته>>. ولا يحفل المعنويون تلك الطعون. وقد رد عليها الشيخ سعد بوه على الأخص بقوله: <<نحن لسنا آژناگه. فهل رأيتم أبدا آژناگه يظهر من الصلاح والعلم والكرامات ما يظهره أهل الطالب مختار؟ فالفضل يدل على أصول الناس. وأما كنتة فقد كانوا دوما أعداءنا لأنهم يغارون من فضلنا ومن نفوذنا خاصة وأنهم احتفظوا في ذاكرتهم بذكرى قوية للصراعات التي كانت تقسم أجدادنا الفرشيين في زمن الرسول

(ص) فهم من بي أمية، ونحس من بي هاشم). وهذا رد يتسم بالدهاء والمطعة.

ومهما يكن من أمر، فمن الجدير بالذكر أن الكثير من علماء البيضان وفضلائهم يرفضون الاعتراف بتلك الأصول الشريفة لأهل الطالب مختار. ومع ذلك فإن المزاج العام في موريتانيا ليس معاديا لشرفاء من حيث المبدأ فهم ينعمون كثيرا بمزاعمهم المتعلقة بأصولهم دون أن يقلقهم أحد.

2- محمد فاضل وطريقته الفاضلية:

ولد محمد فاضل بن مامين في الحوض حوالي سنة 1780م وقام بدراساته الإسلامية التقليدية تحت إشراف والده ومعلمين مختلفين أشهرهم ولد محمد الكيحل من إيدأوجات (دائرة غومبو). ويؤكد أبناء محمد فاضل - في إطار عدائهم لكننة البكائية - أنه لم يتلق أبدا دروسا على أيدي أحد من شيوخ الطريقة القادرية المشهورة في أزواد. ومع ذلك فمما لا شك فيه أن محمد فاضل استفاد، إن لم يكن بشكل مباشر فعلى الأقل عن طريق أساتذته، من الإصلاح الثقافي الديني الذي يدين به الإسلام في مجتمع البيضان للشيخ الكبير، الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى سنة 1881م.

وقد عاش محمد فاضل حياة بدوية مع إخوته وأبناء عمومته دون أن يخرج أبدا من موطنه. وقد خلف أباه في زعامة أهل الطالب مختار. توفي في الثاني والعشرين من إبريل عام 1869م، العاشر من محرم سنة 1286هـ - عن عمر يناهز التسعين عاما.

كان هو المؤسس الحقيقي لطريقة بمعهمه لرائع لميول لدينية سروح وبالتكيف الدكي الذي فرضه على أسرته وعلى تعيسمه أكثر من الدعوة المكثفة التي يبدو أنه لم يمارسها. فقام أولا بتأكيد أصوله الشريفة في محيطه، وهي أوثق وسيلة لنجاح الروحي والرمي لدى الرنوح⁴².

واستطاع محمد فاضل عن طريق بعض التجديدات، وهي ليست ذات أهمية كبيرة لكنها تستجيب لأذواق الزنوج والكثير من أهالي الصحراء، أن يضفي طابعا خاصا على أذكاره وجعل طريقته حلقة دينية صغيرة ضمن أسرة القادرية الكبيرة. وتذهب إحدى الروايات التي ترويها أسرته إلى أن مصدر تلك التجديدات يعود إلى فقيه يسمى محمد الأفظف عاش في القرن الثامن عشر، وإلى أن ذلك الفقيه هو الذي لقنها للطالب خيار جد محمد فاضل فتبناها هذا الأخير بشكل نهائي ونشرها في المناطق المحيطة به.

وهكذا أمر بقراءة الأذكار الخاصة بالورد القادري جهرا في حين يقرأها باقي أتباع سيدي عبد القادر الجيلالي سرا وبخشوع. علاوة على ذلك فإن هذا الذكر القادري يشفع عند الفاضلية بذكر الشهادتين وهما: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله بوتيرة متصاعدة، ويفضل أيضا ترديد ذكر اسم الله بقوة وتنهّد عميق خلال اليوم. وأخيرا ينظر الفاضلية إلى حالات السكر والجذب وسائر أحوال التصوف الديني الأخرى على أنها دليل صريح على التواصل الحميم مع الألوهية ويشجعونها بقوة.

وتستخدم هذه المظاهر الخارجية للتدين لنيل محبة السكان الأصليين، كما أنها تشكل عنصرا من عناصر نجاح الدعوة الفاضلية.

⁴² >>واصل محمد فاضل شرع من ولاته، وشيخه، فمعهم كبره في أسقفته صحره و

السودانية>>، لورنيليه، الإسلام في إفريقيا الغربية، ص 327

A. Le Chatelier, L'Islam dans l'Afrique occidentale, p 327.

عمة عصر آخر لا يقل أهمية في نشر طريقة محمد فاضل هو تلك
افكرة العقبرية المتمثلة في جعل طريقته محور سائر الطرق الإسلامية
لأخرى. فقد عاش محمد فاضل في نفس الفترة التي عاش فيها محمد
السوسي الذي يشبهه في العديد من المسائل. فهما يشتركان معا على
وجه الخصوص في تلك السياسة المتمثلة في السعي إلى استيعاب قوة كل
الطرق الدينية الإسلامية في طريقتيهما. لكن في حين أسس شيخ السنوسية
طريقة جديدة جمع فيها خصال كل الأولياء ودمج فيها مزايا كل
الطرق، فإن محمد فاضل اجتذب إليه أتباع الطرق الأخرى ومريديها
بإعلانه أن النبي (ص) خوله منح كل الأوراد وتأکید كل الطرق السابقة
التي اتبعها مريدوه. وقد حافظ أبناؤه على ذلك التقليد. لهذا نراهم اليوم
يوزعون دونما تمييز أوراد القادرية والتجانية والشاذلية والناصرية، وكل
الأوراد الأخرى عند الضرورة مشكلين بذلك استغلالا على نطاق واسع
لتجارة وجد فيها الداخلون الجدد في الإسلام سائر المماركات التي تنسجم
مع أذواقهم. بل وأكثر من ذلك أعلن محمد فاضل أنه يحق لكل شخص
أن ينتمي إلى عدة طرق في آن واحد. وهنا يظهر محمد فاضل كيف
فهمت عبقريته المرنّة عقلية الزوج، ونحن نعرف حب الزوج المفرط
للطلاسم فشعورهم الديني القوي ينعكس لديهم باهتمام دائم للاحتماء
من المصائب عن طريق وصفة سحرية أو طقس ديني أو حجاب يعلقونه
أكثر مما ينعكس بالتضرع إلى الله. فالرجل المكتمل الصلاح منهم
وذي الفضائل السامية هو من يملك عددا من الطلاسم لتحميه من كل
المصائب. وهذا ما يفسر لجوء العديد من الزوج الذين اعتنقوا الإسلام إلى
التلمذة لأحد شيوخ الفاضلية ليحصل منه على التوالي أو بالتزامن -
بحسب حالتهم المادية- على كل الطرق الإسلامية المتبعة في البلد.

وتتوحد شجرة الفاضلية وسلسلتهم الروحية القادرية وصولا إلى الجد
الثامن لمحمد فاضل وهو سيدي يحيى، وتتفرع بعد ذلك. وهذه هي السلسلة
الروحية القادرية كما قدمها الشيخ سعد بوه:

الرسول محمد (ص)، عبي. حسن⁴³، لسقط سري. خمد.
الشلي. النسكي. أبو الوافي، عبد القادر جيلاني. بن هبة. سنيرودى.
ابن العربي، عبد السلام بن مشيش، إمام الشاذلي، أبو العباس سري.
عطاء الله، الإمام الباجي، محمد، علي بن أوي، عقبة الحضرمي، رروق،
سيدي يحيى، (سيدي محمد، الطالب حبيب، الصائب أحيه المخار، الطالب
محمد، الطالب خيار، مامين، محمد فاضل.

وبحسب الطرق الأخرى فإن شيوخ الفاضلية يعترفون بأنهم ليست هم
سلسلة روحية. فقد ألحق الأقطاب المؤسسون للطريقة محمد فاضل، عن
طريق بعض المكاشفات الشخصية، بطريقتهم مباشرة وأعطوه الإذن بمنح
وردها. ولا تركز الفاضلية كثيرا على هذا الموضوع. وقد دعم محمد
فاضل "طريقته"، عندما أسسها بهذه الطريقة على بعض المبادئ الذكية
والنفعية، بالكثير من حنودها ممثلين في أشخاص أبناؤه الثمانية والأربعين
وبناته الخمسين. فقد هاجر عند وفاته الكثير من أبناؤه من الحوض في اتجاه
السودان [مالي] والسنغال وأدرار موريتانيا معتمدين على بركته⁴⁴.

وتوفي الشيخ محمد فاضل في نفس السنة التي توفي فيها الشيخ سيديا
الكبير وهي 1869م. وكان في حياته ينظر إليه على أنه أحد كبار الأولياء
وهب القدرة على إظهار الكرامات، وعالم من الطراز الأول⁴⁵.

وقد أشار الكثير من المتصوفة المشهورين وخاصة الشيخ المؤسس
للسنوسية إلى مؤلفاته وثني عليها واستعملها مصادر في دراساته.

⁴³ ذكر معروف كرجي في الظلم مباشرة بعد الحسن بن علي وقتل اسقط لسري امر الملاحق ه ملحق
قم [4] (الترجم).

⁴⁴ >> شيوخ الطريقة في الوقت الحاضر هم أبناء محمد فاضل عمة وهذه الشيخ محمد نقي احمد
الحضرمي، الشيخ ملاي عيني، والشيخ سعد بوه. وقد توفي اثنان منهم هما محمد داملون ملكة وسيدي و -
في ولاته<<؛ لوشاتيه، مصدر سري<<، ص 328

A Le Chateher, opere citato, p 328.

⁴⁵ >> لقد ترك من جهة أخرى شهرته باعتبارها فقهيا شرعيا ومفسرا لا يحد له، مع من يشهد به حيث
ذكره الشيخ السوسي في فهرسته مرات عدة، واجتهده أبناؤه من بعد في السير على خطاه و من عاينهم
الكثير من الكتب<<؛ المصدر نفسه ص 327

Opere citato, p 327

ووري الترى في دار السلام بالقرب من ساقبة قرية دباده (التابعة لدائرة گومبو - أعالي نهر السعال والبحر)⁴⁶، حيث بنى عليه أساؤه ضريحاً جميلاً هو محل تقدير عظيم في كامل الساحل السوداني ويؤمه لعديد من الزوار.

3- إخوة محمد فاضل وأبناء عمومته:

قبل أن نستعرض ذرية محمد فاضل الكثيرة، يجدر بنا أن نشير إلى:

- إخوته في الحوض

- وأبناء عمومته في آدرار موريتانيا وأن نحدد لهم.

- الجدول الجنبالوجي لإخوة محمد فاضل :

مامين وابنه اهيبة (انقرضت ذريته)، الشيخ سيدي (انقرضت ذريته)، العباس، محمد فاضل.

ذريتهم : محمد فاضل، اهيبة، محمد الأمين، سيدي محمد، محمد فاضل (ويقيم حالياً لدى الشيخ سعد بوه).

أما الأخوان الأكبران لمحمد فاضل فقد عاشا في الحوض وتوفيا فيه وقد انقرضت ذريتهما الآن ، في حين خلف العباس على العكس من ذلك العديد من الأبناء يشكلون في الوقت الحالي عشيرة من عشائر أهل الطالب مختار (گومبو - الساحل السوداني) ويعيش أحد أحفاده وهو محمد فاضل ابن محمد الأمين في الوقت الحاضر مع الشيخ سعد بوه.

- ونجد في آدرار موريتانيا محيما من أهل الطالب مختار يحمل اسما خاصا هو أهل الطالب محمود العبيدي وهم أبناء عمومة الفاضلية الحالية وفقا لشجرة النسب الآتية:

⁴⁶ توجد حاليا في ولاية الحوض الشرقي موريتانيا وتقع على بعد 50 كيلومترا تقريبا جنوبي النعمة عاصمه الم ولاية (الشر حم).

الطالب احيه المحنار، فاضل، العبيدي. محمد عبد الرحمن. محمد فاضل والد محمد تقي الله، احيه المحنار، محمد المامون، ماء لعبيدي، سعد بوه.

ومحمد فاضل هذا هو أول من هاجر من الحوض حوالي سنة 1850م. وبعد أن أقام عدة سنوات في شنقيط، حيث تتلمذ على الأستاذ المشهور أحمد ولد البشير ولد الحنشي، ذهب إلى مراكش ثم فاس وأخيرا استقر به المقام في الجريف بالقرب من وادان وهناك توفي ويشاهد ضريحه، إلى جوار منزله ومكتبته وسط واحة النخيل التي تملكها أسرته في المنفع على بعد 70 كيلومترا إلى الشمال من شنقيط.

أما ابنه محمد تقي الله فقد حمه بصفته زعيما للتجمع ومقدما للطريقة. غادر الجريف أولا وقدم إلى أطار ليقوم به بضعة سنوات وكانت له علاقات حميمة جدا بسعد بوه الذي تزوج ابنته سعاد.

كان موقفه من المستعمر مسالما على الدوام. وقد لجأ خلال عمليات آدرار في 1908-1909م، إلى الجريف وانتظر شحنة الأحداث. فدارت الأحداث في صاخ الفرنسيين فجاء لعيس خضوعه واستغل ذلك بذكاء ليسجل على وثيقة الأمان الذي منح له العديد من الأسر التي تنتمي إلى بعض القبائل الخاضعة تقريبا للنفوذ الفرنسي، والتي كان له نفوذ ضئيل فيها أو التي لم يكن يتمتع فيها بأي نفوذ عني الإطلاق ! وعندما عاد إلى أهله أظهر للمعنيين الخدمة التي قام بها من أجلهم وبقي في نهاية الأمر شتيحا لذلك التجمع، إلا أن بعض الصعوبات قد ظهرت في إدارته في الوقت الحاضر فاستقر بشنقيط.

أما أخوه احيه المختار، التاجر الكبير، فيعيش معه في آدرار لكن العلاقات بينهما سيئة. فاحيه المختار يجمع حوله المستائين ويشي للسلطة الفرنسية بسوء تسيير أخيه.

أما محمد المامون فقد سافر إلى الشرق منذ سنة 1903م وعند عودته منه استقر بفاس ولا يزال بها حتى الآن.

وأما الأخوان الأصغران وهما ماء العينين وسعد بوه فلم تكن لهما شخصية واضحة ويعيشان في محم أحبهم الأكبر.

وفد تصور النفوذ الديني لهذه العائلة التي استوصت آدرا موريتانيا، بالموازاة مع النفوذ الذي كان يتمتع به أبناء عمومته ماء العينين وسعد بوه دون أن يزجج أي منهما الآخر.

ثانيا- أبناء محمد فاضل وتلاميذه:

لكي نتابع دون خوف من الوقوع في الخطأ أبناء محمد فاضل الثمانية والأربعين على مختلف المسارح التي لعبوا فيها أدوارا متنوعة للغاية ولا يزالون يعبونها، يتعين علينا القيام بترتيبهم بحسب المولد واستعراضهم بعد ذلك تبعا.

محمد فاضل

- 1- عبد الفتاح 17- محمد المصطفى 33- الشيخ سيدي أحمد
- 2- سيدي عثمان 18- الشـرى 34- محمد مفتاح احمد
- 3- سيدي القوم 19- الطالب أبو بكر 35- عبد لقادر
- 4- محمد الحسن 20- محمد أبو الأبرار 36- سيدي عني
- 5- عبد الصمد العباس 21- محمد الإمام 37- محمد الشير
- 6- محمد تقي الله 22- محمد المختار 38- عبد الرحمن
- 7- الشيخ الحصري 23- محمد المصلح 39- الطالب صلاح
- 8- الوي 24- محمد ابراهيم 40- أحمدنا
- 9- الطالب حنا 25- محمد الزين 41- سيدي علي
- 10- محمد الأقطف 26- محمد الفتاح 42- سيدي سالم
- 11- محمد دحية 27- سيدي الحجار 43- تفریح الكروب
- 12- ماء العينين 28- محمد معروف 44- سيدي المهدي

- 13- العطل 29- محمد الخطاب 45- سيدي حبي
- 14- محمد العيث 30- سعد بوه 46- سيدي لأمير
- 15- محمد عبد الرحمان 31- سيدي منصور 47- سيدي عني
- 16- احمد الحجار 32- مصباح الدين 48- الشيخ سيدي حبر

ويجب أن نشير إشارة خاصة إلى الابن الخامس من أبناء سيدي عثمان وهو يب المختار. ذلك الشيخ الذي يبلغ من العمر 45 عاما هو الآن مقيم في نيام سفول في فوتا التكرور (محافظة بوسيا، دائرة سالدي ديوريفول) وقد خاض مغامرات مختلفة قص بوليه Poulet جانبها منها سنة 1902م⁴⁷. وقد حتمت جولاته لجمع الهدايا بطريقة تعسفية وتصرفاته العنيفة منذ سنة 1899م ترحيله من فوتا.

وفي عام 1906 م ترك الشيخ سعد بوه بعد أن ظن أنه قادر على الاعتماد على نفسه، وذهب ليستقر به المقام في كوناكري حيث عاش بها سنتين لكنه تمكن من العودة إلى فوتا. غير أن عميات التحايل المتكررة التي قام بها كنفته حكما بالسجن مدة سنة أشهر من محكمة كيهيدي في الأول من مايو سنة 1912م. وبعد خروجه من السجن تصالح مع عمه وقدم إلى مخيمه في خروقة ليأخذ قسطا من الراحة لمدة سنة. ثم عاد خلال عام 1913م إلى نيام سفول وأصبح الشيخ يب خيرا في شراء الخيول والحمر والمواشي بالدين ثم يصب جام غضبه على مالكها الزنجي عندما يأتي للمطالبة بثمنها فيهرب الزنجي المسكين مدعورا. وكان أيضا يقوم بعمليات شراء للمواشي بوساطة بعض تلاميذه المفلسين ثم يسارع إلى بيعها في حين يقاسي التلميذ بسرور مرارة السجن من أجل أستاذه. وكان

⁴⁷ بوليه، البيط في إفريقيا العربية الفرنسية، باريس، تلامس.

الشيخ بت من جهة أخرى مسودا بشكل صريح من طرف سعد بوه الذي يأخذ عليه لقيام جمع اهدايا باسمه والاحتفاظ بربعها لنفسه.

وهو الان متزوج بابنة زعيم بوسيا عبدول علي خان وبأحدى بنات عمه من أقارب الشيخ سعد بوه . وقد اهتمك في زراعة أراضيه وتنمية مواشيه محفوف بثلاثين من تلاميذه الزنوج يصلون خلفه ويعلم لهم أبناءهم: ويعمل هؤلاء جميعا لصالحه ويتلقى بعض الزيارات من الداخل.

1- عبد الفتاح:

عاش في الخوض ومات فيه ، ليست له ذرية.

2- سيدي عثمان:

وهو مشهور باسم سيدي بويا وكذلك باسم الشيخ الخليفة . كان لفترة طويلة نائبا لوالده الذي خلفه . عاش في الخوض ومات فيه سنة 1870م بعد سنة من موت أبيه، وهي نفس السنة التي توفي فيها سيدي محمد ابن الشيخ سيديا الكبير وهو مدفون في المباسيط غربي گومبو. وهذا هو جدول ذريته من الذكور:

محمد فاضل (الخوض) الملقب الحبيب وهو الاسم الذي أطلقه إخوته عليه، سيدي بويا (الخوض)، محمد تقي الله (الخوض) محمد العاقب (الخوض) وابنه الحبيب، سعد بوه (المقيم لدى سعد بوه)، محمد المامون، محمد الغيث (الخوض) وابنه محمد فاضل (المقيم مع خاله الشيخ المحفوظ في صيديو)، يب المختار (ديوربول- فوتا) وابنه محمد فاضل ويلقب أبوه يقيم مع سعد بوه، آبه، القطب محمد الإمام (الخوض) الشيخ سيدي أحمد (الخوض)، سيدي محمد (الخوض)، محمد المعلوم (الخوض) مات دون أن يعقب ذرية وهو أحد أعوان سيدي عثمان الأساسيين هو رجل من الماندينك يسمى ماتيا ماني يبلغ من العمر 38 عاما منحدر من أسرة من طبقة المطربين في سريكانا (غينيا- البرتغالية) متورط في الصراع بين موسى

مولو والديولا في كاراماسر. وقد سوهده هذ مواطن لأصني بدعو ويجمع الهدايا على صفى سهر من دقايا إلى ناكل اسم سده.

وله وكيل آخر هو مامادو دمبا ديالو وهو تكرر محس من دولول سفري (نفوتا) ومقيم في رالي نيورو (كيدي ماعا). وكان في نيورو (أعالي نهر السنغال-النيجر) عندما حاربا سنة 1890م. ويتمتع مامادو دمبا ديالو بنفوذ كبير لا في جماعته الأصوية امودي نال الله فحسب ،بل وكذلك في القرية التي يسكنها حاليا وهي قرية رالي نيورو التي يتحكم في زعيمها .

وهو يمنح "الوردين" القادري والتجاني على الجازين بحسب اختيارهم باعتباره الممثل الرسمي لسعد بوه في مقاصعي التكرور إرلاي إيبالي وبوسيا.

3- سيدي القوم:

عاش في الخوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل الملقب بوننا، سيداتي، والحضرمي، وقد استقروا جميعا هم وعائلاتهم بالخوض.

4- الشيخ محمد الحسن:

عاش في الخوض ومات، فيه مدفون بالمتبارك.

سلالته من الذكور:

محمد فاضل (والد حسنا)، سيدي عثمان، محمد تقي الله، ماء العينين.

ويعيش محمد فاضل وهو بطل الشيخ محمد الحسن مع معلمه سعد بوه.

وقد تزوج ثالث هؤلاء الأبناء الأربعة وهو محمد تقي الله بلاله بست سعد بوه، أما الرابع وهو ماء العينين فقد تزوج أم الفضل بنت الشيخ ماء العينين.

ولا يزال محمد تقي الله يعيش في معية الشيخ سعد بوه، ويبلغ من العمر 34 عاما. وقد استعمله ذلك الشيخ في الماضي لجمع الهدايا باسمه لدى تلاميذه السنغاليين، فاستهوت العملية واكتشف سعد بوه بأنه كان يعمل لحسابه الخاص باستغلال بركته دون إذن منه.

وكان محمد الحسن قد عاش في الماضي فترة من الزمن لدى مع ماء العينين في السمارة. وبما أنه رجل ذكي وعقل منفتح، فقد كلفه الشيخ بالعديد من البعثات المهمة لدى السلطات الإسبانية في فيلا سسنروس (Villa Cisneros) [الداخلية]. وفي عام 1909 م انفصل محمد الحسن عن ماء العينين، عندما غادر ماء العينين السمارة متجها نحو الشمال، وقدم بصحبة زوجاته وأبنائه إلى الشيخ سعد بوه. إلا أن رابع أبنائه، وهو صهر ماء العينين، بقي مع هذا الأخير برفقة زوجته. وحاول محمد الحسن مرات عدة الحصول على الإذن بإعادتهم إليه ولم يحصل بعد على ذلك الإذن بسبب الظروف السياسية.

5- الشيخ عبد الصمد العباس:

عاش في الخوض ومات فيه، ولم يعقب ذرية.

6- الشيخ محمد تقي الله⁴⁸:

عاش في الخوض ومات فيه سنة 1894م، وامتد نفوذه ليشمل بشكل خاص قبيلة أولاد الناصر في الساحل. ومن ذريته المذكور:

⁴⁸ >>> وقد بقي محمد تقي الله بدوره طويلا في ولايته وله العديد من الأبناء في قبائل مشظوف داخلها وفي قبائل أخرى. وعلى الرغم من أنه لم تكن له نفس الصعوبات التي عرفها باقي سكان المنطقة مع الكاوية، إلا أنه عانى منها هو الآخر لسفره بالمقام في البحر، اعترى من نكبات ومخاطر أكثر نفوذ ديب في المنطقة الواقعة بين آدرار وخوف والخوض وأرض إدو عيش <<، لو شئنا، مصدر سنن دكره، ص 328. Le Chatelier, Opere citato, p.328.

محمد فاضل، محمد تقي الله، محمد الأمين، سيدي عمام، محمد معروف (والد محمد تقي الله) علي السح (وسه محمد تقي الله). محمد العيث، الحضرمي (وابنه محمد تقي الله)، محمد الأمين الملقب "الأدهم" (وابنه محمد تقي الله)، محمد الأقطف، محمد الزين، سيدي، محمد المختار، محمد المامون. وتشكل هذه الأسرة حاليا في الخوض عشيرة من عشائر أهل الطالب مختار. ونشير من بين أبناء محمد تقي الله، إلى:

أ- رابع⁴⁹ هؤلاء وهو سيدي عثمان، الذي كان يعيش في معية ماء العينين، إلا أنه ترك الشيخ حسنا بن ماء العينين في المخيم الذي كانت توجد به خيمته وقدم إلى سعد بوه إثر هجرة ماء العينين إلى الشمال في نهاية عام 1909م، وعاد بعد فترة من الزمن إلى عشيرته في الخوض بعد حصوله على إذن بذلك.

ب- وأما آخرهم⁵⁰، محمد المامون، المقيم في أطار (آدرار) مع ابن عمه محمد تقي الله شيخ تجمع أهل محمود العبيدي - أهل احبه المختار.

7- الشيخ الحضرمي⁵¹:

عاش في الخوض ومات فيه سنة 1894م ودفن في بو الأنوار في صريح جميل سرعان ما أصبح قبلة للزائرين. وقد تمتع هذا الشيخ بنفوذ كبير لدى قبائل مشظوف الساحل.

ذريته من المذكور:

التراد، وابنه محمد الغيث الملقب بـ "النعمه"، محمد الأمين الملقب "حد أمين" وابنه سيدي بوياء، الحضرمي الملقب "الشبيه"، يب المختار،

⁴⁹ هذا، حيث في الإشارة إلى تريب الأب، حسب سيد مولف بن سيد عثمان، فإنه لا يشار إلى هذا في تاريخ الربع. ونشير إلى محمد المامون أن تربته الذي عشر في حين أنه أصبح عبد ولا حرم. وما كان هذا الخصاص ذكر في مواضع أخرى، فإن سمعنا من تريب المبع في عرض هؤلاء * المبررة من ⁵⁰ في النص الثاني عشر (نظر الإحالة السابقة) (مترجم) ⁵¹ (استمر الشيخ الحضرمي بولائه لكن لم يكن له أبغ ولا عود باسمه أولاد الناصر من أولاد سيدي محمد في الخوض الشرقي ويبدو أنه يمثل الامتياز على تعاليد سيدي بهامامه المسمى بالأسرة السنية). لو شئنا، مصدر سنن دكره، ص 328 328. Le Chatelier, Opere citato, p.328

حمادي، الحضرمي، عباس، لراد، محمد نقي الله، اهبة وانه الحضرمي، محمد تقي الله، محمد المامور (متوفى)، محمد المهدي (متوفى)، سدي محمد، محمد عبد الوهاب، سيدي المختار، لشيخ أحمدنا وابنه الحضرمي، أحمد فاضل، عبد القادر، محمد العاقب والد سيدي محمد، سعد بوه، الحضرمي، اجيه المختار⁽⁵²⁾.

أما التراد لجل الشيخ الحضرمي البالغ من العمر 40 سنة فهو الزعيم الحالي لعشيرة أهل الطالب مختار في الخوض (دائرة غومبو) وهو يشاطر من جهة أخرى ابن عمه سيدي الخير، آخر أبناء محمد فاضل، النفوذ الديني الكبير في الخوض. ومنذ بداية احتلال قواتنا للساحل قدم التراد خدمات جليلة للسلطة الفرنسية بوضعه لخبرته في القبائل ونفوذه الروحي فيها تحت تصرفنا. ومع ذلك لا سبيل إلى إثبات ولاته الصريح لنا. أما الشيخ أحمدنا، وهو الإبن السادس عشر⁽⁵³⁾ للشيخ الحضرمي فقد استقر به المقام في فوتا التكرور في المدينة (من أعمال تورو-دائرة بودور)، وهو رجل يبلغ من العمر ثلاثين عاما، ذكي، عالم طبعه الألفة. وهو يعيش في خيمة بالقرب من قرية تكرورية مع تجمع شبه بدوي من حراطين قبيلة إيدبالحسن يسمى المرازيق. وكان أحمدنا قد غادر الخوض سنة 1905 م ليستقر به المقام عند سعد بوه وأقام عنده إلى غاية 1910م وقد استخدمه ذلك الشيخ في جمع الهدايا باسمه إلى اليوم الذي تجاوز فيه الحد وأخذ في العمل لحسابه الخاص فتخلى عنه الشيخ. وقد استطاع بأمر من هذا الأخير الإقامة في تورو حيث يمثله هناك. وقد تزوج على التوالي بإحدى بنات سعد بوه وبعده نساء من التكرور. وهو متزوج في الوقت الحالي بامرأة من المرازيق المشار إليهم. ويحترق أراضييه وينمي ماشيته وينكر قيامه بالسدوة الدينية.

⁵² من الواضح أن هناك بعض الأخطاء في طباعة هذه الأسماء وذلك نظرا لتكرار أسماء بعض الإحيرة بحيث حصر لبعض منهم نفس الاسم وهو ما يخالف عادة البطان، نجد مثلا تكرار لاسم الحضرمي مما يعني أن اثنين منها على الأقل أحقاد للشيخ الحضرمي كما حد أيضا تكرار أحمد نقي الله (المترجم).

في النص الثاني عشر رطر الإحالة السابعة (المترجم)

أما عبد القادر⁽⁵⁴⁾ بن لشيخ الحضرمي فقد رجع سنة 1911 م إلى حيمات ماء العينين، ثم عاد إلى الخوض.

وأما محمد العاقب⁽⁵⁵⁾ بن للشيخ الحضرمي فيقيم نارة في سرامور وتارة في غينيا الفرنسية حيث يمثل فيهما الشيخ سعد بوه. وكان محمد العاقب قد قدم إلى الشيخ سعد بوه في سن الرابعة عشرة عندما كان الشيخ مقيما في تويزكت ولما بلغ سن الرشد تزوج بانيته نفيسة وقد بقيت زوجته وأطفاله في مخيم سعد بوه.

وأما اجيه المختار⁽⁵⁶⁾ بن للشيخ الحضرمي فيعيش في معية الشيخ المحفوظ في بناكو (كازامانس) ويستعمله فيها معمم وحامع هدايا.

8- الولي:

عاش في الخوض ومات فيه.

ذريته:

مراد (متوفى) وهو والد الولي، ماء العينين (ولد بأدرار أثناء مرور والده من هناك)، القطب، محمد الغيث.

9- الطالب خيار الملقب آبه:

عاش في الخوض ومات فيه سنة 1905م.

ومن ذريته الذكور:

الشيخ المحفوظ، العباس، محمد فاضل، محمد فاضل مات في صيديو، سيداتي، مامين، سعد بوه، الحضرمي، محمد تقي الله، ماء العينين، القطب.

⁵⁴ في النص الثالث عشر (المترجم)

⁵⁵ في النص الرابع عشر (المترجم)

⁵⁶ في النص الخامس عشر (المترجم)

ويعتبر أساء الطالب حيار هؤلاء كلهم في احوص باستثناء المحفوظ و حصرمي. فأما الشيخ المحفوظ وهو محل الطالب حيار فقد استقر به لمقام في بباكو مقاضعة بلاتنا كوندا (مندوبية صيدبو، كازامانس) حيث يشتغل هناك بالزراعة وممارسة الرقيا والدريس⁵⁷. وكان الشيخ المحفوظ المولود بالحوض حوالي سنة 1865م قد غادره مند نعمة أظافره إلى الشيخ سعد بوه لغرض الدراسة، وأكملها لدى ماء العينين في السمارة. وبما أنه داعية متحمس في البندان الإفريقية، فقد اشتهر بقيامه بدور ديني لدى الساموري وموسى مولو. استقر بكازامانس مند عشرين عاما وتزوج فيها بإحدى بنات الشريف يونس إضافة إلى العديد من النساء الزنجيات من أهل البلد. وتزوج أحد أبناء الشريف يونس بإحدى بنات المحفوظ. وقد تتلمذ اثنان من أبناء المحفوظ على سعد بوه وهما: آبه وهو لا يزال معه حتى الآن، والآخر محمد فاضل وقد عاد لتوه إلى منزل أبيه.

وقد كان للشيخ المحفوظ، الذكي المثقف، نفوذ كبير في جنوب كازامانس وغامبيا المستعمرة الإنجليزية وفي غينيا المستعمرة البرتغالية التي كان مقيما بها في الماضي (في باكو). وتربطه علاقات صداقة على الأقل في الظاهر مع معظم مشايخ المنطقة ويكتب تلاميذه من المحافظات الثلاث المذكورة⁵⁸ أنفا ويحصل على هدايا مهمة من الزوج الداخلي في الإسلام بل وحتى من الزوج الوثنيين، وهو الممثل الرسمي لسعد بوه يبعث إليه معظم الزكوات التي يحصل عليها. أما موقفه السياسي [من المستعمر] فكان مسالما على الدوام وحتى في السنوات من 1907 إلى 1910م حيث اعتزل في جيبا البرتغالية إثر الصراعات السياسية والدينية والتجارية مع الشريف يونس والشريف سيدي محمد حيدرة.

⁵⁷ في النص يعمل مزارعا وناثرا للبحريات ومندوبا مدرستها (المترجم)
⁵⁸ اثنان منها أصبحا الآن مسيحيين وهما نسا كوناكري وعينا بيساو. أما يقيم كازامانس فيجب حاليا نساءن كله بصلب الانصاف (المترجم)

أما أحواله اللذان كانا يوحدان معه فهما محمد فاضل، وقد توفي في صيدبو، والحضرمي ولا يزال معه يستعمله أستاذاد وداعية.

10- محمد الأقطف:

عاش في الحوض ومات فيه.

ومن ذريته الذكور:

محمد فاضل، الحضرمي، مامين، الطالب بوبا، محمد المصطفى، وهم يشكلون في الوقت الحالي عشيرة من عشائر أهل الطالب مختار في الساحل.

11- محمد الهيبة:

عاش في الحوض ومات فيه ودفن في قصر دلي (گومبو).

ومن ذريته الذكور:

محمد فاضل (توفي)، وهو والد الهيبة، ومحمد الأمين (توفي)، ومحمد ابراهيم (توفي) والشيخ سيدي علي (توفي) والشيخ سيداتي (توفي) ومحمد المامون. ويشكلون في الوقت الحالي عشيرة من عشائر أهل الطالب مختار في الساحل.

12- ماء العينين:

وهو محمد المصطفى المعروف بماء العينين، الإبن الثاني عشر من أبناء محمد فاضل. ولد في عشيرة أهل الطالب مختار في الحوض بين گومبو وولاته عام "القحط" ويسمى كذلك عام "الخط المضىء" (ويعتقد أنه نجم الكميت). مات في أكتوبر عام 1910م عن عمر بلغ 73 عاما قمريا وهو ما يحدد عام مولده بسنة 1838 تقريبا.

أمه أصلها من "الطلبة" العتاريس، وهي إحدى العشائر الزاوية في الحوض. ويصفه البيظان بأنه كان متوسط القامة، رشيق لقوام، شديد

ساحل الشيرة، دكي، متعفا، محموا عند الناس، معتدل المراح، ودا أحلاق عالية

غادر ماء العينين البالغ من العمر 32 عاما الخوض حوالي سنة 1870 م بعيد وفاة والده محمد فاضل، ومر بشنقيط، مركز العلم والمعرفة، حيث درس فيه ودرّس لبعض الوقت وقدم على آدرار مورينانيا باحثا عن الشهرة والمجد. وربما كانت هذه الإقامة في شنقيط - بل بالأحرى عادة المعاربة والمشاركة الإشارة تحت اسم الشناقطة البيضان (الذين هم إيدوا علي وحدهم تخانيو شنقيط وغيرها) الذين يحجون إلى البيت الحرام مرورا بفاس- هي التي منحت الشيخ ماء العينين وعائلته لقب الشنقيطي، وجمعها شناقطة وشناحطة، وجناحطة.

لكنه لم يقم بآدرار إلا لفترة قصيرة من الزمن، واتجه صوب الساقية ابتداءا من سنة 1873م. غير أن تلك الإقامة الأولى بالساقية لم تكن سعيدة فجعله بالبند، وتنالى السنين العجاف، وأعمال النهب التي مارسها قبيلة تكنة وقبائل أخرى، أرغمته على مغادرة الساقية للعودة إلى الجنوب حيث عاش حياة البدو بين آدرار وتيرس مدة عشر سنوات. وهذه هي الفترة التي تأسس فيها مجده نهائيا. ونظرا للحظوة الكبيرة التي يتمتع بها عند أمير آدرار، قام بيسط نفوذه حتى وصل أراضي تكنة، وجاء ليستقر نهائيا في الساقية الحمراء حوالي سنة 1884م بعد أن أصبحت الطريق ممهدة أمامه.

وقد عاش طيلة خمس وعشرين سنة من سنة 1884 إلى سنة 1909م في مخيمه تحيط به عائلته وتلاميذه الذين أخذوا في التزايد دون انقطاع، فأصبح مخيمه يقيم تارة في السمارة وتارة في قرزيم - الساقية وتارة أخرى في اسدام أو في الحقونية أو في التوركت. وهناك أمر واحد جدير بالذكر حدث في هذه الفترة من الزمن وهو أن ماء العينين بعد ما حاول اغتيال المسافرين الإسمانيين كيروغا وسرفيرا أو على الأقل السماح بالقيام بتلك المحاولة، أنقذ حياة المستكشف كميل دول Camille Douls معترفا بشكل

قاطع بأن المسمى بعد المالك المعامر لدى حاء به أولاد دشم، لفسفة سه 1887م، مسلم حقيقي صحيح الإسلام .

فاستقر نهائيا بالسمارة سنة 1899م وبلغ مخيمه ما يربو على خمسمائة بيت تقريبا بعد أن لم يكن يتجاوز في أوّل الأمر مائة بيت. صحيح أن ذلك المخيم لا يعيش كله مزدحما في حي واحد لكنه مورع بحسب العائلات على طول الساقية وروافدها.

وقد بنا لنفسه سنة 1904 م قصرا في لسمارة على بطرير المعروف في القصور المغربية. أما مواد البناء التي لم يكن في الإمكان الحصول عليها من عين المكان فكان يتم شراؤها من لتجار المعاربة الذين يأتون ليتحولوا ببضاعتهم في الطرفاية أو يبعثها إليه السلطان عند العزيز. أما اليد العاملة فقد حصل عليها بسهولة من بائي تكنة، في وادي نون، المهرة في بناء "القصور" (Ksour) والقرى حيث يعيش عدد من عشائريهم حية الحضر. ولم يكن هذا القصر أبدا سوى مخزن محبوب، ومستودع للسلاح ومكتبة، ويستخدم عند الضرورة للاحتماء من غارات القاطنين بأعمال النهب. دمره العقيد موريه Mouret في الأول من مارس سنة 1913م. وقد كان لماء العينين على الدوام علاقات ممتازة مع الحكومة الشريفة [المغربية]. وفي الفترة الفاصلة ما بين عامي 1890 و1900م حدم المحزن مباشرة وذلك بخلقه لكل أنواع الصعوبات في وجه البعثة السياسية الإسبانية التي قادها ريو دي أورو Rio de Oro والمؤسسات التجارية الإنجليزية في كاب جيبي (بور فكتوريا). وكان ماء العينين في الكثير من المرات يترك مخيماته في الساقية لزيارة السلطان. ومنذ عام 1890م بدأ يستقبل بحفاوة في مراکش من طرف ملاي الحسن.

وفي عام 1896 م استقبله السلطان الشاب عبد العزيز في مراکش . وقد أهدها السلطان مقابل الهدايا التي قدمها له من العيد من الحسنين. الكثير من الهدايا ومنحه مكانا ليشي فيه رواية لطريقته، وهي رواية التي أصبحت مدرسة فرنسية منذ احتلالها للمغرب. وفي حبر عاد الشيخ سعد

بوه عن طريق البر، نقل السلطان أهله وأمنعته على متن سفينة بحارية صغيرة من موعادور إلى الطرفاية. وقد تجددت تلك الأسفار وتبادل الخدمات بكثره عام 1906م في ذلك الوقت الذي أصبحت فيه السابقة مركزا لحياة سياسية وتجارية مهمة نسبيا. وقد أصبحت السفن الشراعية التابعة لجزر الكناري، ومن حين لآخر بعض السفن التجارية الألمانية الصغيرة، وبعض السفن الشراعية اليونانية، تخط بها، بالإضافة إلى حمولتها العادية من المواد الغذائية شحنات من الأسلحة والعتاد. وكان ماء العينين ينتقل إليها بنفسه مرات عدة لتسلم شحنات من تلك الأسلحة التي منحتة السيطرة على المنطقة، وسمحت له بأن يدعم فعليا كفاح القبائل المحاربة ضد الفرنسيين القادمين من السنغال، وفي الوقت نفسه كانت له علاقات ممتازة مع السلطات الإسبانية التي تمثلها بعثة ريو دي أور، التي أدت محاصرتها في جزيرة الداخلة (فيلا سنسروس)، إلى جعلها خطيرة شيئا ما. فكان يبعث إليها مرات عدة بوفود يقودها أبنائه وأحفاده : يجب ألا يكدر تدخلهما بالفعل لدى حاكم جزر الكناري إلى تجفيف مصادر العصاة.

وعن بعد كانت سياسية الحكومة المغربية في الصحراء تبدو في غاية الوضوح، وتعد بدرجة كبيرة من الذكاء. فقد كانت تسعى فقط إلى ضمان سيادتها الإسمية على تلك المناطق النائية والصحراوية - إذ لم يكن في مقدورها القيام بأي عمل بنفسها - باستخدام النفوذ الديني للمشايخ وصد أطماع الأمم الأوروبية عن طريق الثمن الذي كانت تدفعه من خلال بعض الهدايا من القماش الغني والأسلحة والعتاد، وكان الأمر يؤول دائما إلى نجاح سياسة المخزن في قدرتها على استخدام السلطات المحلية التي كانت تخرج عن سيطرتها المباشرة لصالحها، وفي الآن نفسه تغطي جبهتها الجنوبية وذلك بالقيام بدور شرطة الصحراء بتوظيف القوة الوحيدة القادرة حقيقة على ذلك، وعندها يكون لها حق الاحتجاج بطريقة دبلوماسية ضد كل تعدٍ للصاري على حقوقها.

وتدل رسالة كتبها السلطان عبد العزيز إلى جماعة قبيلة لغوسيين الصحراوية بتاريخ الثالث والعشرين من صفر سنة 1323هـ الموافق لـ 1905م⁵⁹، بوصوح على الأساليب والأهداف السياسية للحكومة الشريفة. وتدعو لأهمية البانغة لهذه الرسالة في ضرورة ذكر مقاض طويلة منها:

>> لقد تاهى إلى سمع حضرنا أنكم تنذرون من محاولات قامت بها أمم غريبة بهدف اجتياح بلدكم، وأن رأي القبائل المحاورة للملكة هو مقاومة هؤلاء الغرباء، وأن ما ينقصهم في النهاية هو إذن خاص ورعيم مطاع، وكذا بعض الأسلحة الحديثة.

وقد سجلنا طلباتكم، ونرى أن سخطكم على أولئك الذين يترصون ببلدكم، واتفاق قبائلكم فيما بينها للدفاع عنه دليلان على إيمانكم الكامل بالله (...)

ومن جهة أخرى فإن إعلان تعلقكم بحكومة لشريفة، التي اعترفت بها منذ أمد بعيد، هو دليل يؤكد مطالبكم، ويثبت صدق تعلقكم بنا. وأنتم بذلك الاعتراف إنما تدافعون عن دينكم وتحفظون مكانتكم على الدوام (...)

أما فيما يتعلق بالوسائل التي تنقصكم، والمساعدة التي نستظرونها منا، وفي الأخير الاهتمام الذي ترعبون أن نمنحكم إياه، فإنه من واجبنا بالفعل أن نتم بكم جميعا، وإن شاء الله ستحصلون ما على ما تريدون.

وعليه سنبعث إليكم بحاملي هذه الرسالة وهم (...) وستأتي إليكم هذه البعثة للتعرف على بلادكم ودراسة حالتها، وستحدث إلى شيوخ القبائل في كل ما يمكن أن يكون في مصحتكم وفي مصلحة البلد.

⁵⁹ وقد صدرت في سنة 1323هـ الموافق في الأول من ما من سنة 1913م من طرف بعثة Mouret

وبالضغ سبتم ذلك كله بوساطة الشيخ عريير العلم السيد ماء العيسر
لدى كسا إليه في هذا الموضوع.

وباء على ذلك نأمركم بأن تكرموا وفادة رسلنا وأن تسهلوا لهم من
كل الواحي إنجاز المهمة الموكلة لهم، والانصياع كما نأمل لكل ما
سيأمركم به الشيخ(...)

علاوة على ذلك نأمركم بالطاعة والإخلاص لمن يقع عليه اختياركم
من أكابركم وسنبعث إليه في أسرع وقت مرسوم سلطاني بتعيينه يتضمن
ختم القيادة.

وعندما تعملون بذلك سنعتبركم من رعايانا وسيعم الخير بلادكم>>.

وقد قاد البعثة المغربية التي تحمل هذه الرسالة مولاي إدريس بن عم
السلطان. وحملت البعثة معها كما يقول ماء العينين، في رسالة وجهها إلى
محمد المختار زعيم كتنة في التاسع عشر من جمادي الأول سنة 1323هـ
(الموافق 21 أغسطس 1905)، رسائل مختومة بختم السلطان لتسلم لمن
يعينهم الشيخ نفسه ممن في مقدورهم أن يعينوا زعماء معترفا بهم.

كما وجه ماء العينين رسالة أخرى إلى ذلك الزعيم نفسه وبفلس
التاريخ يشرح الهدف من البعثة يقول فيها >>ليكن في علم حضرتكم أن
السلطان أرسل ابن عمه الذي يمثله لبحث شؤون البيضان وبخاصة تلك
المتعلقة بأمر النصاري قاتلهم الله. وقد طلب السلطان من مدوبه الذي
سيقدم كل شيء بعون الله الاهتمام بتلك الأمور اهتماما جديا إلى أن
تنتصر قضية المسلمين بشكل تام>>.

وكانت هذه السياسة الانتهازية من جانب المحزون تخدم مصالح ماء
لعينين مباشرة. فبالإضافة إلى المصالح المادية الناجمة عن تلك الأسفار
والزيارات واللقاءات، كانت تمنحه وسلة يحكم بها سيطرته بشكل كبير
في أعين البيضان الذين يعتبرون السلطان العبد عنهم سلطانا ذا هبة
وسلطة مطلقة، وفي نفس الوقت شريفا، وحليفة للمسلمين. لكن ماء

العينين كان يحافظ على الأحص على أروائه مرعما بسك النصارى على
التراجع، وكانت مصلحته من هذه الراوية مرتبطة رسا وتفا عصصحه
اسخرن.

واستمر الوضع على ما هو عليه دون تغيير حتى عام 1906م وهي
السنة التي جرت فيها الأحداث الأكثر خصوبة ذات العواقب بعيدة
المدى.

ولما لا حظ المشقون والمجموعات الموريتانية غير الخاصة للنفوذ
الفرنسي أن جهودهم مجتمعة لن تكون أبدا كافية لتحرير تكانت أخرى
عن طرد المستعمر الفرنسي عن بلادهم، قرروا طلب النجدة من سلطان
المغرب، فاجتمعت لذلك الغرض بعثة غير عادية مكونة من جميع الزعماء
والأعيان في السمارة وتوجهت إلى فاس بقيادة ماء العيسر
شخصيا، فخصها السلطان عبد العزيز وحكومته بأحر استقبال وأعطاهم
وعودا مبالغ فيها. وعادر ماء العينين فاس بعد أن أقام بها عدة أشهر
متوجها نحو الجنوب في أوائل سبتمبر سنة 1906م. فكان هذا التحييش
الذي قامت به الرباط والدار البيضاء ومراكش هو الذي أرعنا - بعد أن
أدى إلى بعض الحوادث المتفرقة - على تحديد سياستنا في المغرب، ودفعنا
إلى احتلاله في نهاية الأمر.

فمن 12 إلى 14 سبتمبر سنة 1906 م كانت عصابات ماء العينين تقوم
بنهب التجار المغاربة في ميناء الدار البيضاء، وهو حدث لا يستغرب، إلا
أنهم كانوا يعتقدون على ممتلكات العديد من الفرنسيين بل وعلى
أشخاصهم، وهو أمر مزعج في ذلك الميناء. وقد برهنوا بذلك لسكان
الشاطئي بشكل ملموس بأن الروم ليسوا معصومين ولا مقدسين فلم يكن
المثال الذي ضربوه ولا النصائح بالكراهية التي زرعوها في الشاوية على
طريقهم ليزهد سدى. فبعد مرور عشرة أشهر وبعد عودة البعثة
الموريتانية الثانية إلى الشاوية، حدثت مدح الدار البيضاء وأدت إلى
احتلال المدينة في نهاية يوليو سنة 1907م.

ووصل ماء العيسى وفومه إلى مراكش في أواخر سبتمبر سنة 1906م، فتكررت نفس المشاهد فاصحه وم يسلم منها المعارضة ولا الأوروبيون، وتعرض الكثير من الفرنسيين خاصة طبيب موشامب والوكيل القسلي لاسلاس لأعتداءات مسلحة. وقد أدت هذه الفوضى التي أشيعت في المدينة على هذا النحو، والتي كان يرعاها تواجد طال أمده للعديد من تلاميذ الشيخ، إلى اغتيال الطبيب موشامب نفسه، وإلى احتلال وجدة ردا على ذلك.

ولكن كانت الأسباب التي قادت فرنسا إلى احتلال المغرب متنوعة وبعيدة، إلا أن "ذريعة" احتلال شرق البلاد وغربها على حد سواء يمكن أن تعزى بكل تأكيد إلى ماء العينين وعصاباته المكونة من تلاميذه وأنصاره.

وبمغادرته لمراكش، حيث لم تكن لقاءاته مع مولاي الحفيظ وكبار قواد الأطلس معزولة عن تمرد ذلك الأمير، ذهب ماء العينين إلى تيزنيت وسكن في قصر الحكومة ذاته، وبدأ يحلم منذ ذلك الحين في أن يجعل منه مركزا لعملياته ونفوده. وفوضته حكومة المخزن بصفته ممثلا الرسمي في المنطقة. وبما أنه كان في أمس الحاجة إلى السلاح والعتاد، وبما أنه دحر بقوة نفوذ شريف تازروالت الكبير، فقد جذب إليه ذلك النصر قوى محاربة، كما جذبت إليه دعوته الدينية ووعوده بالمشاركة في الغنائم معظم القبائل الأمازيغية⁶⁰، والعربية من سوس إلى السمارة.

ولم يهمل ماء العينين في تلك الأثناء مورتانيا فقد شن خلال إقاماته الكثيرة والمطولة في السمارة غارات على تگانت مشجعا بأعمال التحريض التي يقوم بها مولاي إدريس ممثل السلطان ذلك المسكين الذي سرعان ما نفذ صبره فتاه في المهامه المورتانية ولم يجن فيها سوى الغدر والإهانة بل وحتى الضرب. فأشرف ماء العينين بواسطة أبنائه على مقاومة

أمير آدرار وجيشه ومولها بالسلاح والعتاد بشكر مستمر، فحاول إغراء أنصارها وأصدقائها وتمكن في الأخير بفضل تكويبه الديني من الجمع بين القبائل المتصارعة منذ الأزل فيما بينها وتوحيدها دون كلل أو ملل.

إلا أن الأحداث تسارعت شمالي قصر السمارة وشرقه وجنوبه حيث دفن الشيخ ماء العينين طموحاته كما دفن الشريف السنوسي مشاريعه الطموحة في واحة بالجبوب.

ففي الشمال أدى احتلال الشاوية إلى تمرد ملاي الحفيظ وسقوط عبد العزيز. ولم يف السلطان الجديد بوعود سنفه، وتعاهد بدوره مع النصارى فاجتاحت المغرب موجة من التعصب والعاطفة الدينية. ومثلما قبض الله، قبل ثلاثة قرون عائلة من الشرفاء الفلاليين، خرجت من أقصى الجنوب للإطاحة بسلالة السعديين الحاكمة، صديقة البرتغاليين والخائنة للإسلام ولأرض الأجداد؛ كذلك ظهرت عائلة جديدة من الشرفاء في وادي درعة تفاخر بصحة نسبها وورعها الصحراوي للإطاحة بهذه السلالة الفلالية المثقلة على الدوام بالمعاهدات مع النصارى والعاجزة عن صد الفرنسيين الغزاة.

تلك أحلام راودت ماء العينين منذ سنة 1900م، وهي الفترة التي جلب فيها الحكم الفردي للسلطان عبد العزيز كراهية عميقة جدا في قلوب رعاياه. فكانت طموحات ماء العينين في هذا الصدد تنسجم مع سير الأولياء التي ترويها الروايات الشعبية والتي تقوى بمقدم الشريف المصلح للملكة الشريفة من الجنوب. ولما رأى ماء العينين أن الفوضى قد ضربت أطناها مع مولاي الحفيظ المحاصر في فاس، وأن أدياء الملك قد ظهرت من كل حذب وصوب، أدرك أن الوقت قد حان للدخول إلى مسرح الأحداث.

من جهة أخرى وإلى الجنوب من ذلك، في مورتانيا، كانت معارك آدرار واحلاله، والتي أعقبها توغل العقيد غورو Gouraud في اتجاه ساحة

⁶⁰ في النص فاصل فشرحه (مترجم)

احس، قد صممت حصوع جميع القبائل تقريبا لدفود الفرنسي فحرمت
بدلت ماء العينين من أقدم وأهم معقل ديني ٤.

وفي الشرف، في الجزائر، محمدا إحلال بودنيب السيطرة النهائية على
القبائل التي تمارس النهب وهي : دوي منية وأولاد جرير الذين لا تخصي
لغارات التي شنوها على الساقية الحمراء وجنوبي وادي درعة .

لقد أصبح بقاء ماء العينين في السمارة مستحيلا بسبب ذينك
الاحتلالين بعد أن وقعت قواته وقومه وزاويته تحت رحمة غارة قمنا
بتدبيرها في الوقت نفسه من جنوب وهران ومن آدرار موريتانيا، ونحن
نعرف أن تلك الغارات في مقدورها أن تحدث أشد المفاجئات وتحقق
أعظم النتائج بفضل جرأتها التي لا تصدق وشساعة تلك الأراضي
اصحراوية مترامية الأطراف. هكذا إذن غادر ماء العينين السمارة - في
نفس اليوم (من سنة 1909م) الذي التحق فيه ابنه الشيخ حسناء، الزعيم
الديني لمقاومة سكان آدرار بالطرف الحاسر، زاوية الأب - ليستقر به
المقام نهائيا في تيزنيت في أواخر سنة 1909م .

وردا على أوامر صادرة من المخزن الذي أمر قواده في الجنوب
وخليفته في أغادير - بعد الاحتجاجات الحادة من الحكومة الفرنسية -
بالقضاء بقوة على التهريب واعتقال المهريين في فبراير سنة 1910م، قام ماء
العينين بإزاحة القناع عن وجهه نهائيا وأعلن رسميا في مايو سنة 1910م أنه
هو السلطان الذي اختاره الله لحكم المغرب. ودون أن ينتظر طويلا قام
بجمع تلاميذه ورجاله المتحمسين النهبة من قبائل الرقيبات وأولاد دليم
وأولاد بالسبع وتكنة والشلوحة وجمع في طريقه كل المغامرين والمتعصبين
المناهضين للأطلس وسوس وزحف على فاس للمطالبة بحقوقه في عرش
المغرب مستعيدا ذكرى الملحمة المرابطية في القرن الحادي عشر أو الفلالية
في القرن السادس عشر الميلادي.

ومعروفة هي النهاية التي آلت إليها تلك الأحداث. فبعد أن سحق
حيثه في نادلا خلال شهري يونيو ويوليو سنة 1910م من صرف الخرنال
موانييه Moinier، الذي جث بذلك المغرب حقبة جديدة من الفوضى
الحادة، وجد ماء العينين نفسه، وقد تخرج كأس اخن، وأعياء المرض،
وأصبح عرضة للنهب من طرف قبائل سوس، مضطرا إلى بيع مواشيه
وأسلحته بل وحتى كتبه للحصول على لقمة العيش، فعاد إلى تيزنيت
ليقضي نجه فيها في أواخر أكتوبر سنة 1910م.

دفن بتزنيت نفسها في ضريح جميل مقبب، وبني على ضريحه مسجد
جميل سرعان ما أصبح قبلة للزائرين.

ونؤكد على أن ماء العينين قد حج بيت الله الحرام مرتين أو ثلاث
مرات عن طريق البر. وكان كإخوته يجب أن يروي عنه أتباعه حصول
كرامات وأموار عجيبة على يديه. وإن كان قد اكتسب بذلك شهرة في
أعين الجماهير بأنه ولي صالح، إلا أنه سرعان ما تحول في أعين
الأوروبيين إلى ساحر، وسفيه مراوغ في نظر بعض كبار مشايخ البيضان
الآخرين (٦١).

وعلى كل حال كان ماء العينين رجلا عالما ألف العديد من الكتب
صغيرة الحجم في الدين والتوحيد، والفقه والتصوف، وعلم الفلك وعلم
التنجيم، والنحو وغيرها، توجد نسخ البعض منها في فاس وفي مراكش (٦٢). وكان
يشغل بالتعليم بالسمارة قبل الانخراط في العمل السياسي لكن في الوقت
الذي كان يعمل فيه على القيام بتكوين علمي عالي لمعلمي روايته، يمكن
القول بأنه كان يجب تعليم الأطفال الصغار على ألواح الخشب . إلا أن
بيضان الجنوب يأخذون عليه أنه كان <>عندما يتوغل في البادية فإن

٦١ لا يحل هذا القرن من مباحة وتخريج شخص العلامة إسماعيل لسبح ماء العينين. ومن الموضح أن المؤلف
ينسب إلى الخلافة المعروفة والخصومات ذات الصانع الإدولوي من رعماء بقرى القصوفه (المرجم)
٦٢ انظر فهرسة هذه الكتب في "تخلة العام لإسلامي" المجلد 1، 1907، ص 349 350

السبعون له وينسبوا كما تنسب العصافير > فتحول لمعلم والمفكر إلى رجل سياسي وفائد حربي.

أما نسأوه الأحب إلى نفسه فهن:

أ- ميمونة بنت أحمد عليون من البرابيش. والبرابيش هي أسرة من أسر زوايا أهل تشفاغة الخطاب منحدر من آدرار تبعت ماء العينين. وميمونة هي أم الشبيه والطالب خيار والأقظف والهيبة ومربيه ربه.

ب- الفتى بنت يوسف من برابيش آروان، قدمت مع زوجها من الحوض وهي أم الولي.

- السالكة بنت درجة، وهي من العروسيين وهي أم محمد فاضل.

وكان لماء العينين واحدا وعشرين ابنا بلغوا سن الرشد وثلاثين بنتا.

أما ذريته من الذكور فهي على النحو الآتي:

محمد فاضل (المتوفى) وابنه ماء العينين، سيداتي، الشبيه وابنه ماء العينين، ومحمد فاضل، سيدي بوياء، سيداتي (متوفى) وابنه ماء العينين، المامون، حسناء، سيدي عثمان، الشيخ حسنا وابنه ماء العينين، سعد بوه، الشيخ الطالب خيار، الأقظف، الطالب بوياء، أحمد الهيبة، الولي وابنه محمد فاضل، الشبيه، ومربيه ربه، النعمة، محمد عبد الوهاب، اجيه المختار، محمد أبو الأنوار، محمد المصطفى، الطالب بوياء، محمد تقي الله (متوفى) وابنه محمد فاضل، محمد الإمام، محمد إبراهيم، محمد الزين، محمد المعلوم، سعد بوه.

وقد توفي نجل ماء العينين وهو محمد فاضل الجدي من سنوات ودفن في الملاية الواقعة بين وادي درعة ونون، وكان قد تزوج امرأة من العروسيين.

أما الشبيه البالغ من العمر 45 عاما وهو شقيق الهيبة فقد تزوج خدجتنا بنت سعد بوه وتوفيت عام 1910 م بترست. وكان نائبا لوالده ردحا من الزمن لكن نجمه أفل أمام تفوق الهيبة عندما بلغ سن الرشد، ويوجد أبنائه معه في تيزنيت.

أما سيداتي فقد توفي ودفن في الساقية.

وأما الشيخ حسنا فقد انتدبه الشيخ بصفته ممثله الديني في آدرار لمرافقة ابن عم السلطان مولاي إدريس في الفترة الفاصلة ما بين 1906 و1908م. وكان عندما عزا الفرنسيون البلاد عماد مقاومة أهل آدرار ومستشارا لأمير آدرار أحمد ولد عيده الذي كان غالبا ما يأخذ برأيه. وعند احتلال آدرار عاد إلى السمارة وذهب إلى الحج بعد حدوث مشكلات داخلية فيها، واستقر عند عودته من الحج في إحدى الزوايا بفاس، وأعلن خضوعه للسلطة الفرنسية في المغرب، ويبدو أنها قد استعملته في مفاوضات مع الهيبة سنة 1913م. تزوج سعدا ابنة الشيخ سعد بوه، وقد عاشت سعدا في الآونة الأخيرة مع أولادها في مخيمات الساقية. وقد كلف المحفوظ ابن سعد بوه بإعادتهم إلى المدرزة إذا أمكن ذلك.

أما الطالب خيار البالغ من العمر 36 عاما، وهو شقيق الهيبة، فليس له شأن في الوقت الحالي.

أما محمد الأقظف البالغ من العمر 36 عاما وهو شقيق الهيبة فهو متزوج من امرأة من تندغة (أو تلميت). وكان قد تزوج خدجتنا وهي حفيدة سعد بوه من جهة أمها سهلة. وقد توفيت الآن من غير أبناء. ومحمد الأقظف هو ممثل الهيبة الرسمي في موريشيا. ونائبك على نحو

ما في أقصى الجنوب بحكم لقبائل باسمه. وقد انطلقت بأمر منه حملات
سبب التي جاءت لتغير على القبائل الحاصصة للنفوذ الفرنسي والمحموم
عبي مراكنا. ويبدو أنه هو الذي قاد الفرق العسكرية الكبيرة التي
اشتبكت مع لواء موريه Mouret عند عودته من السمارة وهزمها في وادي
الناقلات في يومى التاسع والعاشر من مارس سنة 1913م.

أما أحمد الهية البالغ من العمر 34 سنة تقريبا فهو خليفة ماء العينين
الروحي ووريث طموحاته السياسية. و منذ سنة 1905م استعمله أبوه،
الذي لا حظ قدراته الفائقة، مساعدا له مفضلا إياه على الشبيه الذي كان
يتمتع بلقب الخليفة. وشيئا فشيئا أصبح يساعده بشكل فاعل في إدارة
تلاميذه وفي مهامه لدى القبائل، وانتهى به الأمر إلى تعيينه رسميا خليفة له
ووريثا لمشيخة من بعده.

وكان الهية قد رافق والده عندما زحف على فاس سنة 1910م. ونقل
أباه المريض إلى سوس بعد هزائم تادلا وقضى على الحركة (Harka)⁽⁶³⁾،
ومر إثر الموت المفاجئ لماء العينين في أكتوبر سنة 1910م بأزمة ثقة دامت
أكثر من سنة. إلا أن محادثاته مع قواد الأطلس الكبير، ومشاوراته العديدة
مع بعض القبائل عززت ثقته في نفسه، فقرر أن يعلن نفسه، في السادس
من مايو سنة 1912م وقت الصلاة، سلطانا لمغرب. واندفع "مولاي
اهية" بسرعة إلى الأمام واحتل سوس بسهولة ودخل مراكش في أوائل
أغسطس سنة 1913م.

إلا أن خيبات الأمن تنالت عليه دون تأخير. فقد احتلت قواتنا
مراكش ابتداء من سبتمبر ففر الهية إلى جنوب الأطلس واعتصم بسوس
وجعلها مركزا لعملياته بعد أن تم طرده من حوز مراكش. إلا أن الحركة
الشريفية أرغمته مرة أخرى على الفرار بعد أن اجتاحت سوس
وأخضعته واستولت على تارودانت (في 23 مايو سنة 1913)، وعلى

⁶³ مصحح بطون على جيش امصوعى "أما لاس" - الفرنسي، وهو ما يطلق على الجيش سكي (المرحم)

أغادير (في 31 مايو 1913م) وهو الآن لا حتى أدى استنوحه مدهصير
للأطلس. وقد أصبح في حال يرثى لها بعد أن عرته لقواد وأسرفاء
الموالون للمملكة في المنطقة عن اتصاله بالجنوب.

وفي الجانب الموريتاني لم يعد هناك نجاح يذكر. ولئن كانت بعض
الغارات الساجحة قد استطاعت أخذ بعض الغنائم من القبائل الخاضعة لها،
وأن تكبد بعض الخسائر لقواتنا، إلا أن معظمها كان يتم إحباطه ولقصاء
عليه. وكانت القبائل الخارجة على السلطة الاستعمارية مضطرة إلى العيش
في الأودية المعزولة في الساقية والحمادة بعد صردها من أراضيها.

ولم يفض المحهود الكبير الذي بدله الأقظف لتجميع قواته في مطمع
سنة 1913م إلى أيه نتيجة. فقل أن تتجمع قواته للانقضاض على
موريتانيا، حمل العقيد موريه Mouret بسرعة على السمارة ودمر لقصر
وزحف على التجمع وكبده أفدح الخسائر في وادي الناقية. ويبدو أن
مغامرة المدعي اهية قد انتهت في الوقت الحالي اللهم إلا إذا عاد إليه
النفوذ مجددا وهو أمر لا يستبعد. فقد قضى أفضل المحاربين من تلاميذ ماء
العينين معه، وقتل الكثير منهم مع ابنه في جنوب المغرب من سنة 1910 إلى
1913م في الغارات على موريتانيا. وفي أثناء ذلك قضى وباء كبير هو
مرض الجدري على عشر القبائل المتجمعة حول الساقية ووادي درعة
ووادي نون، وسرعان ما بدأ الانقسام يدب وسط تلك القبائل التي
تجمعت بشكل مصطنع خارج المجال الجغرافي الذي عتادت أن تتواجد
فيه. وأدى الاحتكاك المطول بينها إلى إيقاظ العداوات الشديدة التي فرقتهما
منذ قرون، والتي لم يسكتها سوى التعصب وأمل الحصول على غنائم
وفيرة في المستقبل.

واستطاع النجاح - وهو مجرد نجاح عابر - الحفاظ على تلك الحمة
إلا، أن الإخفاق كان دائما حليفها. ثم تلا ذلك قحط شديد ناجم عن
انقطاع العلاقات التجارية مع الشمال والجنوب، وانفراط عقد ذلك
التجمع القسري للعديد من القبائل على أرض قسبه واحدة منها.

هكذا أحد ذلك الحائف للمراطين الحدد يتمكك سكل كامل، فبقت نكة في قصور وادي سون، ولن يتحركوا من مكائهم طالما بقيت الأمور على حالها، واقترب أولاد دليم وأولاد بالسبع من مراعيهم في الجنوب، باحثين من خلال العارات المتبادلة عن علاج مهدئ لحية أملهم. أما الرقيبات، الغاصون الذين لا يمكن ترويضهم، فقد تركوا المكان منذ عدة أشهر آخذين معهم مواشي جيرانهم، وهم في انتظار الخضوع للنفوذ الفرنسي.

ويبدو أن كنفدرالية قائل الصحراء، التي كان الهية يستمد منها حرسه من الرجال الأشداء والنواة الصلبة لعصابته، قد تلاشت.

وللهية العديد من الزوجات البيطانيات وأشهرهن:

فاطمة بنت سيدي محمد العربي شريف غلميم، ولم تنجب له أطفالا، وهي الآن معه هي وأمة له في جنوب المغرب.

امراة من أهل اتفاغة الخطاب من آدرار، وقد بقيت مع طفلها في قصر وجان في كدية باكلة.

والهية رجل متوسط القامة قوي البنية. وهو رجل ذكي وعالم بشهادة الجميع. ويتمتع علاوة على ذلك بشهرة كبيرة بالتدين والبسالة. واجتماع هاتين الخصلتين فيه هو الذي منحه الاعتراف به خليفة لماء العينين وسنطانا محتملا دون اعتراض كبير من جانب إخوته الأكبر سنا.

وقد حافظ على عوائد الحياة البيطانية، فكان يلبس من القماش الغني الأزرق، ويحمل على رأسه، شعرا كثيفا مجمعا لا يخلقه وهي عادة إخوانه في الصحراء.

ولا يبدو من بين أبناء ماء العينين لحد الساعة من له شخصية متميزة باستثناء مريه ربه البالغ من العمر 30 عاما وهو زوج إحدى بنات ملاي

عمر ولد مولاي إدريس شريف آدرار، واجبه اسحار والولي ونالهم وخاصة أولهم قواد نشطون لهيبه في معامرته المعربية.

وتحدر الإشارة، من بين بنات ماء العينين وأصهاره، إلى:

الأبجد ولد العالم من أولاد ابيري عشيرة أولاد خادجيل (أبو تلميت) وهو يقيم مع ماء العينين منذ عشر سنوات. وبما أنه منحدر من قبيلة الشيخ سيديا، فقد حاول ماء العينين إقناعه مرات عدة بالخروج من حلف الفرنسيين. وهكذا أرسل إليه في إبريل سنة 1906م بتقرير أعده بطريقته الخاصة عن مؤتمر الجزيرة⁽⁶⁴⁾، يقول فيه:

>>إنك لا تجهل أن الألمان، وهم قوم أولوا بأس شديد، أصدقاء للسلطان منذ سنة 1323هـ (الموافق 1905م)، وقبل هذه الأمة كان الإنجليز أصدقاء لأبيه.

وقد جرت العادة في المغرب على الدوام بأن يوكل السلطان شؤونه إلى أمة قوية لكي تدافع عنه ضد الأمم الأخرى. ولا يعنى ذلك أنه بحاجة إلى المساعدة للقيام بالجهاد بل هي مجرد عادة. فهو يطلع الأمة التي اتخذها صديقة له على ما يمكن أن يقوله أو يفعله أعداؤه. وقد قدم الألمان خدمات جليلة إلى السلطان، فقد زادوا مداحيل البلد بخلفهم لحقوق يجب أن يحصلوا عليها من البضائع التي تدخل الموانئ، علاوة على ذلك يجب أن يدفع سائر سكان البلد مسلمين كانوا أو نصارى أو يهودا مئبغا من المال كل عام.

وقالوا له إنه إن ثبت لديهم أن ثمة اعتراضا على ملكه في البلد فسيحولون الأمر هم بأنفسهم إذا لم يرد الفرنسيون التحلي عنه، وقد

⁶⁴ رساله كسف عليها السبع سيدا ورحمهم أبو معة

وافقت كل الأمم على هذا في خطب ممتليها. فكانت أول أمة تحدت في هذا الشأن هي إسبانيا وآخرها فرنسا.

وقد قما من أحل دعم دعاوى السلطان باستقدام مندوبي القبائل المذكورة آنفا وأعلوا ولاءهم للشيخ ماء العينين وللسلطان، وأعلنت تلك القبائل إذن أنهم كانوا دائما من الرعايا المغاربة، وأنهم قد وجدوا في كتبهم بأن مولاي اسماعيل قد هبط حتى وصل إلى سنت لويس وهي حدود بلاده.

فيذا لم نكن قد كتبنا إليكم مثلما كتبنا إلى المسلمين كافة، فما ذاك إلا لأننا نعرف أن ذلك غير ضروري .

وعليه فإني أمرك بأن تذهب أنت بنفسك إلى خليفة السلطان عندما يكون بآدرار، أو أن تبعث إليه شخصا نيابة عنك، وأن تكتب إليه كتابا في الآن نفسه. ولا تنهون في شيء في أمر النصارى، وعليك أن تقوم بكل شيء ليصدهم الله عنا، فقد أحدثوا أذى كثيرا، وهم أخطر من السم، وإذا دخلوا أرضا قضوا على الدين وقتلوا شيوخها جميعا، وأخذوا أموال أهلها ولا يتركون سوى النساء والأطفال. ولا ينبغي للرجل العاقل أن يفعل كما يفعل الأرنب يترك الصيد يقتله وعيناه مفتوحتان (مثل حساني) فيجب القيام بالجهاد. فالمسلمون أقوياء بدينهم، والكفار ضعفاء بكفرهم.

وقد روي لنا الكثير عنكم : بل إنه قيل لنا إنكم بقيتم أصدقاء للكفار على الرغم من أنه في إمكانكم إنقاذ أنفسكم منهم والمهجرة كما هاجر الرسول (ص) من بلده وقومه لكي لا يقعد مع الكفار >>.

أما أهم أصهار ماء العينين الآخرين فهم:

- ماء العينين ولد الشيخ أحمد من قبيلة أولاد بالسع، وهو في ذات الوقت ابن أخته الراية بنت محمد فاضل، وصهره باعتباره زوج استه ميمونة.

- الحضرمي. شقيق السابق، والذي تزوج سعدنا ست الشيخ.

- القطب. شقيق السابق، الذي تزوج بنته أخرى من بات الشيخ.

- محمد فاضل ولد محمد نافع، وهو في الوقت ذاته ابن أخت ماء العينين، حفيد الحجة بنت محمد فاضل، وصهره باعتباره زوج ابنته منى.

- محمد محمود ولد محمد فال ولد الطالب، من أهل حبيب الرحمان، إحدى عشائر تندغة.

علاوة على ذلك ترك ماء العينين في الخوص قبل هجرته إلى آدرار والساقية ابنتين هما:

- خديجتنا، وقد تزوجها أحد أبناء عمومتها

- أم الفضل، وتزوجها محمد بن محمد الحسن أحد أبناء عمومتها، وقد غادرتا معا الساحل إثر حدوث جائحة حيوانية قضت منذ سنوات على عشر الماشية، واستقر بهما المقام عند سعد بوه، بعد أن قضيا فترة مع ماء العينين.

ويمتد نفوذ ماء العينين الديني بالمعنى الدقيق للكلمة،- الذي ورثه أباؤه في الوقت الحاضر- إلى أقاصى الحدود المغربية الموريتانية لدى قبائل الرقبات وأولاد دليم ومواليهم : أولاد التيدرارين، ولدى العروسيين وخاصة لدى تكة الذين يشكلون كنفدرالية وادي نون. وفي الجنوب امتد نفوذه بشكل محسوس في آدرار وخاصة لدى قبائل الأقلال وأهل آجوير، والطرش، والسماسيد، لكن ليس له نفوذ جنوبي خط العرض المار نانواذيبو. فلا يوجد في تلك المنطقة التابعة بدائرة التارزة سوى بعض الشخصيات من عشيرة إداو الحاج تنتمى إلى فاضلية الشمال. وأبرز تلك الشخصيات : محمد ولد محمدن فال، المشهور باسم الشيخ أحمد ولد

اسميس وهو من عسيره أهل نانا شمس الفرعية. درس في لسافية، وكثيراً ما مثل ماء العيين في محكمة فاس، س إبه فتح فيها مدرسة لتعليم القرآن. وإلى اشعار من ودي نون. يمثل ضريح ماء العيين بتنزيت مركزا دينيا لقاصلية يجذب الكثير من الناس. ويبدو أن نفوذهم يشمل تجمعات الشلوحة في المنطقة.

13- القطب:

عاش في الحوض ومات فيه ودفن في صوتا (گومبو).

ذريته من الذكور:

الشيخ محمد الأقطف، محمد تقي الله، الحضرمي.

14- محمد الغيث:

ويلقب بالنعمة، عاش في الحوض ومات فيه، ودفن مع أبيه محمد فاضل بدار السلام (گومبو).

ذريته من الذكور:

محمد فاضل (متوفى) المحفوظ، آبه، سيدي محمد، محمد تقي الله، ويعيشون جميعا في الحوض في أهل الطالب مختار باستثناء ثالثهم آبه، فقد غادر آبه المولود حوالي 1874م الحوض حوالي 1894م للبحث عن الشهرة لدى سعد بوه. فلما زار الشيخ المحفوظ في صيديو، الذي بقي معه عدة سنوات، عين في دمبا أواند (وهي مقاطعة تابعة لصاندوغو- أعالي غينيا الإنجليزية) فاشتغل فيها بالتدريس بإحدى المدارس وبالزراعة وجمع الزكوات. وهو متزوج من إحدى نساء البلد التكروريات.

15- محمد عبد الوهاب:

يلقب عداقي، عاش في الحوض ومات بالجندري في آدار خلال أحد أسفاره.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل، سيدي عثمان، محمد الأمين، محمد فاس.

أما محمد فاضل الملقب بفضيلي، وسيدي عثمان الملقب بيويا، فقد أقاما منذ صغرهما لدى سعد بوه. وقد تزوج أكبرهما إحدى بنات الشيخ وهي عزة الأمانة، أما أصغرهما فتزوج إحدى بنات عمه. وقد استعملهما سعد بوه في البداية في جمع الهدايا باسمه، ولكن لما ألحما استغلا وضعهما أصبح يشتكي منهما. وتم فتح تحقيق في القضية فاعترف فضيلي أنه زور في كوخ لدى صانع تقيدي من أهل المدينة ختما شبيها ختم الشيخ، واستعمله لجمع بعض الهدايا ومنح بعض "البركة". وكان ابنا محمد عبد الوهاب هاذين، اللذين تربيا عند سعد بوه، واللذين اعتبرا بمثابة ولديه، عرضة للغيرة من طرف أبناء الشيخ. أما الثالث فقد تربى لدى ماء العيين ومات سنة 1907م. وأما أصغرهم سنا فيعيش في أسرته مع الحوض.

16- آجيه المختار:

عاش في الحوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل، محمد الإمام، محمد الهية، المصلح، القطب، محمد المامون، سيداتي الملقب سيدي القوم، محمد الشير، الشيخ سعد بوه، محمد الأقطف، البشري.

وقد قدم تاسعهم (سعد بوه) لزيارة عمه سعد بوه سنة 1912م في تخيماته بالخروفة.

17- محمد المصطفى:

عاش في الحوض ومات فيه ولم يعقب ذرية.

18- البشري:

عاش في الخوض ومات فيه ولم يعقب ذرية.

19- الطالب بوبكر:

ترك أسرته في الخوض في سن مبكرة لكي يعيش لدى سعد بوه. مات في سنت لويس ودفن في الجهاغو.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل، محمد الأقطف، مفتاح الخير، ماء العينين، محمد تقي الله، سعد بوه، محمد المامون، سيدي محمد، الحضرمي، آبه، محمد الأمين. أما محمد فاضل الملقب خويا، صهر الشيخ سعد بوه سابقا، ومحمد الأقطف، فيعيشان مع الشيخ في الخروفة.

وأما مفتاح الخير فقد كان في صغره مقيما عند سعد بوه، ثم ذهب بعد ذلك لاستكمال دراساته لدى ماء العينين وأصبح من أفضل تلاميذه وتزوج إحدى بناته. وهو رجل شديد التعصب، ومحارب صلب حاربنا بقوة في النيملان، وامينان وعوينات الرفايق والرسلات وقصر الطرشان. ومع ذلك فقد أعلن خضوعه في إبريل سنة 1911م وعاش لدى سعد بوه. لكنه عاد مرة أخرى سنة 1912م للبحث عن زوجته وأبنائه كما يزعم، ولم يعد من الشمال بعد. ومع ذلك يبدو أنه لا ينبغي اعتباره منشقا فأهله ومصالحه يوجدان هنا. ويتولى سعد بوه ضمانته بشكل أكيد وهو أمر غير معهود.

أما ماء العينين فقد استقر به المقام لدى عمه الذي يحمل الاسم ذاته المقيم في الساقية منذ سنوات طويلة.

وقد قدم محمد تقي الله منذ سنوات من الخوض إلى سعد بوه وقضى عنده ردها من الرمن، ثم عاد إلى عشيرته في الخوض.

أما سعد بوه فيعيش منذ طفولته لدى عمه الذي يحمل الاسم ذاته المقيم في الخروفة. وقد اشهر بمشاركته في موضوعات السيرة من سعد بوه وماء العينين خلال الفترة الفاصلة ما بين عامي 1907 و1908م.

أما محمد المامون، المقيم لدى سعد بوه، فقد تزوج حفيدة هذا الأخير مريم سهلة ابنة سيدي بوبا.

أما سيدي محمد وآبه فيعيشان منذ عدة سنوات في مخيمات ماء العينين.

20- محمد أبو الأنوار:

عاش في الخوض ومات فيه ولم يحلف ذرية.

21- محمد الإمام:

عاش في الخوض ومات فيه ودفن في دار السلام مع والده.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل الملقب المهابة، آجيه المختار، سيدي بوبا.

فأما آجيه المختار فقد تزوج فيما مضى الحجة بنت سعد بوه وطلقها لكنه استمر في العيش مع الشيخ. أما سيدي عثمان الملقب سيدي بوبا فهو مقيم أيضا لدى الشيخ.

22- محمد المختار:

عاش في الخوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

محمد المختار، المحفوظ.

23- محمد المصلح:

عاش في الخوض ومات فيه ولا ترال أسرته هناك.

دريته من الذكور:

محمد فاضل، محمد الإمام، آبه، محمد الأقصف.

24- محمد ابراهيم:

عاش في الحوض ومات فيه ولا تزال أسرته هناك.

دريته من الذكور:

محمد فاضل، محمد الأقظف، الهيبة، مامين.

وقد قدم هذا الأخير (مامين) إلى الشيخ سعد بوه سنة 1911م وبقي عنده عدة أشهر ثم عاد إلى الحوض .

25- محمد الزين:

عاش في الحوض ومات فيه ودفن مع والده في دار السلام.

دريته من الذكور:

محمد تقي الله، القطب (متوفى)، محمد سالم.

26- محمد الفاتح:

عاش في الحوض ومات فيه ولم يخلف ذرية.

27- الشيخ سيدي محمد:

الملقب بـ المختار عاش في الحوض ومات فيه ولا تزال أسرته هناك.

دريته من الذكور:

الشبيه، عثمان، الحضرمي، سيداتي.

28- محمد المعلوم:

عاش في الحوض ومات فيه ولا تزال أسرته هناك.

دريته من الذكور:

محمد الأمين (متوفى)، سيدي بوياء، ماء العينين، محمد الحسن، محمد تقي الله (متوفى)، محمد فاضل، الحضرمي .

29- محمد الخطاب:

عاش في الحوض ومات فيه ولم يخلف ذرية.

30- الشيخ سعد بوه ⁶⁵:

أولاً- حياته:

ولد الشيخ سعد بوه (ومعناه "سعادة أبيه") في الحوض حوالي سنة 1850م في عشيرة أهل الطالب مختار في مسكت الراس. ودرس على ولده محمد فاضل الذي منحه مع الورد القادري الإذن بمنح كل الأوراد الأخرى. أما أمه فهي مريم بنت أحمد لولي من عشيرة إيدادهس التي يعيش معظمها في الوقت الحالي مع أولاد ابيري في أبي تلميت.

هاجر من الحوض إلى تكانت في نفس السنة التي توفي فيها والده مرفوقا بعدد من أتباعه. أما الرفيقان اللذان ظلّا متعلقين به حتى النهاية فهما:

محمد الأمين ولد عيسى، وقد توفي الآن لكن أباءه يعيشون في مخيم الشيخ ودفن مع الطالب بوياء شقيق سعد بوه.

⁶⁵ انظر حول الشيخ سعد بوه، منشأته، مصدر من ذكره، من ص 328-336، وكذلك ل بوه الشيخ سعد بوه وحاشيته من خلال محاضرة علم مشور في "مجلة العالم الإسلامي"، ج 17، سنة 1912، ص 185 وما بعدها

ابراهيم ولد عند الله، وهو صانع تقليدي انتهى به الأمر إلى الاستقرار في سنت لويس وتوفي هناك سنة 1913م. أما أساؤه فهم الآن مع سعد بوه.

محمد الأمين وهو من قبيلة تجكانت، مات ولم يعقب ذرية.

وقرر الشيخ سعد بوه القيام بالحج إلى بيت الله الحرام بعد أن جاب تكانت وأدرار وزار أبناء عمومته أهل محمد العبيدي ولهذا الغرض سافر إلى سنت لويس وأقام بها عدة أشهر. غير أن الإفراط في مظاهر التدين أثناء الليل أدى إلى حدوث خلافات بين الشرطة المحلية وأتباع الشيخ فتدخل سعد بوه عن نيته في الحج حوالي سنة 1872م، وجاء ليستقر به المقام في زيرى لدى زنوج النصابة في الثلث الواقع بين المحيط الأطلسي والسنغال وفرع مارنغوين النهري. تزوج في زيرى وأقام بها ردحا من الزمن، ومنذ ذلك الحين بدأ في بناء شهرته باعتباره شيخا، على الكرامات أكثر من بنائها على العلم والتدين. ثم صعد نحو الشمال فأقام مخيمه على التوالي في بوجاية بين الخروفة والمحيط الأطلسي، ثم في تويزكت، وعاد من جديد إلى بوجاية، ثم النيمحاط وأخيرا في أكنت ممضيا عدة سنوات في كل مكان من تلك الأماكن. وتجدر الإشارة إلى أن نقاط المياه هذه تميز الطريق الرابط بين سنت لويس وأدرار، وأن سعد بوه تعلق بهذه الطريق التجارية عن قصد.

وتلقى أثناء وجوده في بوجاية زيارة من أخيه محمد المامون، الذي كان في طريقه إلى الحج إلى بيت الله الحرام وتوفي في طريقه. وتلقى بعد ذلك زيارة أخويه عبداتي والطالب خيار الذي توفي في سنت لويس ودفن بها. تلك هي بداية الهجرة التي تزايدت منذ ذلك التاريخ: فلا أحد من أبناء إخوة الشيخ سعد بوه في الخوض لكم يأت لزيارته، بل إن الكثير منهم بل والكثير من أخواته مثل سعاد، بقوا معه في مخيمه.

وقد شيد الشيخ سعد بوه لنفسه في تويزكت بانشيري قصرا صغيرا هو الآن مهجور. وسعد بوه البالغ من العمر 64 عاما تقريبا هو الآن رجل ضعيف، يعاني من السمسة، عاجز، ويبدو أنه مصاب بالربو، وذا صحة معتلة. فلم يعد في مقدوره الانتقال من مكان إلى مكان، وانعدام التواصل هذا هو أمر يثير القلق على مصالحة.

ثانيا- تجمع أهل الشيخ سعد بوه:

يوجد مخيم الشيخ سعد بوه حاليا غير بعيد من المركز العسكري القديم باخروفة عند ساقية أكنت. ويتكون من مائة خيمة مبعثرة دون نظام حول الساقية في شعاع يتراوح طوله ما بين 500م إلى 2 كيلومتر، ويتنقل في معظم الأحيان على مدى يبلغ بضع عشرات من الأمتار. أما الأحياء الأخرى فقد استقرت حول الآبار المجاورة.

ويعمارس الشيخ سعد بوه حاليا السلطة الإدارية لعشيرته الزاوية المعروفة باسم "أهل الشيخ سعد بوه" (التابعة لدائرة الترازة - مندوبية المذرذرة) وتتضمن تلك العشيرة 1200 نسمة، وتنقسم إلى العشائر الفرعية التالية:

1- أهل الشيخ أو عائلة الشيخ نفسها.

2- أهل آغ الديباي

وأهل محمد عمر وتنقسم هذه العشيرة الفرعية إلى ثلاث عائلات هي:

- أهل المصطفى ولد عبيدي

- أهل باهنينا

- أهل الصفالين

وينحدر هذان الفرعان من الركائنة.

3 أهل أحمد العصيل: وهم من "التياب" أو حسان انخاريين المسحدرين من أولاد أحمد بن دمان التائود.

4- أهل الشريف : ويحدر هذا التجمع الأسري من أحد السكان المحليين يدعى سيدي محمد الشريف من أصل مصري استقر به المقام في الترارزة منذ مائة عام وخلف ذرية فيها تتمثل في أبنائه الثلاثة : محمد مولود، الملقب باباه الشريف، ومحمد محمود الملقب بدي، ومريم . وتتجمع ذريتهم التي تشكل الآن عشيرة من الشرفاء يصل عدد أسرها إلى ثلاثين أسرة في آمندور وتنغون، وتربطهم علاقات روحية ببعض قرى التكرور في فوتا تورو (بالسنغال)، وصلات قرابة فعلية مع بعض السكان المحليين من قبيلة مدلش ومنهم على وجه الخصوص قاضي القبيلة: الشريف ولد اكبار. أما أهم شخصيات أهل الشريف هؤلاء في الوقت الحالي فهو محمد فال ابن عابدين ابن محمد مولود البالغ من العمر 40 سنة ، والذي شغل منصب القاضي عدة مرات، ويشتهر بأنه عالم كبير.

ثالثا- أسرته:

للشيخ سعد بوه سبعة أولاد وعشر بنات:

ذريته من الذكور:

سيدي بويابنه سعد بوه، ألقانا، الحضرمي، ألقانا وابنه سعد بوه الملقب "الراوي"، محمد فاضل، سيدي بويابنه، الحضرمي⁶⁶ (المتوفى سنة 1910) وابنه الولي (المتوفى سنة 1913م)، سيدي، الولي، المحفوظ (وابنه سعد بوه)، محمد فاضل، محمد ماء العنين، الطالب بويابنه، بوننا محمد فاضل.

وسيدي بويابنه البالغ من العمر 41 سنة هو نجل الشيخ وأمه مارومنا (أم رمابة) ابنة أحمد ولد لما وهي بوجينية من تندغة. أما زوجته فهي سعداني

ابنة عمه عبداني . درس على والده وأكمل تعليمه على يد عمه ماء العنين من سنة 1896 إلى سنة 1898م. وتزوج إحدى بنات ذلك الشيخ وطلقها بعد ذلك .

اختير سيدي بويابنه إعادة تنظيم الترارزة⁶⁷، وتشكيل زعامات كبرى لعشائر الزوايا سنة 1906م زعيما لقبيلة تندغة، فظهر في ذلك المنصب دون سلطة ودون قوة، ومتهم بالاختلاس، فأعاد الضريبة التي اختلسها من تلقاء نفسه وعزل من زعامة القبيلة في يوليو سنة 1909م .

ويستعمله أبوه في الوقت الحالي مبعوثا إلى السنغال لممارسة الدعوة. وهو من الناحية الرسمية الخليفة الذي عينه الشيخ سعد بوه ليخلفه في منصبه، لكن لا يبدو أنه يتمتع بمحصول توهله لأن يكون شيخا كبيرا في المستقبل.

أما ألقانا، واسمه الحقيقي محمد تقي الله ، فيبلغ من العمر 40 سنة. وهو شقيق الحضرمي والولي . رافق أخاه الأكبر إلى ماء العنين وعاد إليه مرات عدة، وتزوج إحدى بنات ذلك الشيخ لكنه طلقها منذ مدة، وهو الآن متزوج من امرأة من أولاد ابيري . ويعيش ألقانا ذي الروح المستقلة وحده حياة البداوة الحقيقية إلى الشمال الشرقي من نواكشوط. سافر عدة مرات إلى سنت لويس وآدرار في أعماله التجارية وأعمال أبيه.

أما الحضرمي وهو ثالث أبناء سعد بوه، الذي تزوج امرأة من قومية النتاب الزنجية فقد توفي. أما سيدي وهو شقيق الطالب بويابنه البالغ من العمر 36 سنة، والذي تزوج بإحدى بنات عمه، ابنة الطالب خبار، والولي البالغ من العمر 35 سنة، فليست لهما شخصية متميزة ويعيشان في حريم أبيهما. وقد تزوج المحفوظ البالغ من العمر 33 سنة ابنة عمه آمنة ابنة عبداني، وهو أكثر من حاز على ثقة سعد من أبنائه جميعا. وكان على الدوام في مهمة تجارية أو دينية سواء في السنغال أو في آدرار. ويرافق

⁶⁷ الذي أشرفت عليه السلطات الاستعمارية (الترجم)

⁶⁶ في لص نكر وهذا الاسم (انترجم)

الشيخ عادة في جولات الزيارة التي يقوم بها . وقد أسدى خدمات متميزة للبعثة التي قادها شيدو وعريفيل Chudeau Gruvel (في يناير - مايو 1908-1909م). ويوجد الآن ومنذ سنة شمالي وادي درعة لمحاولة الحصول من الهبة على تعويض عن إبل للشيخ سعد بوه احتفظها بعض المشيقي سنة 1913م.

أما محمد ماء العينين البالغ من العمر 31 عاما ، الذي تزوج فاطمة بنت الزمراقي الأمين من أهل برك الله ؛ والطالب بويا زوج ياسين ؛ ومحمد فاضل الملقب بوننا (أبونا، وبونا هو القلب الذي أطلقه أبناء محمد فاضل عليه) البالغ من العمر 27 سنة، والذي تزوج على التوالي امرأة من تاشديت وإحدى بنات عمه من الحوض، فيعيشون جميعا في مخيم أبيهم. وهم يذهبون من حين لآخر إلى الحوض في الشؤون التجارية والدينية للشيخ.

وهناك اثنتان من بنات سعد بوه هما خدجتنا وسعداني تزوجتا اثنتين من أبناء العينين : الأولى تزوجت الشبيه والثانية تزوجت الشيخ حسنا. أما الأخريات فقد تزوجن بأبناء عمومتهن المنحدرين من الحوض أو من آدرار والمقيمين لدى سعد بوه، كما تزوجن أيضا من بعض الشرفاء والمشايخ المحليين من قبيلتي إيديقب وتنواجيو .

رابعاً- زاويته:

يعد مخيم الشيخ سعد بوه أحد مراكز الدراسة المهمة، وهو يتضمن عدة مدارس ابتدائية يتعلم فيها القرآن ستون من الأطفال والفتيات والشباب تحت الخيمة بطبيعة الحال.

وعندما يكملون حفظ القرآن الكريم⁶⁸ يواصل عدد منهم تعليمه فيدرس التوحيد في كتب "الحارث" و "الجلالين" وتفسير بعض السور التي قام بها الشيخ سعد بوه نفسه، كما يدرسون الفقه في "الرسالة" و "التحفة" و "ابن عاشر" و "الأخضرى" و "مختصر خليل"؛ كما يدرسون الأدب لدى الشعراء اجاهليين، والنحو في "ألفية بن مالك" والسيرطى.

ويتم اكتتاب هؤلاء الطلاب من قبائل الزوايا المجاورة، ويوجد من بينهم أيضا بعض الولوف من سنت لويس وكايور، وبعض الفلان من فوتا تورو، وبعض الصوص من كازامانس وغامبيا، وطالب واحد أو اثنين من البمبارا.

ومن أشهر أساتذة الزاوية : الحاج ولد عبد الله من تشمشة، ومحمد ولد لمن من إيديقب إيدا تشفاغة نوالحسن ولد المختار الحسن ولد محمد فاضل، ومحمد المختار ولد أحمد زايد الملقب خطري (وتعني "أنا") والشريف التناجيوي. ولهذا الأخير وهو زوج بنت السعد ابنة أخت الشيخ، خمسة أولاد كلهم منشقون في الساقية، وهو معروف بأنه فقيه فذ، لكنه لا يكاد يخفي مشاعر العداء للفرنسيين .

ولم يكن الشيخ ولا المقربون منه يتمتعون بشهرة كبيرة بالعلم . فليس لهذه الزاوية من القيمة العلمية ما يجعلها أعلى من مخيمات الزوايا الأخرى في بلاد التارزة والبراكنة، فهي بعيدة عن بلوغ الشهرة العلمية التي بلغتها زاوية الشيخ سيديا أو شهرة مخيمات أهل محمد سالم في غرب آدرار.

بمنه نفوذ سعد بوه، الضعيف شمال النهر، خاصة إلى اللدان الإفريقية في السعال وغينيا. وهو يعتمد على شهرته في إظهاره⁽⁶⁹⁾ الكرامات من كل نوع أكثر من اعتماده على علمه وورعه.

وهذه هي أهم الكرامات التي حصلت على يديه⁽⁷⁰⁾، وقد رواها المقربون منه ومبعوثوه بشيء من التفصيل الرائع الممتع لسائر أتباعه والداخلين الجدد في الطريقة :

إثر إقامته الأولى بسنت لويس، سيق أتباعه إلى السجن بعدما أثاروا انتباه الشرطة بطول قيامهم ورفع أصواتهم بصلاتهم أثناء الليل. إلا أنهم حاولوا الهرب في طريقهم واشتبكوا مع وكلاء الأمن وهو ما أدى بالطبع إلى تعقيد وضعهم. فلما أخبر الشيخ بتلك الوقائع صلى صلاة مطولة وأعلن في الصباح أن الله قد كشف له بأنه سيدعى في الغد ليسلم إليه أتباعه. وبناء على ذلك رفض الذهاب من محل إقامته مع أبي المقداد⁽⁷¹⁾ والذي كان يريد منه الخضوع لتحقيقات الشرطة. وبالفعل، وبعد مضي ساعات استدعاه الوالي واستجوبه باحترام وأطلق في الحال سراح الجميع.

وبعد ذلك عندما استقر الشيخ في الترازو أراد الأمير سيدي امبيركة (1861-1879م) أن يعاقبه بشدة بسبب عمليات الشعوذة الكثيرة التي عاها عليه المشايخ المجاورون. فتشكل بناء على ذلك لجنة من القضاة والفقهاء وأحضر الشيخ للمثول أمامهم لمحاكمته. إلا أن ذلك المثول انقلب ضدا على منتقديه وقدم سعد بوه، مؤيدا من الله على ما يبدو، إجابات في غاية الروعة أربكت اللجنة على الرغم مما تسلحت به من كتب فقهية قيّمة.

69 في النص صيغ الكرامات (مترجم).

70 في النص ستطاح وعارها (مترجم).

71 دوتو سك اسرجم (مترجم).

ونزل مرة من سفينة، أثناء سفره في النهر من سنت لويس إلى جودور. ليتوضأ ويصلي الظهر في الزورق مربوط في مؤحرها إلا أنه لم يمسك الزورق بشكل جيد فوقع في النهر ولم يره أحد في بداية الأمر، لكن أحد الأتباع لاحظ بعد ذلك غياب الشيخ فبحث عنه في كل مكان فرآه أخيرا خلف السفينة بعدة مئات من الأمتار ساجدا على ركبته على سطح الماء ومع ذلك سارع الناس لإنقاذه من هذا الوضع الغريب .

وكان يوما مسافرا في بلاد صحراوية فنقد الماء عند القافلة، وعانى الناس من العطش فسأل الشيخ : "هل هناك من بقي عنده القليل من الماء؟" فأجابه رجل من أهل اتفاغة الخطاب قائلا: "لا يزال لدي بقية ماء في قعر قربة" فقال له "اتني به"، فأمسك الشيخ القربة بيده ودعا الناس ليشربوا فشربوا جميعا حتى ارتووا وأخذوا الماء معهم أيضا لإعداد الطعام. وبعد ذلك أعاد القربة إلى صاحبها الذي لاحظ أن كمية الماء لا تزال كما هي .

ومرة أخرى وبينما كان في طريقه يصلي في إثر قافلة مهمة لإياد علي والسماسيد وقبائل أخرى، لحقت به عصابة من أولاد دليم وأولاد اللب جاءت لتأخذ ضريبة العبور. فقال لهم عندما مروا به في طريقهم إلى القافلة : "دعوا هؤلاء القوم وشأنهم فإنهم معي" فلم يبالوا بما قاله وتابعوا طريقهم للحاق بالقافلة . إلا أن الأرض تمردت أمامهم فاضطروا إلى العودة من حيث أتوا دون أن يتمكنوا من إرواء جشعهم .

وسافر قبل ثلاثين عاما إلى باول وكان الزعيم الإحيائي الوثني بي بايار يسيطر على تلك المنطقة في ذلك الوقت، وكان يمنع أي مسافر من أن يحط رحاله بأرضه إلا بإذنه . بيد أن الشيخ أقام بها دون الحصول على ذلك الإذن . فقال الزعيم عندما أحبروه بذلك "دعوا هذا الرجل وشأنه" وأمر عبيده فحملوا إليه الكثير من الطعام . وفي الصباح طلبه واستقبله في حلل من الذهب جالس على عرش مرفوع، وقد أحاط به شبان مرده يخدمونه. فأجلس الشيخ إلى جانبه وأكرمه. فلما حدث الشيخ سعد بوه

الزعيم في موضوع الأصنام أحابه قائلا: "لقد ورثناها عن آبائنا"، واستمر الحوار على هذا النحو:

- "إنكم بذلك تعبدون ما لا يمكن أن يفيدكم أو ينفعكم"
- "إن هذا الخشب الذي نعبده ينفعنا تارة ويضرنا تارة أخرى"
- "فهل تأذن لي، بأن أأمر أحد أتباعي فيكسره ويجعله ركاما"
- "وهل يستطيع ذلك ؟"
- "بلى"
- "إذن فليفعل !"

وهو ما حدث بالفعل وبعد قليل جاء المريد يجر الشجرة وراءه، فاستشار الزعيم المذهول قومه، ثم التفت إلى الشيخ قائلا:

- "ماذا نعبد إذن ؟"، فرد عليه:
- "اعبدوا الله"

- "إذن فعلمنا ما يجب أن نؤمن به"

وبعد هذا اللقاء تلقى الزعيم تعاليم الشيخ، وخلع ملابسه الفخمة واعتنق الإسلام هو وقومه جميعا . ولما سمع أن الشيخ جميل جدا، وأن له على وجه الخصوص شعرا جميلا قال له - "اكشف عن رأسك لأراك" فقال له :

- "لن تستطيع" فرد عليه :
- "بلى أستطيع" فقال له:

- "انظر إذن" قالها الشيخ وقد حسر عمامته عن رأسه إلا أن رأس الزعيم انحنى فوق صدره ولم يستطع رفعها لرؤية الشيخ : وهكذا قال له هذا الكلام مخلصا إياه من محتته : "يمكنك التمييز بين ملوك هذه الدنيا

والملوك الحقيقيين في العالم الآخر" فقدم له الزعيم هدايا قيمة وظل إلى الآن تلميذه الوفي .

ويحصل الشيخ سعد بوه في الوقت الحالي على هدايا قيمة يقدمها له الداخلون الجدد في الإسلام لقاء تعليمهم وتكوينهم . وهكذا يأتيه من أقاصي إفريقيا الغربية زوار من الزوج يجهلون كليا أمور الدين ولا يميزون بين الركوع والسجود فيمنحهم تعاليمه ويخرجون بعد مرور سبعة أيام وقد تعلموا الإسلام بشكل كامل على يديه، وجدديرون بأن يكونوا شيوخا، هداة للنفوس.

وفي الوقت الذي كان فيه العبيد البيضان المحيطون به يستغلون فرصة وجود الفرنسيين ونظمهم الجديدة لاستعادة حريتهم، ظل أهله متعلقين به بإخلاص .

وقد تعاقب على زيارته إخوته جميعا وأبناء إخوته من الساحل باحثين عن خيرات تلك البلاد أو سعادة الدار الآخرة ،وهو وحده الذي لم يذهب أبدا لزيارتهم في الخوض . تلك هي نتيجة السلطة العليا والمنسزلة الدينية السامية التي منحها له أبوه محمد فاضل عندما لف رداءه على رأسه (72) .

وفي الأخير لم يطلب منه الفرنسيون، الذين فرضوا بعض الضرائب على البيضان الذين كانوا يأتون بتجارهم إلى سنت لويس، أبدا دفعها تقديرا لصلاحه .

بيد أن هذه المزايم بوجود قدرة خارقة ينسبها طلاب سعد بوه إلى أستاذهم تنقلب إلى سخرية لدى المشايخ الآخرين . لهذا فإن نفوذه ضعيف في بلاد البيضان باستثناء المقربين منه مباشرة .

⁷² ذلك هو رمز الاستحلاف على الطريقة كما يعبر عنه شيوخ انتصوفه صمدا بريدون عن كرسي المشيخة إلى حلفائهم . وقد يعبرون عن ذلك بوسائل مختلفة كأن يمنح الشيخ خليعة سمحة أو سعادته أو شيء آخر من متعلقاته (المترجم)

ولا يتمتع الشيخ سعد بوه بنفوذ كامل في منطقة الترارة إلا لدى التامة الزنوح ولدى أهل آغ ديباي وهي عشيرة من تدغة-الراكنة.

ونصوده محدود جدا لدى لبيدات، وأبرز تلاميذه فيهم هو ابراهيم ولد الشرقي، وأهل بوحيني؛ عشيرة أهل محم ولد اعمر، وأبرز تلاميذه فيها هو الشيخ عبد الله ولد الصلاحي وعشيرة أهل شعبان وأبرز تلاميذه فيها أحمد حيمه ولد محمد النيه، وهو أحد الوجهاء مسموعى الكلمة في القبيلة، شارك في البعثة إلى فاس سنة 1905م؛ تاكونانت- أولاد مولود الذي تزوج ابنته، وإيدا غفوجه وأبرز تلاميذه فيهم هو محمد ولد المصطفى الملقب بابوك وهو شيخ القبيلة ذاها، وأهل بارك الله، وإيديقب وأخيرا تاشديت.

وكان للشيخ سعد بوه في تاشديت (المذرذرة) في السابق واحدا من أكثر الدعاة وجامعي الهبات في الدول الإفريقية حماسة وهو عبد الله ولد أحمد سالم ولد الجكني، إلا أن هذا التلميذ حاد الذكاء لم يتأخر في استغلال دروس أستاذه الرائعة بعد توسيعها. وقد اقتصر تجارته الخيرية في بادئ الأمر على السنغال بعد أن استقر في اللوغة، ونسج علاقات تجارية مع مستوطنة أولاد بالسبع بسنت لويس، ومع الولوف المتواجدين حول السكة الحديدية، وبعد أن تزوج امرأة من تلك القومية وتعلم لغتها. وفي عام 1911م وسع حقل عملياته ليشمل كازامانس وغينيا.

وقد قام عبد الله مع محمد الأمين ولد سيد أحمد من أولاد نغماش (البراكنة) ومغامرة تدعى محجوبة، التقوا في فوتا جالون، بتشكيل قافلة خيرية تدعى أهما من الشرفاء تجوب تلك المستوطنات لتبيع على وجه الخصوص الحجابات (amulettes) ووصفات الزواج. ويجب أن يقوم العاشق، الذي يعلق هذه التماثيل في البداية على جسمه، بتدويرها عند أول فرصة في شراب الشخص الذي يرغب في الزواج منه أو في طعامه ونجاحه مضمون. وكانوا يزعمون عند الضرورة وخاصة عندما يكون الوسط معاديا للفرنسيين، بأن محمد الأمين هو قاتل كبولاي .

اعتقل عبد الله في مطلع سنة 1912م بعد أن أبلغ عنه الشريف بونس في صيديو فاقيد تحت احراسة إلى أبي تميم، وحكمت عليه محكمة المقاومة بالسجن سنة أشهر في الثاني عشر من يوليو سنة 1912م، وهو الآن مسجون في قبيلة تاشديت. وقد استبعد الشيخ سعد بوه نهائيا من عداد تلاميذه بعد قيامه بتلك المغامرات المقززة.

ولا نكاد نجد نفوذا يذكر للشيخ في قبائل تجكانت ومدلش وأولاد تشفاغة حبيب الله.

وقد كانت علاقات أمراء الترارة بالشيخ جيدة على الدوام فقد تحرر هذا الأخير من الالتزامات التي تقضي بها العادات الحسان (القبائل المحاربة)، في حين لم يتجاوز هؤلاء أبدا في الغرامات التي فرضوها الحد المعقول نظرا لتعظيمهم للشيخ وخاصة الأمير الحالي، الذي كان قد وجد مأوى في محيم الشيخ سعد بوه بعد اغتيال الأمير أحمد سالم الثاني سنة 1905م، فكانت علاقاته به قوية للغاية. ومع ذلك تحذر الإشارة إلى برود طفيف اعترى تلك العلاقات منذ السنة الماضية عندما أقدم أحمد سالم الثالث على خطب ود زوجة الشيخ الشابة مستغلا غيابها على ما يبدو في جولة لجمع الهبات، ولم ترفض ذلك .

أما في منطقة البراكنة فللشيخ سعد بوه بعض التلاميذ لدى إيداغجملة، وأهم تلاميذه في هذه القبيلة هو محمد فاضل ولد محمد زايد البالغ من العمر 38 سنة الذي تربى في محيم ماء العينين، وقد حاربنا بشدة حتى إبريل من سنة 1911م، وهو التاريخ الذي أعلن فيه خضوعه. أما أهم تلاميذه في تكانت فهم الشيخ عبد الرحمان ولد عمر ربان ولد الطالب أحمد ويبلغ من العمر 46 عاما، وهو أستاذ له نفوذ كبير في قبيلته بل وفي قبيلة تركز وفي أهل الشيخ ولد ميني؛ والشيخ سيدي عبد الرحمان ولد المعلوم البالغ من العمر 40 سنة الذي يتنقل كثيرا لا في منطقة البراكنة فحسب وإنما أيضا بين شرفاء گورگول وإيسوعيش في تكانت التي يمتلك فيها العديد من التلاميذ.

أما في دائرة گورگول (کيهيدى) فلا يشمل نفوذ سعد بوه سوى
عض البيونات من قبيلة لمنوة بذكر منها:

1- أولا في عشيرة إيدغباشرة : اعل ولد محمد المختار ولد ابراهيم
البالغ من العمر 47 عاما، وهو معلم مدرسة وأحد الأعيان المهمين.
ويسافر في بعض الأحيان من خاي إلى سنت لويس وحتى إلى كايور.
وكان أبوه قاضي القبيلة ؛ والمختار ولد الشيخ النعمة البالغ من العمر 37
عاما، وهو رجل عادل وعالم ؛ والإمام ولد الإمام ويبلغ من العمر 35 سنة
وهو معلم مدرسة مزدهرة .

2- أما في عشيرة إيدا تشفاغة فنجد عبداوة ولد بينا البالغ من العمر
47 عاما، والذي تتلمذ على ماء العينين أيضا . بدأ حوالي سنة 1900
رحلة حج لم يكملها.

أما في منطقة آدرار فيوجد أهم تلاميذ سعد بوه في قبيلة السماسيد،
ومثلوه في أوجفت هم : عبد الرحمان اللمتوني ومحمد المختار السباعي،
وكان هذا الأخير مكلفا بتسيير واحات الزاوية وغيرها من الزراعات
التابعة لها، وفي إطار رجل يسمى محمد مولود.

وليس للشيخ سعد بوه شخصا في الحوض والساحل، وفي الساقية
ووادي درعة، أتباع في تلك المناطق، إن اسمه يلقي فيها تقديرا كبيرا لدى
أهل الطالب مختار جميعا، ولدى تلاميذهم وأتباعهم .

ومع ذلك ونتيجة للعداء الدائم بين الفاضلية وكننة، تدمر الشيخ سعد
بوه من تعرضه لوشايات من طرف هؤلاء. وهكذا التقى يوما حينما كان
يقوم بزيارة لآدرار الخليفة ولد عابدين ولد الشيخ سيدي المختار، وهو
ابن عم شيخ كننة ومبعوثه فذهب هذا الأخير إلى الأمير ولد عيده وقال
له : "إنك لتعظم هذا الشخص من أهل الطالب مختار الذين يدعون كذبا
أنهم شرفاء، في حين أنك لا تكاد تستقبلني أنا الكنتي بشكل يليق بي" فلم
يعر الأمير - بضيف سعد بوه - أي اهتمام لهذه الشتائم المضادة، بل إنه

أراد أن يقطع رأس المعتاب. إلا أن هذا الأخير لم يعثر صسه مهروما.
وحاء ليقدف سعد بوه ثانية حتى في لترارزة ، إلا أن الأمير في ذلك
الوقت عني جمبت ابن محمد الحبيب (1873م سوى سنة 186م)، صرد
الكنتي، الذي يغار بالطبع من نفوذ يمارس على حساب نفوذه الخاص، من
بلاده دون أن يستمع إليه

أما في بلاد السودان ⁽⁷³⁾، فإن نفوذ الشيخ عني . لعكس من ذلك أكثر
استقرارا، ولم يساهم في الدعاة الذين نصبهم محمد فاضل في تلك البلاد
بالشيء القليل . فهو يجمع تحت رايته الروحية في الضفة الموريتانية من
النهر في شامة بالترارزة معظم تكرر مقاطعة انتيكان (التابعة لندوبية
المذرذرة)، ويعد رجل الأعيان الشيخ محمد كان ممثله المفضل.

وللشيخ سعد بوه في السنغال آلاف الأتباع في كل مقاطعة من
مقاطعات فوتا، وديولف وكايور وباول، وفي غامبيا وكازامانس.

وله في خاي في أعالي نهر السنغال، العديد من التلاميذ المهمين
وأشهرهم الشيخ بكاري كمارا في كنيروكوتا ويبلغ من العمر 50 سنة،
تلقى دروسه في الساحل، ويعلم القرآن لاثني عشر تلميذا (في مندوبية
المدينة).

وقد انتقلت فوتا التكرور التي كان منذ سنوات قادرية تابعة للزعامة
الروحية للشيخ سيديا الكبير إلى التجانية مع الحاج عمر. ويبدو أن تعلقها
بهذه الطريقة الدينية، أصبح ميزة وطنية لها. وقد نقل الشيخ سعد بوه
جهوده الدعوية في هذا الاتجاه بشكل ممنهج وعنيد، وحاول تمرير تجانيته في
المنطقة للملئ الفراغ الذي تركه أبناء الحاج عمر وخلفاؤه.

أما أبرز ممثليه هناك فهم :

⁷³ ويعتقد لها هذا الدور الإيمانية ومطبعة شدة للرئاسة الراقعة على الصمة شمانية سهر السعد
(مترجم)

في دائرة باكل : شيخو مامادو، توفي في الآونة الأخيرة وهو والد عدد السلام كان الرعيم المحلي للمقاطعة. وفي دائرة ماتام الشيخ سليمان وهو مزارع ومعلم مدرسة في هوريفونديه ؛ ومامادي ألفاء، والشيخ حامد كان قاضي ماتام، والشيخ موسى كامارا الكوركي في كانكل (دمغا). ويشرف هذا الأخير البالغ من العمر 51 عاما، وهو ذكي وعالم، على مدرسة قرآنية، ويدرس مبادئ الفقه الإسلامي. وهو في الوقت ذاته مقدم في القادرية والتجانية وله نفوذ كبير، ولديه خمسون طالبا يعملون لصالحه، ولا يتجاوز نفوذه دمغا، ولا يتمتع إلا بنفوذ جزئي خارجها.

وفي دائرة سالدو ديوييفول:

الشيخ البخاري في قرية نيري الواقعة على النهر غربي كيهيدي (مقاطعة بوسيا).

والشيخ لابا لدى الفلان البدو : الفافاني والدياواي والدبك واليالاييه والساندراي ؛ وفي ديابا (مقاطعة أرلابس أبيابس) مامادو الألماي الحاج وهو تاجر من أعيان البلدة وحاج لبيت الله الحرام، وسيرى عباس صوه من ديابا بالقرب من هوريفوندي (مقاطعة أرلابس)، وهو فقيه وعالم أنساب مشهور (74).

وفي دائرة بودور:

الحاج ممدو عبد الكريم المقيم في بومبا (البحيرة الشرقية) وهو تلميذ الألماي السابق مامدو بيرام الذي توفي بمكة المكرمة أثناء الحج سنة 1893م.

وهؤلاء التكرور جميعا تجانيون وينمحوون الورد باسم الشيخ سعد بوه باستثناء سيرى عباس فهو قادري.

⁷⁴ سيرى عباس هو مؤلف العديد من المؤلفات ذات الأهمية البالغة حول فرتا السعالة جمعها جميعها الحاج عماد وقرمها م دولافوس، وظهرت في مجلة العالم الإسلامي في عسدي ستمبر وديسمبر 1913م، وفي عدة مارس 1914م

ويعد نفوذ الشيخ كبيرا جدا في جنوب نهر السنغار من سنت لويس إلى داكار. ففي سنت لويس لا يزال يحظى بالاحترام والتقدير لعام وخاصة في حي اندر توت الذي هو معقله. لكن له أيضا مستويات مهمة من المريدين سواء في كيت اندر أو في شمال جزيرة سنت لويس ذاتها، ويمثله فيها المقدمون الآتيون، الذين هم بدورهم شيوخ لزوايا صغيرة: الشيخ امبارك ديوب، والشيخ بيرام كومبا واد، والشيخ مالامين ديي في كيت اندر، والشيخ آمادو ديوب فس اندر توت، والشيخ آمادو فال في صور، وأخيرا الشيخ مصطفى كي في الجزيرة، ويقسم في الحي الشمالي.

وقد غادر الشيخ آمادو دجينغ، أحد مقدميه المقربين في اندر توت، سنت لويس منذ ثلاث سنوات تقريبا ليعمل عند الشيخ المحفوظ في صيديو.

ويمكن أن نقدر العدد الإجمالي لطلاب سعد بوه في سنت لويس بـ 1200 طالبا. أما ممثلوه الأساسيون في محطات السكة الحديدية فهم :

- مادبا سيليا في النوكة

- الشيخ امبولو مارام في كومبو - كورول

- مصطفى ديوب والشيخ مامادو ديمبيري وكلاهما في كيمر

- إبراهيم كودو، وهو مطرب تحول إلى شيخ في تيفاوان. ويعد نفوذ الشيخ في تيفاوان في ترايد مطرد. فعند إقامته في تلك المنطقة في مارس 1913م، احتفل الأهالي احتفالات كبيرة تكريما له، ويعيد مغادرته تم توزيع أراضي البلدية وعرضت في المزارع العتي من أجل توسعة المدينة، فوصلت الرقعة التي نصب فيها الشيخ خيمته هي ولواحقها قيمة أعلى بعشر مرات من قيمة الأراضي المحيطة بها.

- علي انقير، وهو زعيم قبلي سابق بتيبس.

- ما صال في بو

- انديوبو سي في سي كوتان

- مودي سيسي، نجار تحول إلى شيخ، وأمادو آو والشيخ دوغو وكلهم في رفسك

- الشيخ أمادو علي وهو فلافي والشيخ مامادو انجاي في باول

- الشيخ عثمان بارو في سالوم

- جبريل كدي في سين

ويمكن تقدير عدد طلاب الشيخ بداكار بـ 300 طالب تقريبا من البيطان والزنوج. فأما البيطان فقد وضعوا تحت الزعامة الروحية للشيخ أحمد الأجود بن حمود وأصله من أهل الحاج الغربي في الترازة، وسكن في حي هوك. وكان فيما مضى يمارس التجارة في سنت لويس، لكنه استقر منذ أشهر بداكار.

أما شيوخ الزنوج الروحيين فهم:

1- الحاج مامادو والأمين دم وهو تكرروري ومعلم مدرسة قرآنية، يمنح الورد القادري باسم سعد بوه، والورد التجاني والقادري معا باسم المشايخ الآتين:

أ- تيرنو آمات كان، زعيم الطريقة المريدية المحلية التي اختفت الآن تقريبا مع موت زعيمها.

ب- الحاج مالك من تيفاوان، وهو شيخ التجانيين في كايور

ج- أحد أبناء الحاج عمر، المنافس التكروري

2- ألفا ديول لبو، الزعيم المحلي قرية من السكان الأصليين بداكار، وهو مقدم الشيخ يشرف على مصالحه الروحية والزمنية.

3- يوسف با عمر كي، وابنه إبراهيم كي، وهو مزارع من الليبو. ولا يمنحان سوى الورد القادري، ولا يذهب هاذان التلميذان إلى مخيم الشيخ

في موريتانيا، بل إن هذا الأخير هو الذي يأتي لزيارتهما كل عام، أو يبعث إليهما بأحد أبنائه وغالبا ما يكون سيداتي وأحيانا المحفوظ، أو بصهره الحاج والعالم الشير ولد المبارك من إيذا تشفاغة في الترازة. أما تقلات الشيخ شخصيا فكانت أكثر نفعا، فلم يكن طلابه وحدهم هم من يأتيه بالهدايا، بل أتباع سائر الزعامات الروحية الأخرى أيضا، وقد تصل الهدايا في النهاية إلى مبلغ كبير. هكذا وصل ما جمعه سعد بوه في شهري فبراير ومارس سنة 1913م مبلغا قدره 70000 فرنكا بحسب إحصاء تم بأقصى دقة ممكنة. علاوة على ذلك هناك 40 بعيرا محملا بالبضائع انطلقت من سنت لويس ووصلت منذ أيام قليلة إلى مخيماته، وإبلا يصل عددها إلى 600 ناقة منها 200 ناقة اشتراها سيداتي في اللوغة سلكت نفس الطريق مع عدد كبير من الخيول المهداة.

صحيح أن الرقيبات أبناء العصاة⁷⁵، لن يتأخروا في لعب دور ما في تحقيق العدالة الطبيعية، وذلك بشنهم لبعض الغارات بعد مرور أسابيع من ذلك التاريخ، نهبوا فيها الجزء الأكبر من تلك الإبل. ومن جهة أخرى لا تتضمن تلك العطايا أي وعد بالوفاء للشيخ من طرف الزنوج. فهم يعتبرون ورد الشيخ نوعا من التكفير التام (Indilgence plénière) عن ذنوبهم، وعملا من أعمال التقرب الروحي لنيل بركته. ويلاقي كل شيخ له شهرة معيبة يمر بالبلاد نفس النجاح في توزيع البركة والحصول على هدايا.

وتعتبر غامبيا وكازامانس والغينيتان: البرتغالية والفرنسية منذ سنوات عرضة لدعوة إسلامية مكثفة من جانب الشيخ سعد بوه. وقد مثله فيها العديد من أبناء إخوته (انظر أعلاه). ويلاحظ وجود تبادل دائم للرسل والمراسلات والتعليمات بين الشيخ ودعاته.

ففي غينيا الفرنسية يمكننا الإشارة وخاصة في دائرة دينغراي، مقاطعة تامبا، إلى الحاج مامادو مصطفى، البالغ من العمر 54 سنة في سكوبولي

⁷⁵ في النص "أولاد المرام" (الترجم)

وواصله من فوتا سحدر من أسرته من الكروور قدمت إلى فوتا حالون مع
حاح عمر. وبعث هذا الشيخ الذي يتمتع بعمود كبير في منطقة ديكراي
بأسرها، والذي تربطه علاقات مع معظم الزعماء والسيوح المحليين
الآخرين، بأنه قادر على خلق عيبان سياسي.

وفي دائرة كانكان مقاطعة نالي الحاج مامادو كايا دياكيتيه وأصله من
المالنكية في الخامسة والأربعين من عمره ويقع في كانكان. كان تاجرا في
السابق، قدم أثناء جولاته التي لا تنقصر التي جاب خلالها السودان
والسنغال، إلى سعد بوه وأمضى معه ثمانية أشهر وحصل منه على الوردتين
القادري والتجاني، بالإضافة إلى سلطات المقدم، وهو الآن معلم مدرسة
ويكتب تلاميذه من خاي إلى غامبيا.

وفي دائرة لابي، مقاطعة كومبا الشرقية في قرية فتيحي، الكاراموغو
صوري، وهو من قومية دياكانكية، ارتبط بتيجانية سعد بوه عن طريق
أستاذه ومعلمه كاراموغو ألفا. وينتمي هذا الشيخ قليل الشهرة، ورئيس
بنده فتيحي الصغيرة إلى عائلة دياخاييه النبيلة. وللشيخ سعد بوه علاقات
قوية جدا مع الحاج مالك سي في تيفاوان، ومع أحمد موبا في ديوربل. وفي
حين لا يزال فيه الأول من هاذين الشيخين الزنجيين مرتبطا بالزعامة
الروحية لتجانية إيداو علي، يرتبط الثاني بقادرية الشيخ سيديا. وكان
مبعوثو الشيخ سعد بوه يزورونهما بانتظام عندما يمرون بالسنغال، حاملين
إليهما تبريكاته وبعضا من هداياه الصغيرة، ويحصلون منها في مقابل
ذلك على زكوات كثيرة.

سادسا- علاقاته مع السلطة الفرنسية :

للسلطة الفرنسية معرفة قديمة بالشيخ سعد بوه. لكن في حين كان
أخوه ماء العينين، الذي استقر بالساقية وتجنب أي اتصال بالنصارى،
يفضل العباد المطلق، أقام سعد بوه مخيماته ومركز عملياته في الترازرة.

وقد أرغمه قربه من الفرنسيين، وضرورت التعامل التجاري معهم،
والرغبة في إطلاق اليد في عميق الدعوة الإسلامية وجمع هدايا في
أوساط الرنوح في منطقة شمامة وفي السنغال، على التصرف بشكل سليم
إزاءها.

وقد قدم لنا في العديد من المرات خدمات مهمة. ففي سنة 1880م قام
بإنقاذ حياة المستكشف الشجاع صوليلي Soleillet ورفاقه بالتدخل لدى
أولاد دليم الذين كانوا قد أسروه لتوهم.

وفي سنة 1887م أدى تدخل أعوان سعد بوه في ريب (السنغال) إلى
انفصال عدد من أنصار بيرام سي، رعيم الثوار، عن حربه⁷⁶.

ونجح في الفترة الفاصلة ما بين عامي 1891 و1894م، من خلال
مساعدته لدى الأمير أعمر سالم، في إطلاق سراح الرحالة فابير Faber
ورفاقه، وسعى في إقامة علاقات بينه وبين أمير آدرار ولد عيده،
واستضاف الرحالة الفرنسي الذي اشتد عليه المرض في قصره بتوزكت
طيلة المفاوضات التي استمرت عدة أسابيع.

كما سهل في 1899-1900م إنجاز مهمة بلانشيه Blanchet، وأرسل أنه
الحضرمي لمراقبتها حتى في آدرار. ولما حوضر بلانشيه ورفاقه بعد ذلك
بوقت قصير في آدرار من طرف خصوم الأمير المخدر ولد عيده، طلبت
الحكومة الفرنسية من سعد بوه (وكذلك من الشيخ سيديا) التدخل لدى
الزعماء المحليين لتحرير رعاياها. وتوصل سعد بوه إلى ذلك الهدف لكن
ليس دون عناء، فاستطاع بتوسطه في الفدية، أن يأتي بلانشيه ورفاقه
سالمين إلى سنت لويس.

وكان ابتداء من سنة 1901م يشجع توسعها المباشر في موريتانيا،
وذلك بمساعدته لكوپولاني Coppolani ومراقبته له شخصيا في جولاته في

⁷⁶ سامية، الإسلام في فوتا العرس، ص 332

سهبوة الماء وأحرفه ونواصبه... بعد ذلك، قام علي بن أبي طالب من أسائه لمرفقه بمختلف المعونات والهدايا العسكرية يذكر منها: كولا في إلى تكانت، وعريفيل-شيدو (Cruet Chadeau) إلى الساحل الأطلسي، وحملة عورو (Gouraud) على آدرار، وفي كل مرة يطلب منه ذلك.

وقد استطاع سعد بوه وصولاً إلى سنة 1907م، أن يحافظ على حياده بين ماء العينين والفرنسيين. وعلى الرغم من حدوث خلاف بسيط بين الأخوين يتعلق بالتحالفات بين أبنائهما من سنة 1896 إلى سنة 1900م، إلا أنهما لم يتوقفا عن إقامة علاقات ممتازة بينهما وتقديم الخدمات المتبادلة.

واستاءاً من سنة 1907م اردادت عداوة ماء العينين العائد من المغرب للفرنسيين، وتمت ترجمتها من خلال اعتداءات قام بها بعض محاربيه على تكانت، وتزايدت بالتناسب مع مشاريعنا التوسعية في آدرار، فأصبح وضع سعد بوه حرجاً شيئاً فشيئاً. وعلى الرغم مما يقوله فقد ظلت علاقاته الأخوية مع أخيه على حالها. ولا يزال حتى الآن في أكثر من مرة، يتواطؤ معه وذلك بإيصال معلومات متنوعة إليه عن أخبارنا وتصرفاتنا؛ وينشر شائعات مغرضة حول محيواته، أهدف منها سر الفوضى في الترارزة، وأحياناً يتحقق ذلك الهدف.

وكان في الوقت ذاته يحاول إعطاءنا بعض الأدلة على ولائه، إما باستقباله الآلاف لأهل الطالب مختار الذين كانوا يعيشون في مخيم ماء العينين والدين، بعد أن حاربونا في آدرار، لا يريدون الاستمرار في الكفاح الذي كان شيخ الساقية سيواصله ضدنا حتى النهاية. ورسغون في أن ينسب إليهم عالياً فضل العودة والخضوع؛ وإما بكتابة رسالة مطوية ومعفده⁷⁷ إلى أخيه العرص منها إعادته إلى جاده الأصواب. ولا يمكن أن يكون لهذه الرسالة، التي أعدت لتطبيب الخاطر، أي نتيجة مفيدة.

ومع ذلك لا تخور القول بأن الشيخ سعد بوه لم يرغب في أن يرى أحاه يعلن حصوعه ويضع حداً بذلك الموضع الخطير الذي وضع نفسه فيه. فمما لا شك فيه أن مساعيه اجتهدت في إعجاب نحو ذلك هدف. وكان سيكون سعيداً لو استطاع أن يسبب إلى نفسه أمة من فصل ذلك الخضوع. هكذا سعى في سنة 1912م إلى الحصول على إذن للشروع لسه وأصهاره وأبناء ماء العينين، فرفض طلبه إذ كان يتعين أن يعلن المعصوب بأنفسهم مع طلب الأمان، عن حصوعهم الفعلي. وكان في مقدوره أن ينجح في الإتيان بالهيبه في مارس سنة 1913م، فلم يظهر عروضاً مغرية بن انطوى على نفسه بصمت وبعدم. كثرات واضح.

وصفوة القول هي أنه يجب أن نشكر للشيخ سعد بوه خدماته الحقيقية التي قدم لنا، ونوايا الطيبة، ومساعيه نحو الحياة الإيجابية قدر الإمكان نحاه قضيتنا.

ومن جهة أخرى بما أن تعاليمه النفعية على وجه الخصوص، لم تكن تشكل أي خطر، وأن التجمع الديني الذي يسيره سيتشتت بعد موته بين أبنائه الكثيرين وأحفاده الذين لا يبدو أي منهم قادراً على خلافته، فيمكننا القول بأنه لا يوجد أي ضرر في بقاء الأمور على حالها، شريطة استمرار ممارسة رقابة يقطعة مع ذلك بل وربما أكثر يقطعة، على أفعال الشيخ وتصرفاته هو وحاشيته.

31- سيدي منصور:

عاش في الخوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل، محمد تقي الله.

32- مصباح الدين:

عاش في الخوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

⁷⁷ وقد قامت لجنة بحوث فرنسا الفرنسية في حدودها سنة 1909
Bulletin du Comité de l'Afrique Française, N° novembre 1909.

الشساوي، سيدي بوياء، احميه المحتر ، آبه، سيدي محمد، محمد عبد الوهاب، الحصري، محمد الأقطف، ماء العين، الطالب محمد.

ويقوم الحضرمي البالغ من العمر 34 عاما في كيرلاب ديولف (دائرة الموكغة بالسغال). وبعد مغادرته الحوض سنة 1910م أقام لمدة ستين لدى سعد بوه الذي استعمله لجمع الهبات باسمه في السغال، لكنه سحب منه تلك السلطة بعد ان استغل وضعه، فذهب سنة 1912م بأمر من الشيخ ليستقر في ديولف حيث أسس بها قرية كيرلاب التي يعيش فيها ويشغل بالزراعة وتنمية المواشي. ويعيش معه إخوة ماء العينين.

أما محمد الأقطف فجاء بعد مغادرته للحوض، ليستقر لدى سعد بوه، ثم التحق بآبن عمه الهية بالشمال ولا يزال معه حتى الآن.

أما الطالب محمد فيعيش في محيمات سعد بوه.

ويجد باقي أبناء مصباح الدين في الحوض مع عائلاتهم.

33- الشيخ سيدي محمد:

عاش في الحوض ومات فيه. وقد جاء أحد أبنائه وهو محمد فاضل، مؤخرا لزيارة سعد بوه.

34- محمد مفتاح الخير:

جاء ليستقر في أعالي نهر السنغال على بعد مسيرة يوم تقريبا من خاي. ويعيش من تنمية المواشي والزراعة بمساعدة نلاميذه من الزوج.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل، سيداتي، سيدي بوياء، آبه.

36- سيدي علي:

عاش في الحوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل.

37- محمد الشير:

عاش في الحوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

آبه، مصباح.

38- عبد الرحمان:

الملقب عبداتي، ولد في الحوض وهو الآن لدى الشيخ سعد بوه وقد قدم إليه منذ سنة 1909م، وهو التاريخ الذي عاد فيه من محيمات ماء العينين، ويبلغ عمره 50 عاما تقريبا. سافر سنة 1911م لقضاء عدة أشهر عند ابن أخيه الشيخ المحفوظي صيديو (كازامانس).

ومن ذريته الذكور:

الحضرمي، محمد فاضل، محمد لأمين الملقب 'الجدود'.

39- الطالب صلاح:

عاش في الحوض ومات فيه، ودفن مع والده في دار السلام.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل الملقب بوننا.

40- أحمدنا:

عاش في الحوض ومات فيه.

ذريته من الذكور:

محمد الأمين، محمد تقي الله، محمد الخطاب.

وقد توفي محمد الخطاب خلال السنوات القليلة الماضية لدى ماء العينين. أما الباقون فيعيشون في الحوض مع عائلاتهم.

41- سيدي علي:

استقبر يرنه، عاش في الحوض ومات فيه، ودفن في دار السلام.

ذريته من الذكور:

محمد فاضل، العالي.

42- سيدي سالم:

وهو شقيق سيدي علي، عاش في الحوض ومات فيه ودفن بدار السلام، ولم ينجب أبناء.

43- تفرج الكروب:

عاش في الحوض ومات فيه، لم يخلف أبناء.

44- سيدي المهدي:

عاش في الحوض ومات فيه، لم يخلف أبناء.

45- سيدي يري:

عاش في الحوض ومات فيه، لم يخلف أبناء.

46- سيدي الأمين:

يبلغ من العمر 51 عاما، يعيش في الحوض مع أسرته. رافق كبولاني Coppolani في مهمته إلى آروان وآزواد سنة 1899م. جاء سنة 1912م ليقضي أشهرا عند سعد بوه.

ذريته من الذكور:

سيدي عثمان، القطب، الحضرمي.

47- سيدي علي:

ولد في الحوض، تم التحقق بماء العينين منذ فترة طويلة جدا. وهو الآن يعيش مع أسرته في مخيمات الساقية وتيزنيت.

48- الشيخ سيدي الخير:

وهو آخر أبناء محمد فاضل ويبلغ من العمر 42 عاما وهو ابن جارية والده أم الخير. يعيش في الحوض في عشيرة أهل الطالب مختار التي يتولى قيادتها السياسية ابن أخيه التراد ابن الشيخ الحضرمي. يحظى الشيخ سيدي الخير بنفوذ ديني كبير في قبيلة أهل الطالب مختار، ويمتد ذلك النفوذ، من جهة أخرى، ليشمل القبائل المحاربة والزواوية المجاورة. وتربطه علاقات قوية للغاية مع سعد بوه الذي سبق أن تتلمذ عليه. وقد قدم خدمات مهمة عندما استخدمه كبولاني في مهمته في شمال تمبوكتو.

وقد نأى الشيخ سيدي الخير بنفسه بعناية عن المقاومة التي دشنها أخوه ماء العينين وعصاباته في الساقية ضدنا. وهذا الموقف الموالي قد أملتة عليه الضرورات الظرفية أكثر مما أملاه عليه تعاطفه مع القضية الفرنسية. ولم يسلم من جهة أخرى من منح اللجوء إلى مخيماته أو السماح به مرات عدة لمنشقين أو متمردين [على السلطة الفرنسية].

الناية برسم الجهاد في الأفق ونصح العبيد بحرية انتابته مؤلفه أدبه
لعميات الانقام أو سياسة شيخها الكبير. وقد مل ماء العيس متلا على
بلك الصوهر الاجتماعية على أكمل وجه.

هذه الدراسة المعصنة للفاضلية ليست سوى محاولة بسيطة فيها العديد
من المآخذ. وكانت تهدف إلى أن تضع بين أيدي حكام موريتانيا⁷⁸
والسنغال وغييا والسودان [مالي] ملخصا لمعارفنا الرهنة حول هذه
الأسرة المهمة، وهذه الزاوية التي لعب العديد من أفرادها، ولا روالا
يلعبون في المغرب دورا أساسيا رياديا لم ينته بعد، والذي يعمل القائمون
به، بطريقة مهجبة وناجعة تحت مظلة السلم اسي فرضه الفرنسيون،
على نشر الإسلام في البلدان الإفريقية.

وسيكون على قواد الدوائر العسكرية والمندوبين السامين، بوجههم
هذا الخيط الذي لم يكن موجودا حتى هذه اللحظة، واجب أسهل من
الآن فصاعدا يتمثل في متابعة هذا البحث بعناية، وتقديم مساهماتهم في
دراسة عنصر من العناصر الأساسية في سياستها الإسلامية في إفريقيا
السوداء.

الملحق [1]:

رسالة ماء العينين إلى إيدوعيش:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حباؤنا الأكرمون وأصدقائنا الأقربون الأحمدون الأطهرون الأطييون
لأسياد جماعة إيدوعيش عموما وخصوصا وطررا ونصوصا كل واحد
منكم باسمه. حالص وسمه لا سيما أهل الحل والعقد منكم كآل اسويد
أحمد السلام غيبكم ورحمة الله وبركاته ما دام الكون وبحركاته أما بعد:

⁷⁸ . هو بعض حكام موريتانيا في القرن 14 (م ج 1)

الخاتمة:

وفي النهاية ثمة فكرة تراودنا تتعلق بمقارنة بين الماضية في إفريقيا
الغربية والسنوسية في شرق إفريقيا اللذين يفصلهما بالكاد الخاخر المزدوج
الذي يمثل الطوارق المأسلمون جريئا (semi-islamisés).

ولا يخلو مجال هاتين الطريقتين اقبويتين، وكذلك نشاطهما
الدعوي، وطبيعة نفوذهما من أوجه شبه كثيرة. إلا أن تلك المقارنة لا
تصبح ممكنة في الحقيقة ومفيدة إلا عندما نعرف كلا الطريقتين على حدة
أفضل.

وفي انتظار ذلك وبما أن كل أحزاء امبراطوريتنا الإفريقية انصهرت
والسوداء موحدة، فإن إفريقيا الغربية الفرنسية، حالها حال إفريقيا
الاستوائية الفرنسية، معنيان أيضا بتنسيق دراستهما وتوحيد جهود
سياسيتهما.

ومن جهة أخرى لا ينبغي الاعتقاد أن نفوذ الزوايا الإسلامية هذا،
وحتى في مجالها الجغرافي الخاص بها، أي في بلاد البيضان، كان مطلقا
وكاملا. إنه يشبه في جزء كبير منه نفوذ الرهبان على النبلاء ورجال
الحرب في القرون الوسطى. فقد يحدث أكثر من مرة أن تخضع القوة
الشرسة والعنف، وروح الغضب والنهب التي تجدها لدى هؤلاء لتجربة
قاسية من الصبر والكياسة واللين لدى الآخرين. ومع ذلك فمن النادر ألا
يسترحع الزوايا، عاجلا أو آجلا ممتلكاتهم، وينتهي الأمر بالمخاريين إلى
"التوبة إلى الله" إما بشكل فردي وإما العشيرة بأسرها: في الحالة الأولى
يتمجج النائب في العشيرة الزاوية ويتحول إلى رجل علم وصلاة، وفي الحالة

فسكن في كريم عمنكم أن السلطان نصره الله وجه إلينا ابن عمه
حليفه نانا عنه في كل ما أمركم الآن وقبل من الأمور كلها سيما أمر
البصاري دمرهم الله لأنه والله الحمد أرسله بالوقوف على ساق الجند حتى
تعلو كلمة الإسلام ويقضي بحول الله كل مرام والآن لا بد من إتيان ولاية
الأمر منكم لنقع المشافهة مع الخليفة على أيدينا، كما أن السلطان نصره
الله، كتب إلينا بذلك فيحصل بها لكم كل غرض فيما مضى وما عرص
لأننا كتبنا لأمر المؤمنين نصره الله أنكم في تلك البلاد أنتم أهل شوكتها
وأهل حلها وعقدها، وراكم تفوزون بهذه السبقية إن شاء الله تعالى، كان
الله لنا ولكم وليا وصيرا وعلى سائر الأعداء ظهيرا، وبلغكم أقصى المرام
بالتمام وعلى خالص المحبة والسلام، لإحدى عشر بقيت من جمادي
الأولى عام 1323هـ .

عبيد ربه ماء العيين بن شيخه الشيخ محمد فاضل ابن مامين غفر الله
لهم وللمسلمين آمين.

من قریب ۱۰۰ سال قبل

1. General
 2. Particular
 3. Particular
 4. Particular
 5. Particular
 6. Particular
 7. Particular
 8. Particular
 9. Particular
 10. Particular
 11. Particular
 12. Particular
 13. Particular
 14. Particular
 15. Particular
 16. Particular
 17. Particular
 18. Particular
 19. Particular
 20. Particular
 21. Particular
 22. Particular
 23. Particular
 24. Particular
 25. Particular
 26. Particular
 27. Particular
 28. Particular
 29. Particular
 30. Particular
 31. Particular
 32. Particular
 33. Particular
 34. Particular
 35. Particular
 36. Particular
 37. Particular
 38. Particular
 39. Particular
 40. Particular
 41. Particular
 42. Particular
 43. Particular
 44. Particular
 45. Particular
 46. Particular
 47. Particular
 48. Particular
 49. Particular
 50. Particular
 51. Particular
 52. Particular
 53. Particular
 54. Particular
 55. Particular
 56. Particular
 57. Particular
 58. Particular
 59. Particular
 60. Particular
 61. Particular
 62. Particular
 63. Particular
 64. Particular
 65. Particular
 66. Particular
 67. Particular
 68. Particular
 69. Particular
 70. Particular
 71. Particular
 72. Particular
 73. Particular
 74. Particular
 75. Particular
 76. Particular
 77. Particular
 78. Particular
 79. Particular
 80. Particular
 81. Particular
 82. Particular
 83. Particular
 84. Particular
 85. Particular
 86. Particular
 87. Particular
 88. Particular
 89. Particular
 90. Particular
 91. Particular
 92. Particular
 93. Particular
 94. Particular
 95. Particular
 96. Particular
 97. Particular
 98. Particular
 99. Particular
 100. Particular

الملحق {2}

مقتطفات من المراسلة بين الهيبة وعمه الشيخ سعد بوه:

الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه

(...) (هذا حتم الحيلة)

إلى معادته وروحيته زمانه، وسخوة زمانه ومكانه إلى من هو موطن
للعالم، ويهتفون في الطريق للقادم، وصوت نزل العذراء، سيدتي، مقبل

والدنا وحليفه، المسيح سعد بوه أداء الله صلاحه وتولى حفظه سلام الله وبر كانه عليكم:

وبع أقول لكم : إن أحبا اعاضل الشيخ المحفوظ⁷⁹، قد جاء إلينا وفرحنا كثيرا باستقباله شاكرين الله على ما أنعم به عليكم من صحة جيدة، أطال الله شرفكم وأمد في عمركم وهدى بكم العالم جميعا ونوره..

لقد أبغنا المحفوظ حفظه الله مشافهة وقدم لنا النصائح القيمة التي كلفتموه بقلها إلينا، نصائح جعلتنا نفهم مدى وفاء الحكومة الفرنسية لخلفائها، وكيف أن علاقتهما ممتازة مع سائر المسلمين، دون أن نذكر الاحترام والتقدير الذي تكنه لعائلة أهل الشيخ محمد فاضل حيثما وجدت.

وفي الأخير أصلعنا المحفوظ أن رأيكم هو أنه من مصلحتنا السعي إلى هدنة سلمية وأنكم تعولون عليها بشكل كامل وأن لديكم شخصيا ضمانات على وفاء الفرنسيين لها وعلى استقامتهم في كل ظرف إلخ.. ونحن نعرف مدى إخلاص نصائحكم وصدق أقوالكم.

فمن غيركم يستطيع قون الكثير من الحقائق وأن يسوس الناس في طريق قويم أكثر منكم ؟ وبناءا عليه فقد شجعنا نصائحكم في هذه القضية. والآن ليعلم سيادتكم أننا قد بعثنا في الأيام الماضية ردودا على رسائل وجهها إلينا بعض وجهاء الغرب الذين وافقت عليهم الحكومة⁸⁰ وقد تضمنت ردودنا عليها الشروط والقواعد التي كانت تسمح بالوصول إلى الهدف الذي تسعون إليه إذ أنه هو ما يتعين القيام به.

وسيسحدثكم المحفوظ عنها شفويا علاوة على ذلك .

نسأل الله بجاه بركتكم أن يهدينا سواء السبيل

⁷⁹ المحفوظ هو أحد أبناء سعد بوه، نشأه بوه في مهجة لدى ماء لعسر، وقد أشار إليه أخته مكينة أحسا من قبل حمامة، وها في الحقيقة أبناء سعد بوه.
⁸⁰ إشارة إلى المفاوضة الدبلوماسية التي تمت مع حكومة سعد بوه في نهاية سنة 1913م لإتاحة الفرصة للحصول على السلطة الفرنسية بوه سيجيب على المفاوضة.

وبرحو مكم صالح الدعاء دائم.

والسلام .

في لواء والعشرين من ذي الحجة سنة 1331هـ - 30 من نوفمبر سنة 1913م. ترجمها إلى الفرنسية أبو المفداد .

الملحق [3]:

شجرة نسب الفاضلية⁸¹:

باسم الله الرحمن الرحيم وصلى
الله على خير الأناء :

فان شيخنا الشيخ سعد بوه	بعض الله وجهه يوم نبض وجوه
وحدود شيخنا المكبر	فحصت بقوة يبقون
بشيخي محمد لأهـ	هو بنا أساس كل دبر
باطاب خير السوي	على مقامه وعد
محمد أبيه نصائح	نعرا بعد كل عال
الحية ذي العبد والنفق	صوت قولنا من المساق
الضابط يحب خير الأوليا	بور بسر عظموت سر
والضابط عل خير من تقدمنا	نزل لي بصير حافظا مقدما
بسيدي محمد وسبيدي	بني فلما كل طوبى جند
سما، عال مع شمس الديسر	بني الكبر مفتقد
هادد الثلاث فافضل حاجي	وحاجة الأناج لنسب
بسيدي محمد وسبيدي	عتمان بالأولاد وروح أودي
مربلاي أبي بكر وسبيدي يحيى	شر دين بعبستت عبي
عامة الرحمن مع آر	نلان مع أحمد
جدهم جاد براهي	و كند د رجد

أحمد هذه المقطوعة والمقصود هو سر مأخوذ من "كده" من عبي من وضع شيخ سعد بوه.

هذا السطح من السطح للمعجزة يظهر الزمان من بين يدي

[illegible]

ويا له من حزن وسنة اعظم ماله من سعادته وياه الهمم المحمودة
 من اهل الحرم وطله افاضت بسير عظامي واولي البصل من ربي ما انا في ربي
 تسمر العود امام الانعمه فله نعم اعداد ما عينا بل من الله ومن ربه
 اخذ النعمه اعم كل الحق يا شافي عباد الله
 في كل يوم عاين ربي في كل يوم في كل يوم
 وبأخيخ الياسع الحضيض في كل يوم في كل يوم
 بهمة ارا اذ في كل يوم في كل يوم في كل يوم
 وباللهم الذي هو الاعظم
 يا ربنا الذي هو الاعظم

[illegible]

رسالة الشيخ سعد بوه إلى العقيد غورو⁸²:

باسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على خير الأنام

إنه سلام بل ألف ألف سلام ومثل ذلك من التحايا والإكرام إلى أمير
بلاد البياضين كلنل موجيه ولا يحصر على بعضه يقتصر أن يحسنه أن
المسلمين عامة ونحن خاصة حمدنا الله ولكم بما جعلتم من العافية في
الأرض حتى أمت الأنفس والأموال من العارات ونهب وانفس حق
لعامة المسلمين الحمد والشكر على هذه العافية التي سببها عذبتكم
للمحاربين واللصوص إننا لو سمعنا قدومك قبل قواتك لنا لركب أبناؤنا
وكل رؤساء جماعتنا للتلقي لك ولكن فرحة القلوب كائنة وحمد الله على
رجوعك سالما وظفرك بمراكز كائن أيضا لتعلم أني أريد منك الإبقاء

⁴² وقد اثنأنا أن ندرج فيما يلي ترجمة النص العربي للرسالة لوصوجه وثموبته، وسنلاحظ أنه يتضمن الكثير من الأمور التي لم ترد في النص الأصلي للرسالة.

رسالة الشيخ سعد بوه إلى العقيد عورو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على أفضل خلق (عصمه):

م. الشيخ سعد بود إلى العقيد أمير بلاد البساط

الفنية

هدف الرسالة هو أن تظعلك على أن المسلمين كافة يشكرون الله وإياك ويشكروننا نحن خاصة على النعمة أب
البلاد حيث ينقل الأشخاص وامتنكات بكل أمان دون خطر الذهب من طرف المقاتلين بأعمال أشبهت أعمال
حازمهم وطردتهم ولا من طرف المشايخ المزيفين
اعلم أننا نر كما علمنا بمروركم في الوقت المناسب نعتنا بكم بأمان ورومساء اجتماعية للبلاد شريفة
والترحيب بك وتمنتك على العودة سالما وهو ما شكر الله الكريم عليه. وفي الأسفل نعلمك بأسماء جميع
المسلمين.

والآن أصل ما نريد أن نكتبه في هذا الباب هو أنما وأما وأيهما وتلاهما أي متى يكون لنا مكالمه خاصة بخصوصية هذا، د. أما أول صدق يكتب.

[illegible]

أُتِيتُ إِلَيْكُمْ بِخَبَرٍ كَثِيرٍ أَهْمًا لِمَا حَقَّقْتُ فِيكُمْ (بِمَنْعَةِ رُوحِهِ بِمُسْتَعِينِ حَسْبِ الْإِسْلَامِ ١٠ - ١١)

أَمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ هَاجِرٌ إِيَّاهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِهِ السَّجْدَةُ

والله اعلم
 مستوفى في تاريخه من شهر ربيع الأول سنة 1328 هـ الموافق 18 ديسمبر 1910 م

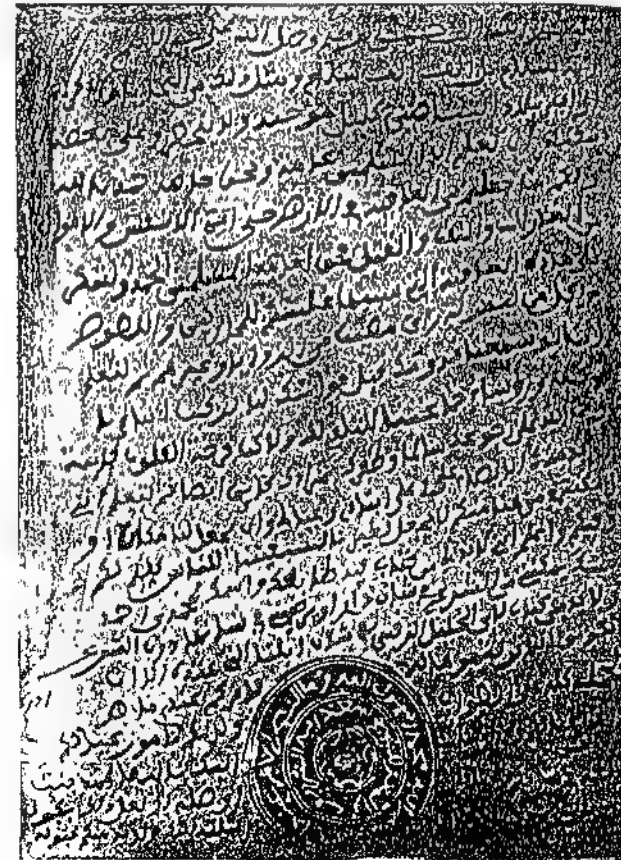
[illegible]

المجلس
العلمي

[illegible]

عني وعلى إنساني وعيالي وأن يجعل سا مكانا أو أمكة في من هيا معكم لا
 جعل لغيرنا لسقيسا ساس كلهم لكم وفيكم .واعلم أي لا بد لي من
 كتاب لاس حليل الرقيسي بشأن إيسا التي عنده إلا أن تكونوا أنتم
 تركموها له فأمركم عدي ماص لحمله كله على الصواب ولأنكم
 تأمرون عيالككم من القدي في شأنكم ويختار أن...

رسالة الشيخ سعد بوذ الي العقيد غورو 1



المصادر والمراجع.

- 1-Bulletins individuels des cercles du Tarza et de l'Adrar
- 2-Renseignements fournis par M l'Administrateur en chef Gaden, par
 M l'Administrateur Antonin et M l'adjoin des Affaires indigènes
 Chapuis
- 3- L'Islam en Afrique occidentale, par A.H.F. Chatelier⁸⁴
- 4- Revue du Monde Musulman, passim
- 5- Bulletin du comite de l'Afrique Française.

⁸⁴ وهذا الكتاب هو أول مصدر سجدت عن عاصمه وقد خصصت حافله في وصفه كمالا من وصفه
 326 ل الصفحة 336، وقد حرر بالكتاب بناء على معلومات أحدها . حيث أن في وصفه
 مقابلات مع عدد من الجرحه من جن الشيخ سعد بوذ

الفصل الثالث:

إيداو علي: شرفاء التجانية في موريتانيا

أولا- تاريخهم:

تنتشر التجمعات الصغيرة للشرفاء في موريتانيا، كما هو الشأن في إفريقيا الصغرى. فلا يوجد مخيم للمحاربين أو الزوايا إلا وبه ثلاث أو أربع أسر من الشرفاء لا يعرف في معظم الأحيان من أين قدموا . وغالبا ما يشكلون عشائر مستقلة صغيرة، ترتبط من الناحية الشكلية بقبيلة معينة من قبائل الزوايا وتدور في فلكها . ووحدها قبيلة إيداو علي تتقدم اليوم في شكل ثلاث عشائر كبيرة ضمن قبيلة واحدة من الشرفاء لكل واحدة منها في منطقتها حياتها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية الخاصة بها، على نفس القدر مع العشائر والقبائل المجاورة .

ويجمع إيداو علي سواء أكانوا من التارازة أو تكانت أو آدرار على اعتبار أنفسهم شرفاء، كما أن معظم زوايا البيضان، يعترفون لهم بتلك الصفة . إلا أن هناك من الزوايا البيضان من لا يعترف لهم بها لكنه يقر بالفعل أنهم علويون، ويقبل فقط بأنهم من ذرية علي (كرم الله وجهه) من زوجته الحنفية وليسوا من ذرية فاطمة ابنة الرسول (ص).

وقد عرضت دعاوى إيداو علي في كتيب صغير بعنوان : "صحيحة النقل في علوية إيداو علي وبكرية محمد قلي"⁸⁴ ألفه العلامة [سيدي] عبد الله ابن الحاج ابراهيم ابن الإمام عبد الرحمان العلوي الشنقيطي، وهو مؤلف العديد من الكتب القيمة، في العشرة الثانية من ربيع الثاني سنة

⁸⁴ Transmission authentique des origines alides des Ida Ou Ali et bekrides de Mohamed R'ell

وسمى صاحب الكتيب المذكور [سيدي] عبد الله بن الحاج ابراهيم
 حذره بكر بعض التفاصيل - المستمدة من السيرة النبوية - عن الحنفية
 وعن ابنها محمد قائلا :

واسم الحنفية هو نخوة بنت جعفر ابن القيس وتنتمي إلى قبيلة بني
 حنيفة، وكانت من نصيب علي حينما قسمت غنائم غزوة اليمامة .
 وتروى رواية أخرى أنها كانت أمة سوداء يملكها رجل من قبيلة بني
 حنيفة يسمى أبو القاسم، وأن النبي (ص) قد أحبر عينا بولادة محمد بن
 الحنفية قبل أن يولد، وأخبره علاوة على ذلك بأنه سيحمل اسمه ولقبه
 "أبو القاسم". وقد ولد يقول المؤلف في السنة الثانية من عهد الخليفة عمر
 بن الخطاب سنة 15 هـ الموافق 636م ، وتوفي سنة 81 هـ الموافق 700م
 . وكان مثل أبيه علي سيف الله فارسا كبيرا سواء في الحروب الداخلية
 التي قسمت العرب فيما بينهم أو في الحروب ضد المشركين .

وتربط شجرة النسب الآتية بين علي صهر النبي (ص) [وابن عمه]
 وبين علي بالاحمر، الجد الذي تسمت القبيلة باسمه، والذي أصبحت دريته
 في الأزمنة الحديثة، قبيلة إيدوعلي:

علي

(الحنفية)

(فاطمة)

الحسن الأول

حسن الثاني

عبد الله الكامل

أبو علي

محمي

قاسم

كربا

دعوى

دوي

عبد الله

سليم

حاج

عبد الكريم

عبد

سليم

عبد الرحمن

سعيد

عبد

عبد الدائم

عبد الوافي

عبد النعيم

زيد

يوسف

محمد

عبد

ابراهيم

عبد الله

عبد الرحمان

حاجر

كنان

بناظر

محمدة

علي

هكيل

الاحمر

عبي

وقد مر أجداد علي بعد معادرتهم للشرق عني في بعض الأشخاص التالية:

الكوفة، مصر، تميم، حتى وصلوا نبلات وهي واحة وقرية
سرحدان على بعد 150 كم إلى الحبوب العربي من بني عباس (في أقصى
حبوب وهران). وهذه هي لطريق التي تروي روايات إيداع علي أن أجداد
علي سذكوها للتوغل في أقصى الغرب. ثم تقدموا خطوة جديدة في اتجاه
الغرب أوصلتهم إلى آبير الواقعة إلى الشمال الغربي من شقيط، واستقروا
بها، وكانت آنذاك مدينة مزدهرة. وقد حدث ذلك الاستقرار في بداية
القرن الرابع عشر تقريبا. وتوضح الرواية قليلا في هذا الموضع: فقد عاش
العلويون في آبير من 1350 سنة إلى سنة 1500م تحت سلطة أجداد علي
الباشرون، ثم علي نفسه الجد الذي تسمت القبيلة باسمه ويضيف المؤلف
قائلا: "وآخر نعرف أن كل قبيلة يبدأ اسمها بـ "إيدا" هي قبيلة زاوية،
وأما خرجت من آبير. وقد كان عدد العلويين في ذلك الحين 40 أو 60
عشيرة بما في ذلك العشائر ذات العصية الخالصة أو تلك التي لا تربطها
بهم سوى قرابة دموية". وكانت هذه القبائل وأشهرها: إيداعلمة،
ويدوعيش، وإيدعاميرة، وهي عشيرة من عشائر لمتونة- وإيدا غزيمبو،
ويديشلي، وإيداعماجث، وإيدا بالحسن، كلها تدفع الجزية لإيداع علي،
وقد بسط هؤلاء الأمن في كامل المنطقة.

وقد تزوج علي بن بالاحمر امرأتين: عربية وزنجية. المنحدر من الزنجية
تحمعا إيداع علي "الكحل" (في آدرار والترارزة)، ومن العربية تجمع
إيداع علي "ابيض" (تكانت). وبعد حدوث الحادث المزعج الذي سيؤدي
إلى خراب آبير، قام يحيى ابن علي من عشيرة إيداع علي الكحل بقتل أحد
أبناء عمومته. إلا أن علو منسلته وأصوله النبيلة قد حفظا له حياته لكنه
أجبر على الهجرة. وبعد أن هام على وجهه في البلد، جاء ليستقر به المقام
في شقيط (في نهاية القرن الخامس عشر) وكان يومها قرية صغيرة عديمة
الاهمية يعيش فيها عمر يني، وهو جد إيداع علي التي هي حاليا من عشائر
تجكجة، فعرفت شقيط - ومعناها "عبول الخيل" - تحسب تفسير [سدي]
عند الله بن الحاج إبراهيم - منذ ذلك الحين أياما مزدهرة. فقد قدم الكثير

من أهل يحيى وأصدقائه إليه في إقامته جديدة وسرعان ما شكوا تحمعا
كثيرا. فراحعت آبير. واستعادت كل العشائر التي كانت تدفع الجزية
حربها⁸⁶.

وبعد مرور سنوات من قدوم يحيى، حوالي سنة 1525م، أصبحت شقيط
أهم مدينة من مدن الصحراء الغربية، وكان بها أحد عشر مسجدا منها
الجامع العتيق الذي لازلنا نراه قائما حتى اليوم، ومائة بئر، وذلك بحسب
ما يروي الشيخ الكبير سيدي المختار الكنتي، وأصبحت شقيط بامتياز
واحدة من المدن السبع المهمة في العالم الإسلامي⁸⁷.

وكان الحج منها إلى بيت الله الحرام منتشرا بكثرة. وروايات إيداع
علي سعيدة بالإشارة إلى أنه بفضل هذا التدفق لأهل شقيط إلى الشرق،
تم إطلاق اسم الشناقطة (والشاحطة والجناحطة) في نهاية الأمر على كل
البيضان المنحدرين من المناطق الصحراوية أو السودانية في غرب إفريقيا.
ومن جهة أخرى ساهم ورع بعض الشخصيات في انتشار عادة الحج بين
الناس. ويروي [الحاج سيدي] عبد الله ابن الحاج إبراهيم أن الحاج محمد
أحمد جد أهل بوكسا من إيداع علي تكانت قد اصطحب معه إلى مكة
أربعين حاجا، وأنه دفع بدلا عنهم كل النفقات أثناء السفر.

⁸⁶ ويقدم كتاب "مغرب العباد" الذي اكتشفه الحاكم عادن Gaden، وترجمه إلى اللغة الفرنسية M. Hamet في مجلة العالم الإسلامي في عددها يونيو سنة 1912م، رواية مختلفة شيئا ما لتأسيس مدينة
شقيط. ويروي الكاتب، بعد أن شرح بأن يحيى قد تم نفيه بالفعل من آبير لقتله رجلا كان يقوم بعمل مشين
في أحد أحياء المدينة، أن المني توقف عند الولي الصالح محمد قني. الذي كان يزوج عريشته في نفس الموضع
الذي بيت فيه شقيط فيما بعد، والتحق بها آمان من سكان الوادي لأصليين هما عمر حد أمقاريح (وهي
أحدى العشائر الخالية في إيداع علي آدرار) وإيداع علي أولاد مولود بن أحمد، وشروعهم في تأسيس
مدينة في سائر مع الظروف المحلية.

ويوجد نفس الأسماء في الكتيب الذي بين إيداع (صحيفة الفيل) كل عمر بن يحيى هذا هو جد إيداع علي
ومحمد قني "أبيض" هو جد قبيلة الأفلان الحرة، في حين أن الأفلان (وتسمى لدى البيضان بسورج من
البحرين) إلى م يظهر إلا بعد ذلك بوقت قصير
وبناء عليه - ويحسن أن يكون تمت هي أحدهم بعامه سائر لرواد - المذكور أو النبيلة لي يره - لأسري
- يبدو أن الأحداث صحيحة في مضمونها إلا أنها تشبهت بمرور 1 من وبعث في سائر - أصبحت - لا
سجرا منه، فمخرج الحمال اعصب لعلاء الأسباص والروة، براح - وهو - من قدش ولعلاء - منه
يسرعة إلى الكل شقيقه المعهدة

⁸⁷ وهذه المد - السبع تحسب - وبسات إيداع علي سائر - مكة المكرمة، ودمشق، والقدس
وبعداء، والقاهرة وبوس، وشقيط

وقد استمر ذلك الازدهار والوثام أكثر من قرن من الزمن (من سنة 1500م وحتى سنة 1635 م تقريبا)، ولم يلاحظ خلال هذه الحقبة من الزمن سوى حادث واحد مزعج ألا وهو خروج السماسيد من شنقيط. وكان إيداعلي، بدافع من التقوى، لا يتحذون أبدا إمامهم من قبيلتهم وإنما كانوا يختارونه من السماسيد. إلا أنهم بعد أن حكموا أنه من المناسب أن يقع الاختيار على الأقال، الذين ينتمون من خلال جدهم محمد قلي الذي تسمت القبيلة باسمه، إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وبالتالي فهم أبناء عمومته، فأغاظوا بذلك الإجراء السماسيد الذين سرعان ما هاجروا من المدينة. فلم يتناقص ثراء البلد لأن شنقيط كانت قادرة بعد ذلك على تسيير قوافل مكونة من 2200 بعير محملة بالملح إلى الظهر، وهو ما جعل الناس يتساءلون: "أي هاتين المدينتين أثرى، أهى تلك التي استطاعت أن تسيّر عيرا بهذا الحجم أم تلك التي تستطيع شراءها؟!"

إلا أن الصراعات الداخلية التي اندلعت بين إيداعلي البيض وإيداعلي الكحل في الفترة الفاصلة ما بين عامي 1630م و1640م تقريبا، أدت إلى وضع حد لحالة الازدهار تلك. ويبدو أن تلك الصراعات كانت مشهدة من مشاهد حرب شريفة المشهورة أو نتيجة من نتائجها، وهي الحرب التي دارت رحاها للمرة الأخيرة حوالي منتصف القرن السابع عشر، بين العرب الغزاة والبرابرة سكان موريتانيا الأصليين. وقد أدت تلك الحرب إلى التقسيم الحالي للمجتمع الموريتاني إلى قبائل محاربة وقبائل الروايا، وإلى فرض العرب الحسانيين المنتصرين أنفسهم على القبائل الصنهاجية المعربة المغلوبة على أمرها. إلا أن تلك الصراعات الداخلية، كما تقول قصص إيداعلي، ظلت حروبا نظيفة أي أنها لم تعرف النهب، وتخللتها فترات سلم دامت أربعين عاما.

وخلال تلك الفترة حوالي سنة 1675م تقريبا، توجه عدي ولد المختار بصفته زعيم إيداعلي الكحل والإمام عبد الرحمان زعيمهم الخاص

ومعظم إيداعلي البيض، وكما نقصي العادة في قافلة تجارية إلى دياهوو (بيورو) الذي كانت تحكمه سلالة صديقة لدماسا⁸⁸، فاستغل إيداعلي الكحل غيابهم لتخلص من أولئك الإخوة الأعداء وقاموا بإبادة كل من بقي منهم باستثناء شيخ ضرير يدعى الطالب أحمد. فلحق الطالب أحمد إلى أصدقائهم الأقال. وعلى الرغم من أهم أبناء عمومة، إلا أنهم ظلوا محايدين في تلك المأساة، فوضعوا ذلك العجز في طريق قافلة إخوته. وبما أن هذه القافلة لم ترد العودة إلى شنقيط حيث كان ينتظرها أسوأ الأقدار، واصلت سيرها تحت قيادة الأعمى بحثا عن موطن جديد. وكانت تتوقف كل مساء وتقدم حفنة من التراب إلى الطالب أحمد ليتحسسها ويرد عليهم قائلا: "تابعوا المسير"، فساروا حتى وصلوا وادي الرشيد فقار لهم: "إنها أرض جيدة للزراعة، لكن سيسيل الدوم على الدوام بين سكانها"، فتجاوزوا الرشيد بناء على ذلك، ووصلوا إلى الموضع الذي توجد فيه الآن مدينة تجكجة (تكانت) حيث أوقفته نصابح الدليل لهايا⁸⁹ سنة 1680م تقريبا.

وفي تلك الأثناء قامت عشيرة من إيداعلي الكحل في شنقيط ذاتها بالاحتجاج بشدة على إبادة إخوانهم، ففضى الأمر الواقع بعدم الاستمرار في العيش مع مجرمين يثون الرعب في قلوبهم وفي الوقت ذاته بالنجاة من حقدهم فغادرت تلك العشيرة المدينة تحت قيادة زعيم يسمى أبيجه (1675 - 1680م) وهبطت في اتجاه الجنوب الغربي واستقرت في الترازرة.

ذلك، بحسب التاريخ المحلي، هو سبب انقسام قبيلة إيداعلي إلى ثلاث عشائر كبرى تعيش في آدرار و تكانت والترازرة.

وقد واصل فرع آدرار العيش والازدهار في شنقيط على الرغم من أنه تناقص إلى حد كبير. أما زعيمه فهو عدي ولد المختار الذي كانت

⁸⁸ ماسا هو الاسم الذي أطلقه م. دولاوس M Delafosse في كتابه: أعدي من السجمل والبحر / الجزء الثاني، ص 111. ويؤكد المصدر الذي حدى أن الأمر يتعلق فعلا بسلطين دياهوو.
⁸⁹ يروي دولاوس قصة مماثلة لأسس مسة مدينة سبت في كتابه: أعدي من السجمل والبحر / الجزء الثاني، ص 111.

إحدى سائته قد تروحت شبحاً من سوح إيداو علي البصحاء نبت
لدرعة لينحاصم مع أهالي تجكجة إلا أن هؤلاء قاموا بصدده.

وبعد ذلك بوقت قصير سنة 1689م - إذا ما صدقنا روايات الكتاب
العرب^{٥٠} - ورواية المحلية التي لا تزال قوية، فإن السلطان مولاي
اسماعيل مر بشنقيط في رحلته إلى تشيت و تكانت ولقي ترحيب القبائل
الموجودة في المنطقة.

ثم اهتمت الذكريات السيئة مع مرور الزمن . ومن جهة أخرى أرغمت
ضرورة البحث عن حلفاء لمواجهة كتنة وإيدا الحاج في آدرار - اللتين
كانت دائماً تشنان حرباً على العشيرة بل اللتين انتزعتا منها واحة
تأنوشرت التابعة قديماً لشنقيط - تلك العشيرة من إيداو علي على
التقارب مع أبناء عمومتهما المهاجرين والتعايش معهم في وئام كبير.

أما في تكانت فقد عاش إيداو علي "البيض"، أصحاب القافلة، في بادئ
الأمر حياة البدو في المناطق المخاضية لماء تجكجة، إلا أن أحد شيوخهم وهو
الأقرع ولد حروش اضطر إلى بناء منزل ليحمي فيه طبله، وهو الرمز
الدال على القيادة، وأحد أدوات الدعوة إلى الحرب وإلى الاجتماعات
العامة، من حرارة الشمس، فقلده أصحابه ولم يتأخر بناء القرية وأصبح
هؤلاء إيداو علي شيئاً فشيئاً زعماء المنطقة دون منازع .

أما العشيرة التي هاجرت إلى الترازرة فقد استطاعت بسلاحها انتزاع
موطاً قدم لها وواصلت تلك المهمة بنجاح منقطع النظر على مدى قرنين
من الزمن، فتصدى لهم إيداو بالحسن على وجه الخصوص بمقاومة شديدة
وأزاحوهم بعد معركتين كبيرتين إلى لغيري وإيرزيك مع بداية القرن
التاسع عشر تقريباً.

وقد قام إيداو بالحسن حوالي سنة 1840 م تقريباً على إثر اغتيال إيداو
علي الساخطين لعالم شاب وشيخ من شيوخ إيداو بالحسن يسمى بابال

^{٥٠} أحمد اسلاوي، كتاب الاستقصاء، وأما الرائي، ترحام العرب

ونميده، بالحجوم على يدو علي منحصين هم وحفاؤهم الحسيون
أولاد أحمد بن دمان في عدة بوطرسة (مدرسة) ومرقوهم شرموق.
عندها تدخل أمير الترازرة محمد الحبيب لوصي حد لذلك الصراعات
المبادلة بين القبائل المخارية و قبائل الروابا في إمارته إلا أن محاولته لم تجد
نفعاً. فاستنجد المهزومون بتجكجة، وشنقيط فساعدهم أبناء عموماتهم
بقوة ودمروا إيداو بالحسن في معارك تين احمارة وبل الحنوشة وغورص وتين
دوجة في الفترة الفاصلة ما بين عامي 1850 و 1860م وفي سائر مناطق
الترازرة. وقد قتل في هذه المعركة الأخيرة مع عدد كبير من إيداو بالحسن
شيخ من شيوخهم هو عبد الله الأحوس الذي لا زالت قصائده بتغني بها
نجد الخيام. وقد أدى انتصار إيداو علي إلى تكريس نجاحهم النهائي.

وقد ظلت ذكرى هذه المعارك حية للغاية ولا تزال حتى أيامنا هذه
العديد من الصراعات تندلع بين أفراد القبيلتين لأتفه الأسباب.

وبخلاصة القول هي أن إيداو علي وآدرار والترزرة هو إيداو علي
"السمر"، أما إيداو علي تكانت فهم إيداو علي "البيض"، ولا يعني هذا
الأمر أي تمييز في لون البشرة لأن هذه التسمية جاءت فقط من زوجتي
جدهم علي الذي تسمت القبيلة باسمه.

وتعيش هذه العشائر التي نسيت صراعاتها القديمة في الوقت الحالي في
علاقات طيبة، ويتزاوون بكثرة، وينسجون علاقات تجارية فيما
بينهم، وتجمعهم مصاهرات عديدة من ناحية الأم، وهم على وجه
الخصوص أتباع لنفس الطريقة التجانية^{٥١}.

^{٥١} يوجد بعض المتأخرين في القبائل السراجه كمر علي - ررة

ثانيا- الحالة الراهنة:

1- إيداو علي الترازة:

تصمن عشيرة إيداو علي الترازة القاطنة بمندوبية المذرذرة تسع عشائر فرعية، شكلت بحسب إحصاء 1912م مجموعات قدر عددها بـ 2286 نسمة. وهم يرتبطون ببجي ابن علي عن طريق شجرة النسب الآتية قدم كل اسم فيها تقريبا إلى التجمع الحالي مجموعة من الأبناء:

علي

بجي

إيديجة

حمد الله

إيديجة

محمد

حبيب

الطالب محمد

القاضي

ونصل انطلاقا من القاضي إلى الأسر المعروفة حاليا، ولكل منها شجرة نسبه الخاص. وقد انقسمت العشائر على النحو الآتي:

اسم العشائر الفرعية	كبيرها	عددها
أهل عبد الرحمان	السالك ولد باب	371 نسمة
أهل محمد	محمد عبد الله ففال	529 نسمة
أهل أحمد ولد خيار	بدي ولد محمود	152 نسمة
بجويون	استنار ولد الفاللي	123 نسمة
أهل الحاج	محمد الحبيب ولد أحمد	200 نسمة
أهل الحر	السالك ولد الاعور	71 نسمة
أهل أحمد	المحار ولد محمد اسارك	256 نسمة
إداعة	المصطفى ولد محمد حرمة	276 نسمة
لسمسند	محمد عبد الله ولد لولي	308 نسمة

ولا يفصل بجويون عن أهل أحمد ولد خيار. أما سمسند، وكما هو واضح من الاسم، فليسوا من أصل علوي صرف وإنما يعيشون معهم منذ عدة قرون.

وتقع المنطقة التي تسكنها العشيرة إلى الشرق من المذرذرة وتمر بها الطريق إلى المركز العسكري بأبي تلميت. وفي فصل الخريف يجيمون في منطقة النبكة، أما في فصل الصيف فيقربون من بحيرة الركيذ (بحيرة كيار الزنجية). أما آبارهم الرئيسية فهي: الجرارية (وعمقها 3 أمتار) العين (4 أمتار) و تين بويعللي (4 أمتار) وتوفجار (3 أمتار) و بير الدربان (12 مترا) وتين قادوم (3 أمتار).

ويعمل إيداو علي الزراعة في أراضي الركيذ. وقد كانت تلك البحيرة على الدوام سببا لكثير من النزاعات ومسرعا لها بين عشائر إيداو علي وتجكانت وإيدا بالحسن الذين يستغلون مياهها الغنية بالأسماك، والأراضي الزراعية التي تغمرها مياهها بشكل دوري. ففي الوقت الذي كان يتعين فيه توجيه تلك الخصومات إلى القبائل المحاربة إلا أنها لم تتسبب في شيء آخر سوى تسميم الأجواء بين تلك القبائل الزاوية الثلاث، بل إن إيداو علي المنطقة وصلوا فيها إلى حد التملص من ضريبة الحرث (bakh) التي تقدم للمحاربين. ولم يسلم إيدا علي وتجكانت وإيدا بالحسن منذ سنة 1902م من سنة الانقسام التي عمت الجميع، فأصبحت النزاعات على أشدها بين القبائل وذلك في انتظار أن تصبح بين العشائر الفرعية ثم بين الأفراد أنفسهم. وتمت تسوية تلك النزاعات في الآونة الأخيرة عن طريق الصلح بالاتفاق بين "الجماعات" برعاية المندوبين الفرنسيين في المذرذرة و أبي تلميت، وتحت رئاسة قائد دائرة الترازة (اتفاقية الثلاث من إبريل سنة 1911م بخصوص موضوع ممارسة حق الصيد بين إيداو عسي وإيدا بالحسن - اتفاقية الخامس من ديسمبر سنة 1991م في موضوع الأراضي الصالحة للزراعة بين القبائل الثلاث المذكورة آنفا).

الإمام عبد الرحمان (الفرد السادس عشر) وسني سلفه معالاب
المعروفة حاليا.

وقد عارضت هذه العشيرة من إيداو علي حلالنا لكانت معارضة
شديدة، إلا أن دبلوماسية كبولاني Coppelani قد نجحت أكثر من مره
أمام مدهنتها التي لا حد لها. وبعد موت كبولاني⁹² في سن عشر من
مايو سنة 1905م، سارعوا إلى الكفاح وانتقل عدد منهم بقيادة سيدي ولد
الشيخ ولد محمد الأمين، وهم من عشيرة أهل محم الفرعية، إلى صف العدو
وانضموا إلى منشقي آدرار وبايعوا ابن عم السلطان ومثله مولاي إدريس
(1906-1907م)، لكنهم حالما أدركوا عدم جدوى الكفاح، طلبوا الأمان
وعادوا ثانية إلى موطنهم خلال 1907-1908م.

3- إيداو علي آدرار:

لا يزال إيداو علي آدرار مقيمين في أوس مكان استقروا فيه وهو
شنقيط. وعملهم هو إنشاء الواحات، وقد اعتاشوا من العناية بها وأثروا
منذ أربعة قرون. وقد أعطى إيداو علي آدرار مؤسسي مدينة شنقيط،
والتي لا يزالون حتى الآن يمثلون أهم عشيرة فيها، لتلك المدينة المقدسة
طابعها الديني، وجعلوا منها أشهر مركز للدراسات في غرب إفريقيا.

ويتكون إيداو علي آدرار من 3000 نسمة تقريبا، موزعين على أربع
عشائر فرعية هي:

أهل عبدي

أهل الشيخ

أمقاريح

أحمد بابا

⁹² مقتل علي يد بطل المقاومة سيدي ولد مولاي إدريس. ويذكر بعض المؤرخين أن فكرة عبان كبولاني قد
نعت من الرعم لروحي لطرفة العصفرة الذي جاءه تلميذه سيدي الصغير بن إدريس بن مولاي إدريس لاعتبار
أحكامه لموريتانيا. انظر هذا الموضوع حمدة الله ولد سالم، تحقيق الرسالة العلوية. الشيخ سيدي حمدة بن
الشيخ سيدي المحمد الكني، المجلد الرابع، باريس رقم 286 (مخطوط). وهذه الأسماء هي من عصره عيسى
الأفريقيه جرنلة وصف نور ماري بطريقه مغلطه بالاعتقاد (أسماءهم)

2- إيداو علي تكانت:

يقسم إيداو علي تكانت بحجحة ذاتها حيث يشعلون المقاطعة بكاملها
تقريبا، ويمتلكون القسم الأكبر من واحاتها. وهم أكثر عددا من أبناء
عمومتهم في الترازة وفي آدرار.

وتنقسم عشائرتهم إلى ما يلي:

تميلة

أهل محم

أهل الإمام

أهل بو بكر

أهل أجون

أهل بوكسا

أهل العلوي

أما شجرة نسبهم ابتداء من علي الجند الذي تسمت القبيلة باسمه،
والتي ساهم كل فرد فيها تقريبا في بناء العشيرة الحالية، فهي كالآتي:

علي

يحي

اند موغي

عقوب

أحمد

الإمام محمد أحمد

وهم ينحدرون من علي الجند الذي تسمت القبيلة باسمه عن طريق
حدى حلقات السلسلة الاتية:

علي

يحيى

إيديبيجة

جد الله

إيديبيجة

حيب

الطالب

عبد الله

أحمد

عبد الله محمد (القرن الثامن عشر)

الفاعة محم

ومنهما جاءت العائلات الحالية في العشيرة.

وقد رافق عبد الله محمد ابن عبد الله^(١٧) المذكور آنفاً، وهو شاعر مشهور ومؤلف غزير الإنتاج بصفته قاضياً ومستشاراً دبلوماسياً، أمير الترابزة علي شنظورة في زيارته التي قام بها في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر إلى سلطان المغرب مولاي اسماعيل ليطلب منه المساعدة والحماية ضد أولاد رزق الذين اضطهدوا شعبه.

وقد أعلن إيداو علي شنقيط الذين كانوا قد استقبلوا في البداية مولاي إدريس بالتأييد سنة 1906م، وذلك بالطبع لعدم قدرتهم على التصرف

^{١٧} وقد راركة (است حم)

على نحو آخر، دون أية صعوبات بإعلان حصوعهم للفرنسيين عندما
طهروا في ادرار.

ثالثاً- تجانية إيداو علي:

1- أصولها:

قادت رحلة العودة من الحج إلى الأراضي المقدسة شيخنا ورعا اسمه محمد الحافظ الملقب بدي ابن المختار ابن الحبيب ابن كريش ابن الحسن، حوالي سنة 1780م إلى المرور بفاس. فتعرف فيها على الشيخ أحمد التجاني الذي كان يومئذ في أوج شهرته، فانضم إلى "طريقته" بعد أن استهوته فضائل مؤسس التجانية وتعاليمه. فأعطاه أحمد التجاني نفسه الورد، ومنحه لقب خليفة الطريقة في بلاد البيضان، وأمره بنشرها في أوساط سكان الصحراء في أقصى جنوب المغرب.

وقد قام محمد الحافظ في طريق عودته إلى بلاده عن طريق شنقيط وتحكجة بدعوة قوية للطريقة التجانية واستمر فيها طول حياته، وهو ما مثل نوعاً من النزعة الوطنية المحلية تمثل في الجهد الدائب الذي دام خمسين عاماً لخلق رابطة روحية تؤسس لأخوة دينية أعمق بين سائر عشائر إيداو علي في غياب الوحدة الترابية التي باتت مستحيلة منذ ذلك الحين.

وحوالي سنة 1830م وهو التاريخ التقريبي لوفاته، كان محمد الحافظ مطمئناً بأنه ترك قبيلة إيداو علي بكاملها وقد انخرطت في الطريقة الجديدة.

ولم يتوقف ذلك التعلق بالطريقة التجانية عن الازدياد تحت الزعامة الروحية لابنه وخليفته الشيخ أحمد، الذي توفي في سن مبكرة سنة 1907م. وقد أخذ ذلك التعلق طابعاً من الخصوصية المطلقة بحيث أصبح أفراد تلك

الميلة أنفسهم يقولون بأنه 'ليس لأحد من إيداو علي أن يكون إلا تجانيا'. وفي الآن ذاته كان تقليد الحج إلى بيت الله الحرام، القوي عندهم، يزداد تعقيدا بسبب إلقاء يسفر إلى فاس لزيارة ضريح مؤسس الطريقة سيدي أحمد التجاني .

وتمتاز تجانية إيداو علي في الوقت الحاضر بالخصوصيات الثقافية التالية:
أ- قراءة الورد التجاني الرسمي عقب كل صلاة وخاصة صلاتي الظهر والمغرب وهو:

"اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم .
لا إله إلا الله

وصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (94) آمين .

ويزداد عدد هذه الأذكار تبعا للمرتبة الروحية للمريد، ولا يسمح له بقراءتها جميعا إلا عندما يصل هرم التدن. وكل شيخ هو المشرف الروحي لتلميذه في هذه المسألة.

ب- يستحب في قراءة الأدعية المفروضة في الطريقة التجمع في جماعات صغيرة من الإخوة بمعزل عن باقي المريدين. وتصطف الجماعة في صف واحد في أقصى درجة ممكنة من درجات الطهارة البدنية، وهو ما يقتضي منهم خلع سراويلهم عندما يكون قد مضى على استعمالها أكثر من ثمانية أيام وتركها خلف الصف. وتتم الأدعية برئاسة أحد المريدين الذي يقود الحركات بذكر كلمة "الله".

ج كان يتغير صورة شبه إخبارية كتمله الحج إلى بيت الله الحرام بزيارة مؤسس الطريقة في فاس.

وكان حجاج العشيرة في البرازة قدما يتجمعون في تجمعة بحجاج العشيرة الموحدين في تكانت تم يتوجهون جميعا إلى شقيط التي كانت هي مكان التجمع العام ويصوبون إلى فاس عن طريق الدرس ونرس وكنية الجل والعوسات والزمرور ووادي نون وتيزيت ومراكش. أما اليوم فيمكن سلوك طريق أسهل وهو طريق البحر حيث يؤدي الاضطراب في وادي درعة إلى قطع المواصلات مؤقتا، كما أن ذلك التنصيص قد بدأ يميل إلى الاضمحلال. وأصبح الحجاج يركبون السفن من دكاكر إلى طنجة ويقومون بالسفر من طنجة إلى فاس ذهابا وإيابا ثم يصلون بعد ذلك مباشرة إلى جدة مع احجاج المغاربة. ويبدو أن حركة الحج قد تناطأت قليلا منذ قدومنا إلى موريتانيا.

أما السمة الأوضح في التجانية لدى إيداو علي فهي طابع الخصوصية المحلية الذي يبالغ فيه أفراد القبيلة الأصليون. فهم أنفسهم يعترفون بأنهم كانوا حتى نهاية القرن الثامن عشر، إما منتسبين إلى الطريقة القادرية أو مستقلين غير تابعين لأي من الطرق الدينية. وقد تبنوا الورد التجاني، كما يقولون، لأن هذا الورد هو أقصر الأوراد وأقلها انتشارا. فهل هو في الحقيقة أقصر الأوراد ؟ لا يوجد فرق كبير بينه وبينها في ذلك ولا في الحرارة الدينية. فهل هو أقل انتشارا ؟ ذلك صحيح، ويبدو إيداو علي فخوريين جذابا يفتحهم التجانية الوطنية الصغيرة وسط عائلة القادرية الهائلة في بلاد البيضان.

وتربطهم علاقات حميمة بزاوية فاس (سيدي محمد العبدلاوي واعربي بن محمد والطبيب السفياي، ومحمد البناي، ومحمد بن العابد) الذين يحمل إليهم الحجاج كل عام بانتظام، بالإضافة إلى الزكوات التي يجمعها "حلفاء" الطريقة، رسائل شكر وصدقات تعين في كرسي الشيخة. وهذه الراوية بالنسبة إليهم هي الراوية الرئيسة للطريقة لأنها تحتوي على ضريح

94 سورة البقرة، الصفات، الآية من 179 إلى 181.

المؤسس. ولأها هي المكان الذي حصل منه شيخهم محمد الحافظ الذي أدخلهم في الصريفة، على اورد. ويعرف معظم المشايخ والحجاج أيضا فرع الطريقة في الرباط (سيدي أحمد كسوس)، وسلا (سيدي محمد بن المكي الزواوي)، ومراكش (سيدي الحاج العربي كسوس)، وفي المقابل لا يعرفون أبدا زاويتي التجانية الكبيرتين بالجزائر في عين ماضي وثمانين .

2- الشيوخ الأساسيون:

تركز السلطة الروحية لتجانية إيدو علي في الوقت الحاضر في أيدي الشيخين الآتين:

- الشيخ محمد سعيد

- الشيخ محمد

وكلاهما حاصل على لقب "الخليفة" من زاوية فاس ويتبعانها مباشرة . فأما الشيخ محمد سعيد، وهو من عشيرة أهل محم الفرعية، فهو حفيد محمد الحافظ عن طريق شجرة النسب الآتية:

الشيخ محمد الحافظ

الشيخ أحمد

محمد سعيد	محمد	أحمد	عبد الله	محمد حرمة	محمد الأمين
سنة 1907 م	المتوفى	سنة 1907 م	الحاج	المتوفى سنة	1910 م
أثناء الحج	بعد مروره	ثمانين			

محمد الحافظ
(24 سنة)

ويوجد محم محمد سعيد الباع من لعمر 90 سنة قريبا في صوحي ساقية الحارارية على لطريق لرباط بن أبي سلميت ومدرسة.

وأما الخليفة الثاني وهو الشيخ محمدي ولد أحمد فبربط بفرع إيدو علي 'الكحل' بالترارزة عن طريق شجرة النسب الآتية:

القاضي

محم

أحمد (متوفى)	محمد	الحاج	حرمة	محمد المتوفى
(متوفى)	(متوفى)	(متوفى)	(متوفى)	سنة 1913 م
محمد الأمين	محمد	بدي	محمد محمد عبد الرحمن عبد الحليل	مصطفى أحمد

وتتمتع هذه العائلة بنفوذ ديني كبير بسبب جدها الملقب "بدي الذي كان أكثر تلاميذ محمد الحافظ علما وأحبهم إليه. وعندما حانت وفاة الشيخ قام بتوزيع السلطة الروحية بين ابنه أحمد وتلميذه بدي، ولهذا نجدها اليوم بين أيدي ممثلي العائلتين.

والشيخ محمد هو الآن في الأربعين من عمره. قام سنة 1905 م برفقة أخويه محمد الأمين ومحمد والعديد من تلاميذه، بالحج المزدوج إلى فاس ومكة، وقام عند عودته بزيارة زوايا التجانية بالدار البيضاء وفاس (سي الطيب سفيان) والرباط. وعاد أحد تلاميذه الحاج وهو محمد عبد الله ولد كتاوشي إلى شنقيط ليلتحق بعد ذلك بوقت قصير بعصبات ماء العينين، ولقي حتفه في موقعة أم آقينة سنة 1908 م. ويوجد تخيم الشيخ حاليا عند ساقية النباغية إلى الشمال الشرقي من النبطية.

أما موقف هاديس شبيحي فهو موقف مسامح⁽⁹⁵⁾، لكنه مموه بتشكيل مقصود، ومنه عملهم الذي يصعب فهمه بواسطة بعض التسويع من لدرجة انانية .

ويدور في فلك ذلك الخليفين عدد من الشيوخ من ذوي القيمة الثقافية العالية والنفوذ المحلي الكبير . وهم من الناحية الرسمية "شيوخ" في الطريقة أي أن في مقدورهم منح اللورد مباشرة وتكوين ربونية دينية خاصة بهم. وهم في العادة يحصنون على تلك المباركة من فاس أثناء زيارتهم لها، ومع ذلك يبقون خاضعين بطبيعة الحال لنزعامة الروحية للخليفين المحليين.

1- التراززة:

أ- الشيخ السالك ولد باباه وأخواه محمد فال والتجاني من عشيرة أهل عبد الرحمن الفرعية.

شجرة نسبه:

أحمد بيه - باباه							
محمد فال التجاني				السالك			
محمد	محمد	محمد	بابه	عبد الله			أحمد
	عبد الرحمن	محمود					

وينفخ السالك ولد عبد عبد الله 64 عاما وهو تلميذ أحمد وابن محمد الحافظ، عينه كبولاني Coppelani سنة 1903م قاضيا لإيداو عسي التراززة الذين أنضجهم للسلطة الفرنسية، لكنه عزل من منصبه بعد سنوات من

95 غير معدي السلطة الاستعمارية الفرنسية (مترجم)

ذلك الباريج لأهماته سوء التسيير. عين سنة 1909م، رعيم إدريا معتبره واستقال في سبتمبر سنة 1911م، وهو غير لعلم وبديه مكتبة مهمة.

أما محمد فال الذي يبلغ من العمر 59 سنة فهو غزير العلم، حج إلى بيت الله الحرام وعدد عودته توقف بفاس سنة 1890م حيث أقام لمدة عام عند الخليفة سيدي غالي بن معروز الذي نصبه شيخا.

أما أخواه فقد اشتهروا بحسب الأهالي بأهمتا طبيبان مشهوران، ومن المؤكد، على كل حال، بأهمتا يمتلكان جيدا العلم النظري المستمد من بطون كتب الطب العربية. وقد طلبا السماح لهما باستجلاب مكتبات من الشرق على نفقتهما الخاصة تتضمن كتبا حديثة في الطب الأوروبي، وهو ما يثير على الأقل فضولا معيناً.

ب- محمد المختار ولد أحمد فال من أهل محم وأبناء عمومته، ويرتبطون بفرع التراززة من إيداو علي "الكحل" عن طريق شجرة النسب الآتية:

القاضي محمدي - تشماعة - أحمد - سيدي

أحمد فال

حيري

محمد المختار سيدي عبد الله مصطفى (متوفى) محمد عبد الله محمد الحافظ الحبيبة

المتوفى سنة 1903م

محمد عبد الله مصطفى أحمد فال عبد الله

الملقب "ففال"

أما محمد المختار فهو فقيه معروف، اشتهر كثيرا بالعدل. وقد رفض ممارسة القضاء لئلا يخل به وبدافع من الورع الشديد. ولأخيه وأبناء إخوته أهمية أقل.

أما محمد الحافظ ابن حيري البالغ من العمر 45 عاما، وهو من أهل محم في سهوة الماء، فهو تلميذ ابن عمه محمد المختار. توقف بتسقيص في

طريق عودته من الحج إلى الأراضي المقدسة سنة 1910م وأكمل فيها دراساته وتزوج فيها وعاد منها إلى عشيرته الأصلية سنة 1906م. وهو الآن يستخدم ضابط اتصال بين خليفته وشيخ التحايين السنغاليين الحاج مالك سي في تيفاون. وقد ذهب أيضا مرات عدة في مهمة إلى أحمد، بمبا زعيم المريدي وإلى مامادو صو الزعيم المحلي لإحدى المدن في باول.

ويدخل سائر أفراد هذه العائلة في عداد الصف الأول من تلاميذ الخليفة محمدي، وقد حصلوا على الورد مباشرة من أبيه أحمد ولد بدي.

ج- أحمد فال ابن الشيخ محمد الأمين ابن مولود فال وأخوه:

ينحدر جده مولود فال من قبيلة إيديقب. وقد ذهب إلى فاس لزيارة الشيخ أحمد التحاني، إلا أنه لسوء حظه لم يصل إلا بعد مرور أيام من وفاته ولم يتمكن من الحصول على السبحة وإبريق الشاي والوضوء، وسجادة فرو الغنم التي أوصى له الشيخ بها والذي كان يتوقع قدومه، إلا من أيدي أتباعه بالبكاء. وقد اختفت الآن هذه الأشياء المباركة بحسب ما قاله أحمد فال حفيد مولود.

وعندما عاد مولود فال إلى وطنه هاجر مع بعض الأسر من أقاربه وأصدقائه إلى إيداو علي وأصبح واحدا من أوائل تلاميذ الشيخ الكبير محمد الحافظ وأكثرهم تحمسا للطريقة بل إن هذا الأخير أعطاه اخته ليتزوج بها. وقد عرف مولود فال برأسه لبعثات الدعوة التحانية في بلاد التكرور، وبذلك أثار اهتمام الحاج عمر الذي قدم إليه بعد ذلك ببضع سنوات ليأخذ عنه الورد. وقد ورث محمد الأمين النفوذ الديني لأبيه، وكان رجلا عالما. وقد تزوج إحدى بنات بابا ولد أحمد بيبه⁽⁹⁶⁾. توفي الإبن الأصغر من ولديه وهو السيد سنة 1911م عند عودته من السفر في مهمة دعوية تجارية في باسام الكبرى. أما نجله أحمد فال، وهو

⁹⁶ نظر: علاء المصرة (أ)

شيخ معروف، فيتمتع بنفوذ كبير لدى أولاد عايد وهي إحدى العشائر الصنهاجية في المذرذرة، ولدى التكرور في ديمار (فوتا السنغالية).

د- أما محمد المختار ابن حد أمين، ويبلغ الآن من العمر 45 سنة، وأصله من إيديقب، وتربطه صلة قرابة بمن تقدموا من جهة الأم؛ ومحمد ولد التاه البالغ من العمر 45 سنة، وأصله من إيديقب؛ والشيخ عبد الله ولد الحاج محمد أحمد وهو من عشيرة أهل محم الفرعية، فقد حج ثلاثتهم إلى الأراضي المقدسة حوالي سنة 1904م، وعند عودتهم أقاموا بعض الوقت في زاوية فاس، ولم يعودوا إلى عشيرتهم الأصلية إلا في عام 1906م. وهم الثلاثة علماء ممتازون، ويهتمون على وجه الخصوص بممارسة الزراعة، ولا يبدو أنهم قاموا بالدعوة جنوب النهر باستثناء عبد الله الذي يعزو إليه تلاميذه الزنوج القدرة على التنبؤ بالمستقبل.

هـ - محمود ولد أحمد ولد بابيه وهو من عشيرة أهل أحمد ولد خيار الفرعية وهم من أبناء عمومة العشيرة، يبلغ من العمر 54 سنة. قام برحلة كبرى إلى الشرق زار خلالها بيروت واسطنبول، بعد أن أكمل شعائر الحج بمكة والمدينة، وبقي عند عودته عدة أشهر بفاس. قام بالعديد من الجولات في السنغال في مهام دعوية وتجارية.

و- محمد فال ولد اتشفاغه ولد محمد لولي، البالغ من العمر 45 سنة، وهو من عشيرة أهل محم الفرعية، حج إلى الأراضي المقدسة سنة 1892م ومر بفاس في طريق عودته سنة 1893م. ولهذا الشيخ زبونية دينية مهمة من الزنوج في سنت لويس واللوغة وتيفاون وتيبس، وهو يزورها على الدوام، لم يكن يفوته أن يتوقف عند الحاج مالك سي في تيفاون، وله كذلك علاقات مع أحمد، بمبا.

ز- المصطفى ولد سيدي عبد الله ولد آده البالغ من العمر 35 سنة، وهو من عشيرة أهل محم الفرعية. وصل إلى فاس سنة 1906م حيث حصل من السلطان مولاي عبد العزيز، بوساطة الشيخ أحمد ولد محمدان

قال من إيداو الحاج، وهو ممثل ماء العينين، على المبالغ المالية الضرورية للحج إلى بيت الله الحرام. وبعد عودته توجه إلى فاس وعاش في زاوية الطريقة مدة إقامته التي دامت أربع سنوات وأقام علاقات ممتازة مع الشيخ أحمد المذكور آنفا. ثم عاد إلى عشيرته الأصلية سنة 1910م.

ح- الشيخ محمد ولد الشيخ البالغ من العمر 42 سنة، وهو من عشيرة الحر الفرعية، منحدر من إيداو علي آدرار، حج عدة مرات إلى بيت الله الحرام كانت أولاها سنة 1890م مع جماعة من تلاميذ ماء العينين عن طريق آدرار، الساقية، وفاس. وقد تزوج في مراكش خلال أسفاره تلك وأقام به عدة سنوات وكذلك في فاس. وأقام عدة مرات بشنقيط وكان غالب ما يأتي إلى السنغال في جولات لجمع الهدايا. تربطه علاقات حميمة مع شيخ سالوم الزنجي: الحاج عبد الله نياس الذي التقاه بفاس.

ط- محمد حبيب ولد المختار ولد بيانه، ألحقه أبوه المختار بالزعامة الروحية للشيخ مولود فال⁹⁷. وكان المختار هذا قاضي الحاج عمر في سيفو ومستشاره للشؤون الإسلامية. عاد إلى عشيرته بعد وفاة ذلك الأمير.

2- تكانت:

ي- سيدي ولد الزين أحمد جدو، البالغ من العمر 45 عاما، وهو من عشيرة تميلة الفرعية. ولهذا الرجل حاد الذكاء، والذي يمتلك الكثير من الوثائق عن تاريخ قبيلته وأحداث البلد، خصال الدبلوماسي الكامل وكياسته. ويعود تاريخ أول اتصال له بالفرنسيين إلى بداية احتلالنا للبلد. أوقف في آلاق في نهاية يناير 1904م في قافلة كانت متجهة من بودور إلى تكانت. وسرعان ما أطلق سراحه ولعب دور الوسيط بين كبسولاني Coppolani وإيدو عيش، وكان مفيدا تقريبا في تسلك المهمة في (1904-1905م). وبما أنه هو الذي كان يزود المركز العسكري في تجكجة

⁹⁷ طر أعلاه.

الحليب. فقد سبق قدومه في ليلة الثاني عشر من يونيو سنة 1905م بدقائق قتلة كولاي، هذا طالما أقم أنه هو من أدخلهم إلى المركز العسكري ووفر لهم النعطة. لكنه بعدما وقف صديا في معركة تجكجة الخاطئة في (مارس-أبريل سنة 1906م) انشق وذهب ليعلن ولائه لمولاي إدريس ممثل سلطان المغرب. وعندما انتهت المغامرة سارع في إعلان خضوعه للفرنسيين في إبريل سنة 1907م، وعين في عام 1910م زعيما لعشيرة تميلة، وأصبح سلوكه مسالما منذ ذلك الحين. وفي عام 1913م توجه نحو الشمال في مهمة سرية لدى القبائل غير الخاضعة للنفوذ الفرنسي تحت ذريعة جمع تركة أخيه الإمام الذي مات منشقا وتقسيمها. وقد قدم في هذا المجال ولا يزال يقدم خدمات حقيقية. ويتمتع سيدي ولد الزين بنفوذ كبير على العشيرة بكاملها. وقد بلغ من الدهاء والشبهة مبلغا يستحق معه اهتماما خاصا.

وكان أخوه الأكبر الإمام ولد الزين، الذي مات في الساقية منذ ستين، يعيش منذ عشرين عاما في حاشية ماء العينين. وكان هذا الأخير يستعمله مسؤولا عن الثقافة ومبعوثا وسفيرا، وكان يحظى بكامل ثقته. وفي أكتوبر-نوفمبر 1905م، بوقت قصير بعد احتلالنا لتكانت، حمل إلى أعيان البلد رسائل من ماء العينين تحثهم على التمرد وفر عندما انكشف أمره. وقد شارك منذ ذلك التاريخ وحتى وفاته في كل المؤامرات وفي كل المعارك الموجهة ضد سلطتنا.

ولسيدي ولد الزين أخ آخر هو أحمد ولد الزين، يقيم معه في تجكجة. أما أبوه الزين وهو رجل طاعن في السن، فلا يزال حيا لكن لم يعد له شأن يذكر.

ك- الطالب محمد ولد محمد فال ولد الخليفة البالغ من العمر 50 سنة وهو من عشيرة أهل الإمام الفرعية وهي عائلة من أهل أغد الحاج. والطالب محمد رجل غزير العلم، شديد الذكاء والثراء، هو القاضي الأعلى في تكانت. اشتهر بأنه قاصي نزيه. ويبدو أن لديه موقفا مواليا

فرنسيين، إن لم يكن من أول يوم من احتلال للبلد فعلى الأقل مد أن عاد من شق عصا الطاعة حيث كان قد ذهب لإعلان ولائه لمولاي إدريس. وبما أنه قد انتمى في الماضي إلى الطريقة على يد الخليفة أحمد ابن محمد الحافظ، فقد أصبح اليوم خديفة التحانية الرسمي لإيداو علي تكانت. ويتجاوز نفوذه الروحي عشيرته ويمتد ليشمل سائر أرجاء تكانت. وتجمع دروس التعليم العالي التي يقدمها هو وتلاميذه الأساسيون، خمسين طالبا من كل الأعمار ومن كل الجهات.

ل - دي ولد مبارك ولد أحمد البالغ من العمر 54 عاما، وهو رجل في غاية الثراء من أهل أبوههم وكان زعيما لهم قبل أن يتم خلعه للابتزاز المفرط الذي كان يمارسه. وعبدى هو المكلف سابقا من طرف بكار ولد اسويد أحمد أمير إيدوعيش بالإشراف على زراعاته وجمع الهدايا في كيهيدي. وقد تطورت علاقتهما إلى أن وصلت من المحبة إلى حد المصاهرة المتبادلة وإنجاب الأطفال.

وقد لقيت السلطة الفرنسية من عبدى منذ الأيام الأولى لاحتلال تكانت أكثر عون نجاعة وإخلاصا. فقد حبس نفسه مع الحامية أثناء محاصرة تجكجة في نوفمبر سنة 1906م. وبعد ذلك قام إلى جانبنا بجزء فعال من محاربة المنشقين، وبما أنه هو زعيم مقاطعة تجكجة فقد ساعد إدارتها بقوة. وهو يتمتع بنفوذ كبير في كامل المنطقة.

م - سيدي عبد الله ولد أحمد ولد رمضان : وهو من عشيرة أهل محم الفرعية، حاج لبيت الله الحرام ، ووجيه متنفذ .

ن - سيدي محمد ولد محمد سيدي، ومحمد دهمان ولد محمد محمود وكلاهما من أهل الإمام، ومن وجهائهم المتنفذين .

ص - محمد الشيخ ولد الشيخ، وهو من عشيرة أهل بوكة الفرعية، ووجيه متنفذ.

ض - سيدي محمود ولد محمد امختار ولد سيدي، وهو رعيم عشيرة أهل سيدي عبد الله الفرعية. انفصل عن تجكجة ليصم إلى دائرة العصاة (مندوبية كيفه). وقد أعلن سيدي محمد خضوعه لكوولاني Coppolani في إبريل سنة 1905م، ورحل بعد ذلك عن تكانت في يناير سنة 1907م هو وأفراد عشيرته واتجهوا إلى أرض الرقبة (كيفه) حيث يعيشون هناك حاليا حياة البدو. وهو يملك واحة نخيل في تجكجة، يأتي إليها كل عام "للقيطنة"⁹⁸. وقد تقرب إلينا سيدي محمد في بادئ الأمر في الفترة الفاصلة بين عامي 1907 و 1910م، بعد أن أصبح صحية لعمليات الغصب والنهب المتواصلة وللغارات من آدرار ومن الشمال، وبرهن لنا في العديد من المرات على حسن نواياه، إلا أنه على ما يبدو قد عدل عن ذلك فيما بعد . وقد حكمت عليه محكمة دائرة كيفه في أواخر سنة 1911م بالسجن ثلاث سنوات لاشتراكه في قتل أحد أفراد الجيش الاحتياطي الفرنسي المحلي . وقد خلفه مؤقتا في زعامة العشيرة ابنه محمد المختار المعروف باسم تارو، ولا يقل موقفه شأنا عن موقف الموالين للسلطة الفرنسية .

3- آدرار:

ع - سيدي أحمد ولد الزين وهو من عشيرة أهل عبدى، وهو شيخ من شنقيط ووجيه متنفذ.

ف - الشيخ ولد محمد فال، وهو من عشيرة أهل الشيخ الفرعية، ووجيه متنفذ.

ض - سيدي ولد عبد الله ولد المنير، وهو من عشيرة أمقاريج الفرعية، ووجيه متنفذ.

ق - الطالب ولد زروق، وهو من عشيرة أهل باب أحمد الفرعية، ووجيه متنفذ.

⁹⁸ نوع من السباحة المحمية تشد فيه الرحال إلى مناطق الواحات الراهلة للراحة والاستجمام (المترجم)

ويحب أن يصيف إلى إيداو علي الأصليين، أبناء عمومته المقربين الأقلال الذين يعيشون إلى حاسهم في آدرار . ومع أن ذلك التعايش لا يحلو من حصومات، إلا أنهم كالشيء الواحد من الناحية المذهبية والتصوفية، بل إن خليفة الطريقة في شنقيط قد احتير منهم .

ر- بشير ولد البخاري ولد محمد محمود البالغ من العمر 72 سنة وهو فقيه فذ، وقاضي شنقيط .

س- سيدي ولد أحمد ولد سيدي حويبات البالغ من العمر 49 سنة، والمقيم في شنقيط وهو عالم ذا قيمة عالية . ويعيش سيدي علي وجه الخصوص على شهرة أبيه أحمد المتوفى سنة 1885م الذي كان لفترة طويلة خليفة الطريقة في تجاني شنقيط . والحج معظم جدا في هذه الأسرة التي سافر معظم أفرادها إلى فاس وإلى مكة المكرمة.

ت- محمد ولد محمد ولد البخاري البالغ من العمر 81 سنة، المقيم في شنقيط، والخليفة الحالي لتجانيي آدرار، وهو رجل عالم يخفي سلطته الروحية بمظاهر حياة متواضعة هادئة . وقد أظهر على الدوام قدرا كبيرا من الحذر في علاقاته النادرة قدر الإمكان مع السلطة الفرنسية، وهو رجل ثري يملك العديد من واحات النخيل والمنازل في المدينة، وقطعان الماشية والعبيد .

ث- محمد عبد الرحمان ولد الشيخ حامويي وأخوه عبد الله، وهما من وجهاء الأقلال المتفذين في شنقيط .

خ- الشيخ محمد الحسيني ولد باب ولد فال الخير البالغ من العمر 40 سنة وهو منحدر من إيداو علي شنقيط وقيم في أوجفت منذ ثلاثين عاما . ويمتد نفوذه القوي ليشمل منطقة أوجفت. ويتباهى الشيخ محمد الحسيني بأنه الوحيد من إيداو علي الذي ينتمي إلى الطريقة القادرية وله علاقات دائمة مع الشيخ سيديا الذي أرسل إليه مرات عدة وخاصة سنة 1912م مواشيه وتلاميذه على إثر القلاقل والمجاعة في آدرار .

ثالثا- نفوذهم:

على الرغم من أن إيداو علي متشبهين بالطريقة التجانية لدرجة أنهم جعلوها بمثابة الديانة الوطنية، إلا أنهم لم يزدروا القيام بدعوة من حولهم سواء ي قبائل البيطان أو في بلاد السودان. بل وأكثر من ذلك سترى أنهم أنشأوا في القرن الماضي تجمعين من التجانيين الزنوج في السنغال يعملان وفقا لطابع الخصوصية ذاته، ويظهرون على الملأ في الوقت الحالي مستقبلها المشرق.

ويجب أن نشير في بلاد البيطان أولا إلى عشيرة:

المرادين بشقيها:

- أولاد عبد الوهاب : الشيخ امبارك ولد زين الدين

- المناصير: الشيخ الجدوب ولد محمد ولد الحافظ.

والمرادين هم من آژناگه أو بالأحرى هم، إذا ما استخدمنا مصطلح الزوايا، "تلاميذ" لإيداو علي التراززة. أما مصطلحي "آژناگه" (التسمية الاجتماعية) ، و"اللحمة" فهما المصطلحان المستخدمان لدى قبائل بني حسان أو القبائل المحاربة للإشارة إلى أتباعهم من دافعي الجزية . وعشيرة المرادين هي عشيرة مندوحة في إيداو علي، وترافقها في حلها وترحالها، وتحسب معها في معظم الأحيان بعد العشائر الأصلية.

وقد جند إيداو علي أتباع طريقتهم بالأساس في ثلاث من قبائل الزوايا هي:

تاشديت وتاقتيت وأولاد ديمان. ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الأتباع وإن كانوا قليلي العدد إلا أن انتقاءهم تم بعناية. وأهم هؤلاء الأتباع:

1- لدى تاشدبيت: محمد ولد المختار ولد حميدة وهو من هل حمدان، إحدى العشائر الفرعية في قبيلة الأقال، يبلغ من العمر 64 عاما، وهو قاضي القبيلة منذ سنة 1911م، ومعلم مدرسة. وله هو نفسه بعض الأتباع لدى لبيدات وأولاد أمبارك (في الترازة). والمختار ولد بحمبيت، ويبلغ من العمر 40 عاما من أهل المصطفى إحدى العشائر الفرعية من قبيلة أولاد أحمد، وهو زعيم القبيلة منذ سنة 1909م، والحامد ولد محمد مولود ولد حميد البالغ من العمر 40 عاما أهل بوجداتو إحدى العشائر الفرعية من أهل محم وهو زعيم تلك العشيرة الفرعية منذ سنة 1912م، هو وأخوه عبد الله الزعيم السابق للتجمع. وترتبط هذه الأسرة الثرية المبحلة، المتنفذة بعلاقات دائمة مع عائلة أمراء الترازة. ويتبع تجانيو تاشدبيت مباشرة للزعامة الروحية للخليفة محمد سعيد ولد أحمد.

2- أما تاقنيت المنتمون إلى هذه الطريقة فيتبعون بشكل عام محمد قال ولد بابا⁽⁹⁹⁾.

3- ولإيداو علي تلميذان مختاران من أولاد ديمان هما:

أ- برك الله ولد محمدن ولد محنض بابا، ويبلغ حاليا من العمر 50 سنة، وهو زعيم العشيرة الفرعية أولاد يعقبان الله منذ سنة 1911م. أما جده محنض بابا فهو مؤلف أحد شروح مختصر خليل بعنوان "الميسر"، وهو معروف في موريتانيا تحت اسم "ميسر الديماني". وبارك الله عالم فذ ورجل متنفذ.

ب- أحمد بريد ولد محمدن ولد بريد، ويبلغ حاليا من العمر 44 عاما وهو زعيم عشيرة أولاد سيدي الفاللي الفرعية الذين يتزعمهم أولاد سليمان من سنة 1906 م إلى سنة 1909م، وأصبحت مستقلة ابتداء من سنة 1909 م.

وكان أبوه محمدن شيخ عثميرته. قد تزوج أرملة الأمير محمد الحبيب المتوفى سنة 1861م، وهي أم أميرين هما أحمد سالم الأول المتوفى سنة 1873م وعمر سالم (1886) والمتوفى سنة 1891م) وبذلك نسج علاقات ممتازة مع أهل محمد الحبيب. وقد ورث ابنه ذلك التقدير والنفوذ.

ولإيداو علي خارج الترازة بعض التلاميذ لدى أهل سيدي محمود الذين يعيشون حياة البدو في الرقبة شمالي كيدي ماغا (سيلباي) أشهرهم هو أحمد سالم ولد العربي ولد جدين البالغ من العمر 35 عاما، وهو من الأسرة الحاكمة لأهل عبد الله، والذي يرتبط من خلال أبيه العربي وعمه المتوفى المختار، زعيم أهل سيدي محمود بالخليفة أحمد ابن محمد الحافظ. وقد قام أحمد سالم بزيارة فاس والحج إلى بيت الله الحرام. ويوصف بأنه عطوف، ذكي، وطموح.

وتتألق تجانية إيدوا علي شنيط وتجكجة في آدرار وتكانت وخارجهما لكن بصفتهما نفوذا ثقافيا عاما في مجال الإسلام أكثر من كونها نشاطا دعويا إلى طريقتهم. لك أن أتباع القبائل الأخرى المنتمين إلى طريقتهم، استثناء الأقال الذين يسرون على منوالهم ضمن مجموعة كثيفة، لا يعدون إلا بالأسر أو الأفراد.

وتحذر الإشارة فقط في دائرة گورگول مندوبية كيهيدي إلى أحد القواد الحربيين في جيش آمادو شيخو ابن الحاج عمر وهو منتقى ابن آمادو عمار أليمان المولود في نيورو حوالي سنة 1881م، وأمه امرأة بيظانية. درس في تشيت وفي الرديد، المكان الذي يقيم به حاليا، لدى إيدوعيش وأولاد طلحة. وهو شيخ يجمع الهدايا، جشع، ماكر يستغل نفوذه. جال على التوالي في ماتام وصالدي (بالسنغال) وفي آدرار وگورگول (موريتانيا). وكان من عادة مشايخ الزنوج، أن يضيفوا من مركتهم على البلدان التي يمرون بها تاركين على آثارهم دلائل حية على بركتهم. فكان يأمر أن يأتي إليه سساء من كل القرى التي يمر عليها فيتزوجهن في المساء، بشكل منتظم تقريبا، ثم يركهن في اليوم التالي دون

⁹⁹ انظر أعلاه مقبرة (أ)

مهر بل دون أن يظلفه. وقد قادته هذه التصرفات في نهاية الأمر إلى امثول أمام محكمة گورگول حيث حكم عليه بالسجن لمدة سنة عام 1913م. وهو ينسب للرعاية الروحية لمالك ولد العايدى العلوي الشقيطي.

أما في بلاد السودان ⁽¹⁰⁰⁾: فإن نفوذ إيداو علي - ويكاد يحصر في إيداو علي التراززة وحدهم - فليس أقل شأنًا.

ونبدأ بمنطقة شامة بموريتانيا حيث نجدهم يمارسون نفوذهم الروحي على جزء من جيرانهم تجانية التكرور في مقاطعة انتيكان مناصفة مع بعض تلاميذ الحاج عمر. أما الجزء الآخر فيخضع لطريقة الشيخ سعد بوه [الفاضلية]. ومن الصعب الفصل بين نفوذ إيداو علي ونفوذ طريقة الحاج عمر، ولا يميز الأهالي أنفسهم بينهما. إلا أن إيداو علي يحكم منزلتهم المتمثلة في بياض بشرتهم وبحكم جبرتهم وعلاقاتهم اليومية، هم المسيرون الروحيون الحقيقيون هذه المقاطعة التكرورية. أما أشهر وجهاء انتيكان فهم: النجاي كان ابن عليون كان ويبلغ من العمر 37 سنة، وهو الزعيم المحلي للمقاطعة. وكان جده هو الذي أسس مقاطعة انتيكان، إثر خلافات مع زعيم المقاطعة التي كان يوجد فيها، والذي أجبرهم على مغادرة تجمعهم الإثني وإلى عبور النهر. ومنهم أيضا تيرنو إبراهيم البالغ من العمر 52 سنة، وهو إمام مسجد ومعلم مدرسة وأخوه بوكار سي البالغ من العمر 47 سنة وابن أخيهام أمامو سي ابن عمار سي البالغ من العمر 37 سنة وهو معلم مدرسة. ومنهم تيرنو عبدول جيني (وهي تحريف لجبريل) البالغ من العمر 47 سنة وهو من قرية فاناي، وابني أخيه: جبريل سي البالغ من العمر 34 عاما، وبوكار سي البالغ من العمر 32 سنة، وهو ممرض قديم، ومترجم قديم بالمذرذرة، وهو الآن زعيم قرية فاناي، وقرية بوكار عمر البالغ من العمر 26 عاما. وقد ساهم هذا الأخير بشكل فاعل في الدعوة الدينية المتعصبة التي قادها الشيخ علي يورو ديوب سنة 1917م ومن تبعه في تمردده الذي قاده إلى الهجوم على المركز العسكري بدگانا

¹⁰⁰ مصطلح استعمل هنا للدلالة على الدور الإمبريقية بالإضافة إلى منطقة شامة الموريتانية (المترجم)

ومقتله في لسادس عشر من مايو سنة 1918م. فهدر بوكار عمر نحو الشرق وهو الآن يعيش في مدينة المورة مع أهلها لخاصته وجماعة صغيرة من التكرور لا يستهان بها. أما أمه بسا فاتي، أخت علي يورو، فقد سافرت سنة 1910م للحق به في لمدينة المورة. وقد تزوجت أخت له من بوكار سي المذكور آنفا.

ويخضع كل هؤلاء التكرور للرعاية الروحية لأحمد فال ولد الشيخ ولد مولود فال ⁽¹⁰¹⁾. أما في مقاطعة كير نور فلا يوجد من أتباع التجانية سوى رجل واحد من السكان الأصليين هو الزعيم المحلي للمقاطعة صمبا دين ديوب، وأصله من الولوف، ويبلغ من عمر 42 سنة، وينتمي إلى التجانية وكذلك عائلته، ويتبع للحاج مالك سي تيفوان ولا يخضع لسلطة أحمد فال إلا بشكل غير مباشر.

وينتمي إلى تجانية إيداو علي في السنغال نفسها العديد من قرى التكرور في ديمار (دائرة دقانا) عن طريق لشيخ أحمد فال ⁽¹⁰²⁾ وبعض معلمي المدارس القرآنية في دائرة صلده ديوريفول وهم على وجه الخصوص: تيرنو عبدول دانييدو في غالويا - الفلان، ييرنو مامادو سيسي في غالويا - التكرور، تيرنو سيري صامبا في ديانا ليدوي، وتيرنو مختار سي وهو مساعد في محكمة مقاطعة إرلاي - أبياني في صلده، والعديد من تجمعات الولوف في سنت لويس، واللوكة وتيفوان وتيس ومخطات أخرى على طريق السكة الحديدية، المخرطوا في التجانية على يد محمد فال ولد اتشفاغة ⁽¹⁰³⁾، وعائلة مامادو صو الزعيم المحلي لمقاطعة باول عن طريق محمد المختار ولد محمد فال ⁽¹⁰⁴⁾، وأخيرا في دائرة كوخ تجمع الحاج نياس عن طريق الشيخ محمد ولد الشيخ. والحاج نياس هو الزعيم الروحي لمريدية صغيرة لديها بعض الأتباع في مقاطعات سين وسالوم وريب.

¹⁰¹ انظر أعلاه المقرة (ج)

¹⁰² انظر أعلاه.

¹⁰³ انظر أعلاه.

¹⁰⁴ انظر أعلاه.

شروحا كبيرة جدا لا يسع لمقامها لاحتها. يكفي أن تشير إليها بسر-
عابرة مثل طريقة الحاج عمر بغيره مرة من لمار البعدة لنجاة إده
علي.

وكان من حسن حظ نجاة إيدو علي خاصة ذلك المصير الذي عرفته
في الدول الإفريقية، بأن اقتصصها الحاج عمر، وعت مع نجاحات ذلك
الفتاح وأصحت على نحو ما بمثابة المناق الوصني للتكرور. وكان الحاج
عمر قد حصل على الورد من الشيخ مولود في الترازة حوالي سنة 1835م
إلا أنه قام فيما بعد بتأكيد ذلك الورد من جهة أخرى على يد شيخ
الطريقة نفسه محمد الغالي في مكة المكرمة، وبعد ذلك أخذ استقلاله
الكامل وتجاهل شيخه الأول، وانطلق يهدف باتجاه مستقبله الزاهر بعد أن
أسس طريقته ودولته. ولا سبيل إلى إنكار أنه بحث عن الطريقة التي
تناسبه فوجدتها في طريقة إيدو علي الحصرية (chapelle exclusiviste). وليس
هؤلاء في الوقت الحاضر أتباع مباشرين في فوتا التكرور، لكن اسمهم
يبقى فيها التكريم والترحاب.

ثم رافد آخر نابع أيضا من إيدو علي، وأكثر ارتباطا بهم، وهو الرافد
الذي يمثله مالك سي في تيفوان. وعلى الرغم من أن مالك سي من أصل
تكروري، إلا أن هذا الشيخ رعيم لتجمع كبير من التجانيين الولوف.

ويخضع لزعامته الروحية المباشرة كل أهالي كايور والسكان
المتواجدون حول السكة الحديدية الرابطة بين داكار وسنت لويس،
وكذلك معظم الناحيين والمنتخبين الزوج في البلديات الأربع العاملة
بشكل كامل في السنغال. وقد أخذ الحاج مالك الورد التجاني على يد
خاله مايورا أووالي، وهو بدوره تلميذ لمولود فال، لكنه تحول عنه بعد
ذلك إلى طريقة الحاج عمر. وقد قام بدراساته العليا لدى إيدو علي في
الترازة، وكان يبعث إليهم في بعض الأحيان بتلاميذه لإكمال دراساتهم
هناك. وهو الآن مستقل تماما ويشرف، كما يحلو له، على زاويته وجماعته
الدينية، بل إنه يملك بدوره بعض الفروع مثل فرع الشريف يونس في
كازامانس، وتربطه من ناحية أخرى علاقات ممتازة مع خلفاء إيدو علي
ومشايعهم ويبعث إليهم بالهدايا وهو الآن محل اهتمام شيوخ التجانية
نفاس. وتعتبر دراسة "طريقة" الحاج مالك سي في غاية الأهمية وتسدعي

ومع مرور الزمن نشأت بعض لتحالفات بين هؤلاء الصنهاجيين (Zenaga) الذين بشعرون باحري من أصلهم. وبن حساس محوريين بدمهم العربي.

وقد أنتجت رواياتهم، التي تناقلوها جيلا عن جيل، وتم تضخيمها إلى حد الإفراط، أشجار النسب الرائعة هذه التي ترقى، عبر أرملة متطولة، وأحيانا عن طريق أسماء غير عربية إلى حد بعيد، إلى الرسول (ص) أو إلى أحد أفراد آل بيته.

ويخضع إيداو علي - وقد استطعنا أن نبين ذلك - لهذه القاعدة العامة. ومن ناحية أخرى ينتشر العلم في هذه القبيلة إلى أقصى درجات الانتشار، وكذلك المكتبات الكثيرة العامرة، فلا يوجد منهم طفل تقريبا ذكرا كان أو أنثى إلا وتلقى تعليما ابتدائيا قرآنيا، كما أن معلمي المدارس القرآنية كذلك هم من الرجال والنساء، ومن الأحرار وأحرارين إخرطين أو من التلاميذ الموالى على حد سواء، بل إن الكثير من العميان يكسبون قوتهم من التعليم.

وبناء على هذه الاعتبارات الأخيرة لا ننسى أن نضيف الاعتبار المتعلق بالعلاقات الحميمة والدائمة التي أقامها إيداو علي منذ أكثر من قرن مع زوايا التجانية في فاس، وقد أخذوا عنها روح الريية الأكيدة والكرامية الدفينة تجاه النصارى. وقد أدت تلك العلاقات في الوقت الحالي إلى جعل إيداو علي ضباط اتصال وهمزة وصل بين تلك الزوايا وتجمعات التجانيين في البلدان الإفريقية.

وبناء على ذلك فإن الخلاصة التي تفرض نفسها هي أن هذه القبيلة ذات أهمية كبيرة من جوانب مختلفة، وهي تستحق، في كل الدوائر المعنية، نشاطا دراسيا علميا متواصلا ومنسقا، ومرونة إدارية، ورقابة سياسية.

يجب أن نضيف إلى هذا الطابع الديني والوطني الذي يميز إيداو علي، لظواهر الاجتماعية الغريبة التي يمثلها عندهم التنظيم الديمقراطي الكامل. فحياة القبيلة تدبرها وتسيرها الجماعات الثلاث ولا شيء غيرها، وليس الشيوخ الإداريون الذين تقترحهم مجالس الوجهاء، تعينهم السلطة الفرنسية سوى أسماء مستعارة تتصل بواسطتهم العشيرة من العلاقة بين أفرادها وبين النصارى : فهم ينقلون أوامر القائد العسكري "ويوقعون الردود الموجهة إليه، يجمعون الأتاوات، يقبلون الحكم عليهم عند الضرورة، بغرامة لا يؤديها من حر ما لهم بل يتم توزيعها فوراً على كل الأسر لتدفع كل أسرة قسطاً منها إلخ. وهم لا يتمتعون بأية سلطة خاصة لا شخصية ولا وظيفية. ويمكن للخلفاء الدينيين أنفسهم فرض بعض الأوامر بصعوبة خارج المجال الروحي. فهم ليسوا سوى رؤساء مجلس الأعيان، - الأكثر نفوذاً فيه - والذي يقوم بتسوية قضايا العشيرة المدنية والجناية والاجتماعية واليومية والعامة والخاصة، على غرار ما يحدث في جماعات "القبائل" (Kabylie) والمزاب [بالجزائر].

ويثبت هذا التنظيم الديمقراطي التمثيل الأوليغارشي بما فيه الكفاية أكثر مما تثبته الأدلة التاريخية واللغوية التي يمكن إنشاؤها، أن ادعاءات إيداو علي فضل الشرف لا تقل عن كونها غير حقيقية، فهم بكل تأكيد، حالهم حال كل عشائر الزوايا في موريتانيا، شائر بربرية أصلية تم تعريبها وأسلمتها ببطء عن طريق فتوحات القبائل الحسانية وسيطرتها.

وقد أصبح هؤلاء المغلوين على أمرهم، بفعل انقلاب عجيب للأوضاع - بعد أن تم سحقهم في نهاية الأمر في حرب شرّبه في القرن السابع عشر، وإجبارهم على دفع الجزية، ودفعهم إلى الصلاة والدراسة والثروة الحيوانية - الممثلين الرسميين للعلوم العربية والحضارة الإسلامية والتريعة المحمدية.

أصول إيداو علي

أعزهم الله بجاه سيد المرسلين:

نسبة العلويين بين أعلام الله في عليين بجاه سيد المرسلين. وقد أخبرني الفقيه الصالح محمد بن بيانه أن عبد الجليل بن الحاج أخبره إيدايجر إحدى قبائل تشمشة من عند جدهم بالاحمر يلتقون مع إيداو علي عنده، وأهم إدريسيون حسنيون. وذكر ذلك سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم في "صحيحة النقل" والرواية في الأخرى في ذرية محمد بن الحنفية بن علي كرم الله وجهه. وهذه النسبة وجدها بخط عبيد الله بن أبي جهد المدلشي أصلاً البعقوي وطناً ووجدتها أيضاً عند إيداجفغ من عند بلحمر وهي أن جدنا الطالب بن حبيب ابن محمد أيج بن حمدن الله ابن أيج ابن يحيى ابن علي بن بلحمر بن همدكفيل بن علي بن يمحج بن نبداكر ابن كنانة بن جابر بن عبد الرحمان بن عبد الله ابن إبراهيم ابن إدريس بن محمد بن يوسف ابن زيد ابن عبد النعيم ابن عبد الواسع بن عبد الدائم بن عمر بن زروق بن عبد الله بن عمر بن سعيد بن عبد الرحمن بن سالم ابن هارون وفي نسخة عزون ابن عبد الكريم ابن خالد ابن سعيد بن عبد المومن بن أبي زيد ابن رحمون بن زكريا بن القاسم بن يحيى بن أبي علي بن عبد الله ابن محم بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وررضي عنهم أجمعين هذا ما وجدته بخط من نقله عن نقل محمد المختار بن سيدي عبد الله الفغ سيد أحمد بن محمد القاضي بن الطالب المذكور في أول السلسلة

انتهى

وكتب محمد بن محم المعروف ببدي بن سيدي بن ابن الفغ سيد أحمد
بن محم بن القاضي المذكور فوق.

نسبة العلويين بين أعلام الله في عليين بجاه سيد المرسلين. وقد أخبرني الفقيه الصالح محمد بن بيانه أن عبد الجليل بن الحاج أخبره إيدايجر إحدى قبائل تشمشة من عند جدهم بالاحمر يلتقون مع إيداو علي عنده، وأهم إدريسيون حسنيون. وذكر ذلك سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم في "صحيحة النقل" والرواية في الأخرى في ذرية محمد بن الحنفية بن علي كرم الله وجهه. وهذه النسبة وجدها بخط عبيد الله بن أبي جهد المدلشي أصلاً البعقوي وطناً ووجدتها أيضاً عند إيداجفغ من عند بلحمر وهي أن جدنا الطالب بن حبيب ابن محمد أيج بن حمدن الله ابن أيج ابن يحيى ابن علي بن بلحمر بن همدكفيل بن علي بن يمحج بن نبداكر ابن كنانة بن جابر بن عبد الرحمان بن عبد الله ابن إبراهيم ابن إدريس بن محمد بن يوسف ابن زيد ابن عبد النعيم ابن عبد الواسع بن عبد الدائم بن عمر بن زروق بن عبد الله بن عمر بن سعيد بن عبد الرحمن بن سالم ابن هارون وفي نسخة عزون ابن عبد الكريم ابن خالد ابن سعيد بن عبد المومن بن أبي زيد ابن رحمون بن زكريا بن القاسم بن يحيى بن أبي علي بن عبد الله ابن محم بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وررضي عنهم أجمعين هذا ما وجدته بخط من نقله عن نقل محمد المختار بن سيدي عبد الله الفغ سيد أحمد بن محمد القاضي بن الطالب المذكور في أول السلسلة

[اتفاقية خضوع إيداو علي و الأقلال للنفوذ الفرنسي]:

الحكومة العامة لغرب إفريقيا الفرنسية اتفاقية أبرمت مع

إيداو علي والأقلال بشنقيط

موريتانيا

الحمد لله الذي أوصى البشر في القرآن بالحبة والتعاون:

وقد اتفقت الحكومة الفرنسية ممثلة في المقدم غورو الذي يحكم باسمها بلاد البيطان، وإيداو علي والأقلال سكان مدينة شنقيط ممثلين في الشخصيات التالية:

أحمد ولد أحمد البشير، أهل الخنشي من الأقلال

محمد محمود ولد أحمد محمود ولد موسى من الأقلال

محمد عبد الله ولد محمد سالم إمام الأقلال

محمد عبد الرحمان ولد أحمد البشير (شقيق الأول)

محمد ولد عبد الرحمان ولد الإمام، إمام الأقلال

...

محمد ولد سيدي ولد ولد محمد عاشور، أمقاريج من إيداو علي

محمد ولد محمد نافع ولد الوداعة أمقاريج إيداو علي

علي ما يلي:

أن تمنح الحكومة الفرنسية الأمان لإيداو علي والأقلال سكان مدينة شنقيط. ويلتزم إيداو علي والأقلال بشنقيط بألا يحملوا سلاحا ضد الفرنسيين تحت أي ظرف، وبأنهم لن يوفرؤا المأوى ولا العون للقبائل المعادية للفرنسيين.

ويلتزم الفرنسيون باحترام أفراد إيداو علي والأقلال في شنقيط ومعتقداتهم وممتلكاتهم. ويلتزم الفرنسيون في اليوم الذي سيحكمون في شنقيط بتعيين زعيم لكل من إيداو علي والأقلال كل من قبيلته لا قبيلة أخرى.

وأن الأراضي الفرنسية [المستعمرة] مفتوحة لقوافل إيداو علي وأقلا شنقيط الذين يلتزمون بالتقيد فيها بالقوانين السياسية والإدارية الفرنسية المتبعة في موريتانيا، وخاصة أن يتقدموا إلى الحماية الفرنسية ليسلموا من حوار المرور، وأن يدفعوا لها حق الضرائب قبل الدخول إلى الأراض الخاضعة للفرنسيين.

سنت لويس، 12 ديسمبر، 1907م.

المقدم

الإداري درجة أولى،

مفوض الحكومة العامة، موريتانيا ومساعد مفوض الحكومة العامة

آدم

غورو

المرجم

أبو المقداد

إجازة شيخ تجانية إيداو علي :

اللهم صل على النبي الأمين:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فإن سيدنا ووسيلتنا إلى الله مولانا قطب الأقطاب أبا العباس بن أحمد ابن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه ومتعنا بحبه ومقامه دنيا وآخرة آمين أذن لتلميذه الفقيه الأريب الأنجب الأديب حنا سيدي الحافظ بن المختار ابن حبيب الشنقيطي إعطاء أوراده لكل من طلبها من المسلمين بشرط المحافظة على الصلوات الخمس بشروطها المعلومة وبشرط إفرادها أعني لا يعطى لمن عنده ورد من أوراد الأشياخ هذا شرط فائدته وتحصيل مطلب مع ملازمة الوظيفة مرة بين الليل والنهار لكل من أخذ هذا الورد، وكذلك ذكر الهيلة بعد عصر كل يوم جمعة لمن لم تكن له حاجة تشغله في وقت الوظيفة ووقت عصر يوم الجمعة. وأما الورد فإنه يقضى لازما إلا في حالة المرض لمن لم يقدر عليه. وأما من تركه لعذر أو نسيان فإنه يقضيه دائما، وأما من فرط فيه عناوة فإنه لا ينفعه إذا رجع إليه إلا إذا تاب وجدد الإذن عن الشيخ أو عن المقدم وأذن أيضا سيدنا نحييه المذكور أن يقدم عشرة تحته لبعد مسافة أو عذر آخر فمن أذن له منهم كأنه أذن له سيدنا رضي الله عنه وأذن له أيضا رضي الله عنه في كل ما يريد ذكره على الإطلاق من كل ذكر من غير تحجيم وكل من أخذ الورد على محبنا هذا فله مثله ما لمن أخذ عن سيدنا رضي الله عنه من الفضل والمزية سواء بسواء. والورد المذكور سابقا هو: استغفر الله مائة مرة، وصلاة الفاتح لمن يحفظها مائة مرة، والهيلة مائة مرة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب.

ومن اشتغل في الوقتين فالوقت واسع. وأما الوظيفة فالاستغفار أيضا وصلاة الفاتح إلخ خمسين مرة والهيلة مائة مرة وجوهرة الكمال إحدى

عشرة مرة أو أكثر. وكتب عبيد ربه الفقير إلى ربه خديم الحضرة التجانية محمد ابن الحنشي عن إذن سيدنا رضي الله عنه ونفعنا به آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وتحته بخطه سيدنا رضي الله عنه ما كتب أعلاه صحيح وأنا أذنت فيه إذنا عاما دائما وكتب عاذرا ومحيزا أحمد بن محمد التجاني وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى

ولحساب الطريق في هذه الإجازة محمد المعروف عند التلاميذ ببدي

هاج شحني ولوعتي لحروف	كتبها أنا ممل التجاني
فقدك لصاحب الخط نفسي	وباني له بكل بنياني
وجزى الله آذنا ومحيزا	ومجازيا بأكمل الرضوان
رضي الله عنهم وجزاهم	عدد النجم والحصى والزمان

202	ثانيا- أبناء محمد فاضل وتلاميذه:
203	خاتمة الفصل الثاني:
203	الملاحق:
203	الملحق [1]: رسالة ماء العينين إلى إدوعيش:
205	الملحق [2]: مقتطفات من المراسلة بين الهيئة وعمه الشيخ سعد بوه:
207	الملحق [3]: شجرة نسب الفاضلية:
209	الملحق [4]: السلسلة الروحية للفاضلية:
213	الملحق [5]: أبناء محمد فاضل:
214	الملحق [6]: رسالة الشيخ سعد بوه إلى العقيد غورو:
215	المصادر والمراجع:

217	الفصل الثالث : إيداو علي شرفاء التجانية في موريتانيا:
217	أولا- تاريخهم:
228	ثانيا- حالتهم الراهنة:
228	1 - إيداو علي الترابزة:
230	2 - إيداو علي تكانت:
231	3 - إي دار علي أدرار:
233	ثالثا- تجانية إيداو علي:
233	1 - أصولها:
236	2 - أهم شيوخها:
247	3 - نفوذها:
254	رابعا- خاتمة الفصل الثالث:
256	الملاحق:
256	الملحق [1]: أصول إيداو علي:
258	الملحق [2]: اتفاقية بين إيداو علي والاقبال والسلطة الاستعمارية الفرنسية:
260	الملحق [3]: إجازة الشيخ أحمد التجاني للشيخ التجانيين العلويين:
262	المصادر والمراجع:
263	فهرس الموضوعات